الأغاني

الجزء السابع

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل

لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

[نسبه وكنيته]

هو الوليد بن يَزيد بن عبد الملك بن مَروان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مَناف، ويُكنّى أبا العبَّاس. وأمّه أم الحجَّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عَقيل الثَّقفي، وهي بنت أخي الحجَّاج. وفيه يقول أبو نُخَيلة[1]:

بين أبي العاصِي وبين الحجَّاج يا لكُما نورا سراجٍ وَهَّاجْ

[الرجز]

عليه بعد عَمِّه عُقِد التَّاجْ

وأم يزيدَ بن عبد الملك عاتِكَةُ بنت يَزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حَرْب بن أُمَيَّة. وأمّها أم كُلثوم بنت عبد اللَّه بن عامر. وأم عبد اللَّه بن عامر أمّ حَكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، ولذلك قال الوليد بن يزيد:

نبيُّ الهُدَى خالي ومن يَكُ خالُه نبيَّ الهدى يَقْهَرْ به من يُفاخرُ

[الطويل]

[كان مرمياً بالزندقة]

وكان الوليد بن يَزيد من فِتيان بني أُميَّة وظُرفائِهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدَّائِهم، وكان فاسقاً خَليعاً متهماً في دينه مرميًّا بالزندقة، وشاع ذلك من أَمره وظهر حتى أنكره الناس فَقُتِلَ. وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره. ومن النّاس من ينفي ذلك عنه ويُنْكِرُه، ويقول: إنه نُحِله وأُلصِقَ إليه. والأغلب الأشهر غير ذلك.

أخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيُّوب القُرَشيّ وجُويريةَ بن أسماء وعامر بن الأسود والمِنهالِ بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك وسُحيم بن حفص وغيرهم:

(١) أبو نخيلة وهو اسمه. وكنيته أبو الجنيد، شاعر يغلب عليه الرجز، عاصر الدولتين الأموية والعباسية.

أنّ يزيد بن عبد الملك لمّا وجّه الجيوشَ إلى يزيد بن المُهَلَّب وعقد لمَسْلَمةَ بن عبد الملك على الجيش وبعث العبَّاس بن الوليد بن عبد الملك وعَقَدَ له على أهلِ دِمَشق، قال له العَبَّاس: يا أمير المؤمنين، إنَّ أَهلَ العراق أهلُ غَدْرٍ وإرجافٍ، وقد وجهتَنا مُحارِبين والأحداثُ تحدُث، ولا آمنُ أنْ يُرجِفَ أهلُ العراق ويقولوا: مات أمير المؤمنين ولم يعهَد، فيفُتُّ ذلك في أعضاد أهل الشام؛ فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الولي! قال: غداً، وبلغ ذلك مَسلَمة بن عبد الملك، فأتى يزيدَ فقال: يا أمير المؤمنين، أيُّما أحبُّ إليك: ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد؟ فقال: بل ولدُ عبد الملك. قال: أفأخوك أحقُّ بالخلافةِ أم ابنُ أخيك؟ قال: إذا لم تكن في ولدي فأخي أحقُّ بها من ابن أخي. قال: فابنُك لم يَبلُغ، فبايعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام ـ قال: والوليدُ يومئذٍ ابن إحدى عشرةَ سنة ـ قال: غداً أبايعُ له. فلمَّا أصبح فعل ذلك وبايعَ لهشام، وأخذ العهدَ عليه ألَّا يخلعَ الوليد بعده ولا يغيِّر عهده ولا يحتالَ عليه. فلما أدرك الوليدُ نَدِمَ أبوه، فكان ينظر إليه ويقول: اللَّهُ بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك. وتُوفِّي يزيد سنةَ خمسٍ ومائةٍ وابنُه الوليد ابن خمسَ عشرة سنة. قالوا: فلم يزل الوليد مُكَرَّماً عند هشام رفيعَ المنزلة مدَّة، ثم طَمِعَ في خلعِهِ وعقدِ العهدِ بعده لابنه مَسلَمة بن هشام، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتهتُّكَه وإدمانه على الشراب، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به، وولّاه الحجَّ لِيَظْهَرَ ذلك منه بالحرمين فَيسقُطَ؛ فَحَجَّ وظَهَرَ منه فعل كثير مذموم، وتشاغل بالمُغَنِّين وبالشَّراب، وأمر مولى له فحجَّ بالنّاس. فلما حجَّ طالبه هشام بأن يخلع نفسَه فأبى ذلك؛ فحرمه العطاء وحَرم سَائر مواليه وأسبابَه وجفاه جفاءً شديداً. فخرج مُتبدِّياً وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه، وكان يُرمى بالزندقة. ودعا هشامٌ النَّاس إلى خلعه والبيعةِ لمَسلَمة بن هشام ـ وأمُّه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي. وكان مسلمةُ يُكَنّى أبا شاكر؛ كُنِي بذلك لمولى كان لمروان يُكنّى أبا شاكر، كان ذا رأيٍ وفضلٍ وكانوا يعظِّمونه ويتبرّكون به ـ فأجابه إلى خَلْع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام محمدٌ وإبراهيمُ ابنا هشام بن إسماعيل المخزوميّ والوليدُ وعبد العزيز وخالد بن القّعقاع بن خُوَيلد العَبسيّ وغيرهم من خاصة هشام. وكتب إلى الوليد: ما تدَع شيئاً من المنكر إلَّا أتيتَه وارتكبتَه غير مُتحاشٍ ولا مستترٍ، فليت شعري ما دِينُك؟ أعلى الإسلام أنت أم لا؟! فكتب إليه الوليد بن يزيد ـ ويقال: بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحَله إياه ـ :

صـــوت

يـــا أيُّـــهـــا الـــســـائـــلُ عـــن ديـــنـــنـــا ... نـــحـــن عـــلـــى ديـــن أبـــي شـــاكـــرِ

نشرَبُها صِرْفاً وممزوجةً بالسُّخنِ أحياناً وبالفاتِرِ
[السريع]

ـ غنّاه عمرُ الوادي رَمَلاً بالبنصر ـ فَغَضِبَ هشام على ابنه مسلمة، وقال: يعيِّرني بك الوليدُ وأنا أرشِّحك للخلافة! فالزم الأدبَ، واحضُر الصلوات. وولَّاه الموسمَ سنةَ سبعَ عشرةَ ومائة، فأظهر النُّسكَ وقسم بمكة والمدينة أموالاً. فقال رجل من موالي أهل المدينة:

يا أيُّها السائلُ عن دِيننا نحن على دين أبي شاكرِ
الواهبِ البُزْلَ[1] بأرسانِها ليس بزنديقٍ ولا كافرِ
[السريع]

قال المدائنيّ: وبلغ خالداً القسْريَّ ما عزَم عليه هشام، فقال: أنا بريء من خليفة يُكنّى أبا شاكر؛ فبلغتْ هشاماً عنه هذه، فكان ذلك سببَ إيقاعه به.

أخبرني محمد بن الحسن الكنديُّ المؤدِّب قال: حَدَّثني أبي عن العبَّاس بن هشام قال: دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلسَ هشام بن عبد الملك وقد كان في ذِكره قبل أن يدخل، فحمّقه من حضَر من بني أُمَيَّة. فلمّا جلسَ قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد: كيف حبُّك يا وليد للروميَّات، فإنَّ أباك كان بهنَّ مشغوفاً؟ قال: إنّي لأُحِبهنَّ؛ وكيف لا أحبهنّ ولن تزال الواحدة منهنّ قد جاءت بالهَجين مثلك ـ وكانت أمُّ العباس روميَّة ـ قال: اسكتْ فليس الفحلُ يأتي عَسْبُه[2] بمثلي؛ فقال له الوليد: اسكتْ يا بنَ البَظْراء! قال: أتفخَر عليّ بما قُطِع من بَظْر أمك. وأقبل هشام على الوليد فقال له: ما شرابُك؟ قال: شَرَابُك يا أمير المؤمنين؛ وقام مغضَباً فخرج. فقال هشام: أهذا الذي تزعمون أنّه أحمقُ! ما هو أحمق، ولكني لا أظنّه على الملّة.

---

(١) بَزَلَ البعيرُ يَبْزُلُ بُزولاً: فَطَرَ نابُهُ، أي انشَقَّ، فهو بازِلٌ، ذكراً كان أو أنثى، والجمع بُزُلٌ وبُزَّلٌ وبَوازِلُ. والبازِلُ أيضاً: اسمٌ للسنّ التي طلعتْ. وبَزَلْتُ الشراب. وشَجَّةٌ بازِلَةٌ: سالَ دمُها. وتَبَزَّلَ، أي تَشَقَّقَ، ومنه قول زهير: تَبَزَّل ما بين العشيرِ بالدم. وانْبَزَلَ الطَّلْعُ، أي انشقَّ.

(٢) العسب: طرق الفرس، وربما استعمله الشاعر في الناس. قالَ زهير:

فلولا عَسْبُه لرَدَدْتُموهُ وشَرُّ مَنيحَةٍ أيرٌ معارُ

قال أبو ليلى: العسب: ماء الفحل فرساً كان أو بعيراً. يقال: قطع اللَّه عَسْبَه، أي: ماءه وولده. وقال يصف نجائب قد رمت بأولادها من التعب:

يغادرن عسب الوالقيّ وناصِحٍ تخصّ به أمّ الطريق عيالَها

[عبثه في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيّ قال: دخل الوليد بن يزيد مجلسَ هشام بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزبير مولى مروان وليس هشام حاضراً؛ فجلسَ الوليدُ مَجْلِسَ هشام، ثم أقبلَ على سعيد بن هشام فقال له: من أنت؟ وهو به عارف، قال: سعيد ابن أمير المؤمنين، قال: مرحباً بك. ثم نَظَرَ إلى أبي الزبير فقال: من أنت؟ قال: أبو الزبير مولاك أيها الأمير؛ قال: أنِسطاسٌ أنت؟ مرحباً بك. ثم قال لإبراهيم بن هشام: من أنت؟ قال: إبراهيم بن هشام. قال: مَنْ إبراهيم بن هشام؟ وهو يعرفُهُ، قال: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل. قال: مَنْ إسماعيل؟ وهو يعرفه، قال: إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغِيرة. قال: مَن الوليد بن المُغيرة؟ قال: الذي لم يكن جدُّك يُرى أنه في شيء حتى زوَّجه أبي وهو بعضُ ولدِ ابنته. قال: يا بن اللّخْناء أتقول هذا وائتخذا[١]. وأقبل هشام، فقيل لهما: قد جاء أميرُ المؤمنين، فجلسا وكفّا. ودخل هشام، فما كاد الوليد يتنحَّى له عن صدر مجلسه، إلا أنه زحَل[٢] له قليلاً، فجلس هشام وقال له: كيف أنت يا وليد؟ قال: صالحٌ. قال: ما فعلتْ برابِطُك[٣]؟ قال: مُعمَلة أو مُستعملة. قال: فما فعل ندماؤك؟ قال: صالحون، ولعنَهم اللَّهُ إن كانوا شرًّا ممن حضَرك، وقام، فقال له هشام: يا بن اللَّخْناء جَؤوا عنقَه، فلم يفعلوا ودفعوه رويداً. فقال الوليد:

أَنا ابنُ أَبي العاصي وَعُثمانُ وَالدي ... وَمَروانُ جَدّي ذو الفَعالِ وَعامِرُ
أَنا ابنُ عَظيمِ القَريَتَينِ[٤] وَعِزُّها ... ثَقيفٌ وَفِهرٌ وَالرِّجالُ الأَكابِرُ
نَبِيُّ الهُدى خالي وَمَن يَكُ خالُهُ ... نَبِيَّ الهُدى يَعلُ الوَرى في المَفاخِرِ

[الطويل]

---

(١) ائتخذا: تصارعا.

(٢) زَحَل عن مكانه زُحولاً، وتَزَحَّلَ: تنحّى وتباعد، فهو زَحِلٌ وزِحْليلٌ. والمَزْحَلُ: الموضع يُزْحَلُ إليه. وقد يكون مصدراً، يقال: إنَّ لي عنك لَمَزْحلاً، أي مُنْتَدَحاً. وزُحَلُ: نجمٌ من الخُنَّسِ، لا ينصرف.

(٣) البَرْبَطُ، كجَعْفَرٍ أَهْمَلَهُ الجَوْهَرِيّ، وقال اللَّيْثُ: هو العودُ من آلاتِ المَلاهي، قيل: هو مُعَرَّبُ بَرِبَطْ، بكَسْرِ الرّاء، أَي صَدْرُ الإوزِّ، وبَرْ بالفارِسيّة: الصَّدْرُ لأنَّه يُشْبِهُه.

(٤) القريتان: مكة والطائف، والرجلان: عروة بن مسعود، والآخر الوليد بن المغيرة بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم. ويروى أن أبا بكر الصديق رضي اللَّه عنه مرّ بقبره ومعه خالد، فقال: أصبح جمرة في النار، فأجابه خالد في ذلك بجواب غير مرضيّ.

[مات مسلمة بن عبد الملك فرثاه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث عن المَدائنيّ قال: كان هشام بن عبد الملك يُكثِر تنقُّصَ الوليد بن يزيد، فكان مَسلمةُ يعاتب هشاماً ويكُفُّهُ، فمات مَسلَمةُ، فغُمّ الوليدُ ورثاه فقال:

صـــوت

أَتـــانـــا بَـــريـــدانِ مِـــن واسِـــطٍ ... يَـخُـبّـانِ بِـالـكُـتُـبِ الـمُـعـجَـمَـهْ
أَقـــولُ وَمـــا الـــبُـــعـــدُ إِلا الـــرَّدى ... أَمَـسـلَـمَ لا تَـبـعـدَن[1] مَـسـلَـمَـه
فَـقَـد كُـنـتَ نـوراً لَـنـا فـي الـبِـلادِ ... تُـضـيءُ فَـقَـد أَصـبَـحَـت مُـظـلِـمَـه
كَـتَـمـنـا نَـعِـيَّـكَ نَـخـشـى الـيَـقـيـنَ ... فَـجَـلّـى[2] الـيَـقـيـنُ عَـنِ الـجَـمـجَـمَـه[3]
وَكَـــم مِـــن يَـــتـــيـــمٍ تَـــلافَـــيـــتَـــهُ ... بِـــأَرضِ الـــعَـــدُوِّ وَكَـــم أَيِّـــمَـــه
وَكُـــنـــتَ إِذا الـــحَـــربُ دَرَّت دَمـــاً ... نَـصَـبـتَ لَـهـا رايَـةً مُـعـلَـمَـه

[المتقارب]

غنّى في هذه الأبيات التي أوّلها:

أَقـــولُ وَمـــا الـــبُـــعـــدُ إِلا الـــرَّدى

يونسُ خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وذكر الهشاميّ أنَّ فيه ثقيلاً أوّل يُنسَب إلى أبي كامل وعمر الوادي. وذكر حَبَش أن ليونس فيه رَملاً بالبنصر.

أخبرني الطُّوسيّ والحرميّ بن أبي العلاء قالا: حَدَّثنا الزبيرُ بن بكَّار قال: حدّثني موسى بن زُهير بن مُضَرِّس بن منظور بن زَبَّان بن سَيَّار عن أبيه قال:

رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم تُوفّي مسلمةُ بن عبد الملك وهشامٌ في شُرْطته، إذا طلع الوليدُ بن يَزيد على الناس وهو نَشوانُ يجرُّ مِطرَفَ خَزٍّ عليه؛ فوقف على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إن عُقبى من بقي لحوقُ من مضى؛ وقد أقفَرَ بعد مَسلَمة الصيدُ لمن يرى، واختلَّ الثغرُ فوَهى، وعلى أثرِ من سلف يمضي من خلف؛ فتزوّدوا، فإن خير الزاد التّقوى. فأعرض عنه هشامٌ ولم يَرُدَّ جواباً، ووجمَ الناسُ فما همَس أحدٌ بشيء. قال: فمضى الوليد وهو يقول:

---

(١) لا تبعدن: لا تهلكن.
(٢) جلى: كشف عن الشيء وأظهره.
(٣) الجمجمه: إخفاء الكلام.

أَهَـيـنَـمَـةٌ[١] حَـديـثُ الـقـومِ أَم هُـم سُـكـوتٌ بَـعـدَمـا مَـتَـعَ الـنَّـهـارُ[٢]
عَـزيـزٌ كـانَ بَـيـنَـهُـمُ نَـبِـيًّـا فَـقَـولُ الـقَـومِ وَحـيٌ لا يُـحـارُ
كَـأَنّـا بَـعـدَ مَـسـلَـمـةَ الـمُـرَجّـى شُـروبٌ طَـوَّحَـت بِـهِـمُ عُـقـارُ
أَو ٱلّافٌ هِـجـانٌ فـي قُـيـودٍ تَـلَـفَّـتُ كُـلَّـمـا حَـنَّـت ظُـؤارُ[٣]
فَـلَـيـتَـكَ لَـم تَـمُـت وَفَـداكَ قَـومٌ تُـريـحُ غَـبِـيَّـهُـم عَـنّـا الـدِّيـارُ
سَـقـيـمُ الـصَّـدرِ أَو شَـكِـسٌ نَـكـيـدٌ وَآخَـرُ لا يَـزورُ وَلا يُـزارُ

[الوافر]

يعني بالسّقيم الصدر يزيد بن الوليد، ويعني بالشَّكس هشاماً، والذي لا يزور ولا يُزار مروان بن محمد.

قال الزبير: وحدّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال:

أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهدَ لولده؛ فقال الوليد:

كَـفَـرتَ يَـداً مِـن مُـنـعِـم لَـو شَـكَـرتَـهـا جَـزاكَ بِـهـا الـرَّحـمـنُ ذو الـفَـضـلِ وَالـمَـنِّ
رَأَيـتُـكَ تَـبـنـي جـاهِـداً فـي قَـطـيـعَـتـي فَـلَـو كُـنـتَ ذا حَـزْمٍ[٤] لَـهَـدَّمـتَ مـا تَـبـنـي
أَراكَ[٥] عَـلـى الـبـاقـيـنَ تَـجـنـي ضَـغـيـنَـةً فَـيـا وَيـحـهُـم[٦] إِن مُـتَّ مِـن شَـرٍّ مـا تَـجـنـي
كَـأَنّـي بِـهِـم وَالـلَّـيـتُ أَفـضَـلُ قَـولِـهِـم أَيـا لـيـتَ أنـا، حـيـن «يـا لـيـت» لا تُـغـنـي[٧]

[الطويل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: عَتبَ هشام على الوليد وخاصّته. فخرج الوليد ومعه قوم من خاصّته ومَواليه فنزل بالأبرَق بين أرض بُلْقَين وفزارة على ماء يُقالُ له الأغدَف، وخلّف بالرصافة كاتبه عِياضَ بن مُسلِم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدُثُ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى. فشربوا يوماً؛ فقال له الوليد: يا أبا وهب، قل أبياتاً نُغنّ فيها، فقال أبياتاً، وأمر عمر الوادي فغنّى فيها وهي:

(١) الهَيْنَمَةُ: الصوت الخفيّ. والهِنَّمَةُ: خرزةٌ كان النساء يؤخِّذنَ بها الرجال.
(٢) متع النهار: بلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال، وقيل: متع النهار: طال وامتدّ.
(٣) الظُّؤُورُ من الثُّوق: التي تعطِف على وَلَد غيرها، أو على بَوٍّ.
(٤) ورد في بعض المصادر «أرب» بدل «حزم».
(٥) ورد في بعض المصادر «نثير» بدل «أراك».
(٦) ورد في بعض المصادر «فويل لهم» بدل «فيا ويحهم».
(٧) ورد العجز في البيت على الشكل التالي:
ألا لَـيـتَـنـا وَالـلَّـيـتُ إِذ ذاكَ لا يُـغـنـي

صوت

ألمْ تَرَ للنَّجْمِ إذ سبَّعَا[1] يُبادرُ من بُرْجِه المَرْجِعَا
تَحَيَّرَ عن قَصْدِ مَجْرَاتِه إلى الغَوْرِ والتَمَسَ المطلَعَا
فَقُلْتُ وأعجبني شأنُهُ وقد لاحَ إذ لاحَ لي مُطمِعا
لعلّ الوليدَ دَنَا مُلْكُهُ فأمسَى إليه قدِ استجمَعَا
وكُنَّا نؤمّل في مُلكِهِ كتأميل ذي الجَدْب أن يُمْرِعَا
عَقَدنا له محكماتِ الأمو ر طَوْعاً وكان لها مَوضِعا

[المتقارب]

فَرُوِيَ هذا الشعر، وبلغ هشاماً، فقطع عن الوليد ما كان يُجري عليه وعلى أصحابه وحرَمهم، وكتب إلى الوليد: قد بلغني أنك اتّخذتَ عبدَ الصمد خِدناً ومحدّثاً ونديماً؛ وقد حقَّقَ ذلك ما بلغني عنك، ولن أُبرّئكَ من سوء؛ فأخرِج عبد الصمد مذموماً. قال: فأخرجه الوليدُ وقال:

لَقَد قَذَفوا أَبا وَهبٍ بِأَمرٍ كَبيرٍ أَو يَزيدُ عَلى الكَبيرِ
وَأَشهَدُ أَنَّهُم كَذَبوا عَلَيهِ شَهادَةَ عالِمٍ بِهِمُ خَبيرِ

[الوافر]

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد، واعتذر إليه من منادمته، وسأله أن يأذنَ لابن سُهيل في الخروج إليه ـ وكان من خاصّة الوليد ـ فضرب هشامٌ ابنَ سهيل ونفاه وسيّره ـ وكان ابنُ سُهيلٍ من أهل النَّباهةِ، وقد ولي الولاياتِ، ولي دمشقَ مراراً وولي غيرها ـ وأخذ عِياضَ بنَ مُسلم كاتب الوليد فضربه ضرباً مبرحاً وألبسه المُسوحَ وقيّده وحبسه، فغمَّ ذلك الوليد فقال: من يثق بالناس! ومن يصنع المعروف! هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبي على ولده وأهل بيته وولاه وهو يصنع بي ما ترون، ولا يعلم أن لي في أحدٍ هوىً إلا أضرّ به، كتب إلي بأن أخرجَ عبد الصمد فأخرجتُه، وكتبتُ إليه في أن يأذن لابن سُهيل في الخروج إليّ فضربه وطرده وقد علم رأيي فيه؛ وعرَف مكان عياض منّي وانقطاعه إليّ فضربَه وحبسه، يُضارُّني بذلك، اللَّهمّ أجرني منه. ثم قال الوليد:

صوت

أَنا النَّذيرُ لِمُسدي نِعمَةٍ أَبَداً إِلى المَقاريفِ[2] ما لَم يَخبُرِ الدَّخَلا

(١) سبَّع: أقام سبع ليال. (٢) المقاريف: الأنذال، والمقرف: الذي أمه عربية وأبوه غير عربي.

إن أَنـتَ أَكـرَمـتَـهُـم أَلـفَـيـتَـهُـم بَـطِـروا وَإِن أَهَـنـتَـهُـم أَلـفَـيـتَـهُـم ذُلُـلا
أَتَـشـمَـخـونَ وَمِـنّـا رأسُ[١] نِـعـمَـتِـكُـم سَـتَـعـلَـمـونَ إِذا أبـصـرتُـمُ[٢] الـدُّوَلا
اُنـظُـر فَـإِن أَنـتَ لَـم تَـقـدِر عَـلـى مَـثـلٍ لَـهُـم سِـوى الـكَـلـبِ فَـاضـرِبـهُ لَـهُـم مَـثَـلا
بَـيـنـا يُـسَـمِّـنُـهُ لِـلـصَّـيـدِ صـاحِـبُـهُ حَـتّـى إِذا مـا اسـتـوى مِـن بَـعـدِ مـا هُـزِلا
عَـدا عَـلَـيـهِ فَـلَـم تَـضـرُرهُ عَـدوَتُـهُ وَلَـو أَطـاقَ لَـهُ أَكـلاً لَـقَـد أَكَـلا

[البسيط]

غنّاه مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ من رواية الهشاميّ.

[فخره على هشام]

قال: قال الوليدُ أيضاً يَفْتَخِرُ على هشام:

صـوت

أَنـا الـوَلـيـدُ أبـو الـعَـبّـاسِ قـد عَـلِـمـت عُـلـيـا مَـعَـدٍّ مَـدى كَـرّي وَإِقـدامـي
إِنّـي لَـفـي الـذُّروَةِ الـعُـلـيـا إِذا نُـسِـبـوا مُـقـابَـلٌ[٣] بَـيـنَ أَخـوالـي وَأَعـمـامـي
بَـنـى لِـيَ الـمَـجـدَ بـانٍ لـم يـكـن وَكِـلا[٤] عَـلـى مَـنـارٍ مُـضـيـئـاتٍ وَأَعـلام
حللتُ مِن جَوهرِ الأَعياص[٥] قَد عَلِموا[٦] فـي بـاذِخٍ مُـشَـمـخـرٍّ[٧] الـعِـزِّ قَـمـقـامِ[٨]

---

(١) ورد في بعض المصادر«أصل» بدل«رأس».
(٢) ورد في بعض المصادر «صرتم» بدل «أبصرتم».
(٣) المقابل: كريم النسب من قِبَلِ أبويه. وقد قوبِل. قال الشاعر:
إن كـنـتَ فـي بـكـرٍ تَـمُـتُّ خُـؤولَـةً فـأنـا الـمُـقـابـلُ مـن ذَوي الأَعْـمـامِ
(٤) ورد صدر البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
بَني لِيَ المَجدَ بانٍ غَيرُ مُدَّرَكٍ
(٥) الأعياص: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.
(٦) ورد صدر البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
خُـلِـقـتُ مِـن جَـوهـرِ الأَعـيـاصِ قَـد عَـلِـمـوا
(٧) الشَّمْخَرَةُ: الكِبْرُ، عن ابن الأعرابيّ، كالشَّمْخَرِيرَةِ. واشْمَخَرَّ: طالَ. قال ابنُ الأعرابيّ: المُشمخرّ، كمُشمعلٍّ: الطويلُ من الجبالِ. والمُشمخرُّ: الجبلُ العالي، قال الهُذليُّ:
تـالـلَّـهِ يَـبـقـى عـلـى الأيـامِ ذُو جِـيـدٍ بـمُـشـمَـخـرٍّ بـه الـظـيـانُ والآسُ
(٨) القمقام: العدد الكثير، قال «رؤبة»:
مـن خـر فـي قَـمْـقـامِـنـا تَـقَـمْـقَـمـا

صَعبِ المَرامِ يُناغي النَّجمَ مَطلَعُهُ يَسمو إِلى فَرعِ مجدٍ شامِخ سام
[البسيط]

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

وأخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عمَّار قال: حدَّثنا أحمد بن زهَير بن حرب قال: حدَّثني مصعب الزبيريّ قال: بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويتَه فأنشده قوله:

أَنا الوَليدُ أبو العَبّاسِ قد عَلِمت عُلِيا مَعَدٍّ مَدى كَرّي وَإِقدامي

فقال هشام: واللَّه ما عَلِمتْ له مَعَدٌّ كرًّا ولا إقداماً، إلا أنه شرِب مرّة مع عمّه بَكَّار بن عبد الملك فَعَرْبَد عليه وعلى جواريه؛ فإن كان يعني ذلك بكرّه وإقدامه فعسى.

[حقده على هشام]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا ابن مَهرويه قال: حدَّثني عبد اللَّه بن عمرو ابن أبي سعد قال: حُدِّثت أن أبا الزناد قال: دَخَلْتُ على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهريّ وهما يعيبان الوليدَ، فأعرضتُ ولم أدخل في شيءٍ من ذكره. فلم ألبَثْ أن استُؤذن للوليد فأُذِن له، فدخل وهو مُغضبٌ فجلس قليلاً ثمّ نهض. فلمّا مات هشام وولي الوليدُ كتب إلى المدينة فحمِلتُ فدخلتُ عليه، فقال: أتذكر قولَ الأحول والزهريّ؟ قلتُ: نعم، وما عَرَضتُ في شيء من أمرك، قال: صدقتَ؛ أتدري من أبلغني ذلك؟ قلت: لا، قال: الخادم الواقف على رأسه، وايم اللَّه لو بقي الفاسقُ الزهريّ لقتلتُه. ثم قال: ذهب هشام بعمري، فقلت: بل يُبقيك اللَّه يا أمير المؤمنين، وقام وصلّى العصر. ثم جلسَ يتحدّث إلى المغرب ثم صلى المغرب ودعا بالعشاء فتعشّيت معه ثم جلس يتحدّث حتى صلى العتمة، ثم تحدّثنا قليلاً ثم قال: اسقيني فأتينه بإناءٍ مغطًى، وجاءَ جوار فقُمنَ بيني وبينه فشرب وانصرفن، ومكث قليلاً ثم قال: اسقيني ففعلن مثل ذلك. وما زال واللَّه ذلك دأبَه حتى طلع الفجرُ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً.

وأخبرني الحَرَمي بن أبي العَلاء قال: حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال: حدّثني عمّي مُصعب عن أبي الزّناد قال:

أجمع الزُّهريُّ على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولي الوليدُ بن يزيد، فمات الزُّهريُّ قبل ذلك.

قال المدائنيّ: وبلغَ الوليدَ أنّ العبَّاس بن الوَليد وغيرَه من بني مروان يَعيبونه بالشَّرابِ؛ فلعنهم وقال: إنَّهم ليَعيبون عليّ ما لو كانت لهم فيه لذّةٌ ما تركوه، وقال هذا الشعر، وأمر عمرَ الوادي أن يُغنّي فيه ـ وهو من جَيِّد شعرهِ وُمختاره. وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي غير مجنَّسٍ ـ :

صـوت

وَلَقَد قَضَيتُ ـ وَإِن تَجَلَّلَ لِمَّتي ... شَيبٌ ـ عَلى رَغمِ العِدا لَذّاتي
مِن كاعِباتٍ كَالدُّمى وَمَناصِفٍ ... وَمَراكِبٍ لِلصَّيدِ وَالنَّشَواتِ
في فِتيَةٍ تَأبى الهَوانَ وجوهُهُم ... شُمٌّ الأُنوفِ جَحاجِحٍ ساداتِ
إِن يَطلُبوا بِتِراتِهِم يُعطَوا بِها ... أَو يُطلَبوا لا يُدرَكوا بِتِراتِ

[الكامل]

حدّثني المِنهال بن عبد الملك قال: كتب الوليد إلى هشام: «قد بلغني ما أحدث أمير المؤمنين من قَطع ما قطع عَنِّي ومَحْو من محا من أصحابي، وأنه حرَمني وأهلي. ولم أكن أخاف أن يبتلي اللَّهُ أمير المؤمنين بذلك فيّ ولا ينالني مثله منه، ولم يبلغ استصحابي لابن سُهيل ومسألتي في أمره أن يجري عليَّ ما جرى. وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين، فبحَسب العيْر أن يقرُب من الذئب. وعلى ذلك فقد عقد اللَّه لي من العهد وكتب لي من العمر وسبَّب لي من الرزق ما لا يقدِر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنّي دون مدّته ولا صرْفِه عن مواقعه المحتومة له. فقدرُ اللَّه يجري على ما قدّره فيما أحبّ الناسُ وكرهوا، لا تعجيلَ لآجلهِ ولا تأخير لعاجله، والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من اللَّه بما يستوجبون العقوبة عليه. وأمير المؤمنين أحقّ بالنظر في ذلك والحفظِ له. واللَّه يوفِّق أميرَ المؤمنينَ لطاعته، ويُحسن القضاءَ له في الأمور بقدرته. وكتب إليه الوليد في آخر كتابه:

أَلَيسَ عَظيماً أَن أَرى كُلَّ وارِدٍ ... حِياضَكَ يَوماً صادِراً بِالنَّوافِلِ
فَأَرجِعَ مَحمودَ[1] الرَّجاءِ مُصَرَّداً ... بِتَحلِئَةٍ عَن وِردِ تِلكَ المَناهِلِ
فَأَصبَحتُ مِمّا كُنتُ آمُلُ مِنكُمُ ... وَلَيسَ بِلاقٍ ما رَجا كُلُّ آمِلِ

(١) ورد في بعض المصادر «مجذوذ» بدل «محمود».

كَمُقْتبِض يَوماً عَلى عُرْضِ هَبوَةٍ[١] يَشُدُّ عَلَيها كَفَّهُ بِالأَنَامِلِ»

[الطويل]

فكتب إليه هشام: «قد فهم أمير المؤمنين ما كتبتُ به من قطْع ما قطع وغير ذلك. وأميرُ المؤمنين يستغفر اللَّه من إجرائه ما كان يُجري عليك، ولا يتخوّف على نفسه اقترافَ المآثم في الذي أحدث مِن قطع ما قطع ومحو مَن محا من صِحابتك، لأمرين: أمَّا أحدهما فإنّ أمير المؤمنين يعلم مواضعَك التي كنتَ تصرف إليها ما يُجريه عليك. وأما الآخرُ فإثبات صحابتك وأرزاقُهم دارَّةٌ عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البُعوثِ عليهم وهم معك تجول بهم في سَفَهك. وأميرُ المؤمنين يرجو أن يكفّر اللَّهُ عنه ما سلَف من إعطائه إيّاك باستئنافه قطْعَه عنك. وأما ابنُ سُهيل، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله اللَّه لذلك أهلاً. وهل زاد ابنُ سُهيل، للَّه أبوك، على أن كان زَفَّاناً[٢] مغنِّياً قد بلغ في السَّفَه غايته! وليس مع ذلك ابنُ سُهيل بشَرٍّ ممن كنتَ تستصحبه في الأمور التي ينزِّه أميرُ المؤمنين نفسه عنها مما كنتَ لعَمْري أهلاً للتوبيخ فيه. وأما ما ذكرتَ ممّا سبَّبه اللَّه لكَ، فإن اللَّه قد ابتدأ أميرَ المؤمنين بذلك واصطفاه له، واللَّه بالغ أمره. ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنّه لا يملك لنفسه مما أعطاه اللَّه من كرامته ضُرًّا ولا نفعاً، وإن اللَّه وَليّ ذلك منه وإنّه لا بدَّ له من مفارقته، وإنّ اللَّه أرأفُ بعبادهِ وأرحمُ من أن يولّي أمرَهم غيرَ من يرتضيه لهم منهم. وإنَّ أمير المؤمنين مع حُسن ظنِّه بربهِ لعلى أحسنِ الرجاء لأَنْ يولّيه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرضا به لهم، فإنَّ بلاء اللَّه عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغَه ذكُره أو يوازيَه شكره إلا بعون منه. ولئن كان قد قدَّر اللَّه لأميرِ المؤمنين وفاةَ تعجيلٍ، فإنّ في الذي هو مُفضٍ وصائرٌ إليه من كرامة اللَّه لخلَفاً من الدنيا. ولعمري إنّ كتابكَ لأميرِ المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مستنكرٍ من سَفَهك وحُمْقك، فأبقِ على نفسك وقصِّر من غُلَوائها وارْبَعْ على ظَلْعِك، فإنّ للَّه سَطوات وغِيَراً يصيب بها من يشاء من عباده. وأمير المؤمنين يسأل اللَّهَ العصمة والتوفيقَ لأحبِّ الأمور إليه وأرضاها له. وكتب في أسفل الكتاب:

---

(١) هبو: سطعت الهبوة والهبوات. وصار هباءً وهو دقاق التراب الساطع في الجوّ كالدخان وما ينبث في ضوء الشمس. وتراب ورماد هاب. قال مالك بن الرّيب:

ترى جدثاً قد جرّت الريح فوقه ترباً كلون القسطلانيّ هابيا

وهبا الغبار يهبو. وأهبى الفرس: أثار الغبار.

(٢) الزَّفنُ: الرقص. وقد زَفَنَ يَزْفِنُ. ويقال: الزِّيفْنُ: الشديد.

إذا أنتَ سامَحْتَ الهوى قادك الهوى إلى بعضِ ما فيه عليك مقالُ
[الطويل]

والسلام».

[بشارته بالخلافة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدَّثنا عمر بن شبَّة عن المدائنيّ عن جُوَيريّةَ بن أسماء عن المِنهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيّوب كلهم عن أبي الزُّبير المنذِر بن عمرو ـ قال: وكان كاتباً للوليد بن يزيد ـ قال:

أرسل إليّ الوليدُ صَبيحةَ اليوم الذي أتته فيه الخلافةُ فأتيتُه، فقال لي: يا أبا الزُّبير، ما أتتْ عليَّ ليلةٌ أطولُ من هذه الليلة، عَرَضتني أمورٌ وحدّثتُ نفسي فيها بأمور، وهذا الرجل قد أولع بي، فاركبْ بنا نتنفَّس. فركب وسرتُ معه، فسار ميلين ووقف على تلٍّ فجعل يشكو هشاماً، إذ نظر إلى رَهج قد أقبل ـ قال عمر بن شبَّة في حديثه ـ وسمع قَعْقعة البريد، فتعوّذ باللَّه من شرِّ هشام، وقال: إنّ هذا البريد قد أقبل بموتٍ وَحِيٍّ[1] أو بمُلك عاجل. فقلت: لا يسوءك اللَّهُ أيها الأمير بل يسرُّك ويُبقيك، إذ بدا رجلانِ على البريد يُقبِلانِ، أحدُهما مولى لآل أبي سفيان بن حَرْب، فلمّا قرُبا رأيا الوليدَ فنزلا يَعدُوان حتى دنَوا فسلَّما عليه بالخلافة فوَجم، وجعلا يكرِّران عليه التسليمَ بالخلافة، فقال: ويَحكم ما الخبرُ؟ أماتَ هشام؟ قالا: نعم؛ قال: فمرحباً بكما ما معكما؟ قالا: كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن؛ فقرأ الكتاب وانصرفنا. وسأل عن عِياض بن مُسلِم كاتِبه الذي كان هشام ضربه وحبسه، فقالا: يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر اللَّه، فلمّا صار إلى حالٍ لا تُرجى الحياة لمثله معها، أرسل عِياض إلى الخُزَّان: احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلَنَّ أحد إلى شيء. وأفاقَ هشام إفاقةً فطلبَ شيئاً فمُنِعَه، فقال: أرانا كنَّا خُزَّاناً للوليد، وقضى من ساعته. فخرجَ عِياض من السجن ساعةَ قضى هشامٌ، فختم الأبواب والخزائن، وأمر بهشام فأُنزِل عن فراشه ومنعهم أن يكَفِّنوه من الخزائن، فكفَّنه غالبٌ مولى هشام، ولم يجدوا قُمْقُماً[2] حتى استعاروه. وأمر الوليدُ بأخذِ ابني هشام بن إسماعيل المخزوميّ، فأخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبرِ يزيد بن عبد الملك، فقال

(١) الوَحى: السرعةُ، يمدُّ ويقصر. ويقال: الوَحى الوَحى: يعني البِدارَ البِدارَ. وتَوَحَّ يا هذا، أي أسْرِع. ووَحَّاهُ تَوْحِيَةً، أي عجَّله. والوَحِيُّ: السريعُ. يقال: موتٌ وَحِيٌّ.

(٢) القُمْقُمُ: ما يُسْتَقى به من نحاس، ويقال: إناء من نحاس يسخن فيه الماء.

الوليد: ما أُراه إلا قد نجا، فقال له يحيى بن عُروة بن الزبير وأخوه عبد اللَّه: إن اللَّه لم يجعل قبر أبيك مَعاذاً للظالمين، فخُذْهُ بردِّ ما في يده من مال اللَّه؛ فقال: صدقتَ، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر، وكتب إليه أن يَبسُط عليهما العذابَ حتى يَتلَفا، ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضَوْا منه المظالمَ.

وقال عمر بن شَبَّة في خبره: إنه لمَّا نُعي له هشام قال: واللَّه لأتلقّينَّ هذه النّعمةَ بسَكرةٍ قبل الظهر، ثم أنشأ يقول:

طابَ يَومي وَلَذَّ شُربُ السُّلافَه ... إذ أَتاني نَعِيُّ مَن بِالرُّصافَه
وَأَتانا البَريدُ يَنعى هِشاماً ... وَأَتانا بِخاتَمٍ لِلخِلافَه
فَاصطَحَبنا مِن خَمرِ عانَةَ[1] صِرفاً ... وَلَهَونا بِقَينَةٍ عَزّافَه

[الخفيف]

ثم حلَفَ ألا يبرح موضعَه حتى يُغنَّى في هذا الشعر ويشربَ عليه، فغُنِّي له فيه وشرب وسكر، ثم دخل فبويعَ له بالخلافة.

قال: وسَمِع صياحاً، فسأل عنه، فقيل له: هذا من دار هشام يبكيه بناتُه، فقال:

إنّي سَمِعتُ بِليلٍ[2] ... وَرَا المُصلَّى برَنَّهْ[3]
إذا بَناتُ هِشام ... يَندُبنَ والِدَهُنَّه
يَندُبنَ قَرْماً[4] جليلاً ... قَد كانَ يَعضُدُهُنَّه
أَنا المُخَنَّثُ حَقّاً ... إن لَم أُنيِّكُهُنَّه

[المجتث]

وقال المدائنيّ في خبر أحمد بن الحارث: وشرِبَ الوليد يوماً، فلمَّا طابَتْ نفسُه تذكّر هشاماً، فقال لعمر الوادي غنِّني:

إنِّي سَمِعتُ بِليلٍ ... وَرَا المُصلَّى برَنَّهْ

[المجتث]

---

(١) عانة: بلدة على الفرات تنسب إليها الخمر العانية.
(٢) ورد في بعض المصادر «خليلي» بدل «بليلٍ».
(٣) ورد العجز في بعض المصادر على الشكل التالي:
نَحوَ الرُصافَةِ رَنَّه
(٤) ورد في بعض المصادر «شيخاً» بدل «قرماً».

فغنَّاه فيه، فشرب عليه ثلاثةَ أرطال، ثم قال: واللَّه لئن سمعه منك أحد أبداً لأقتلنَّك. قال: فما سُمع منه بعدها ولا عُرف.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صـوت

طـابَ يَـومـي وَلَـذَّ شُـربُ الـسُّـلافَـه إِذ أَتـانـي نَـعِـيُّ مَـن فـي الـرُّصـافَـهْ

[الخفيف]

غنَّاه عمرُ الوادي خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر.

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثني أبو غسان قال: قال حَكَم الوادي:

كنّا عندَ الوليد بن يزيد وهو يشرب، إذ جاءنا خَصِيٌّ فشَقَّ جيبَه وعزَّاه عن عمه هشام وهنّأه بالخلافة وفي يده قضيب وخاتَم وطومار[1]؛ فأمسكنا ساعةً ونظرنا إليه بعين الخلافة؛ فقال: غنُّوني، غنِّياني: قد طاب شربُ السلافه. . . . البيتين؛ فلم نزل نغنِّيه بهما الليل كُلّه.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدّثني مروان بن أبي حفصة قال:

دَخَلْتُ على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبتُ أتزحزح، فقال: إنَّ أمير المؤمنين لا يُنكر ما تقول فقُل، قلت: كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس. فقال: أتروى من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، دخلت عليه مع عُمومتي وفي يده قضيب ولي جُمّةٌ[2] فَينانة فجعل يُدخل القضيبَ في جُمّتي وجعل يقول: يا غلام، ولدتْك سُكّر (وهي أمّ ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال: فسمعته يومئذٍ يُنشد:

لَـيـتَ هِـشـامـاً عـاشَ حَـتّـى يَـرى مِـكـيـالَـهُ الأَوفَـرَ قَـد أُتـرِعـا
كِـلـنـا لَـهُ الـصـاعَ الـتـي كـالَـهـا وَمـا ظَـلَـمـنـاهُ بِـهـا أَصـوُعـا

(١) الطومار: الصحيفة.

(٢) الجُمَّةُ، بالضم: مُجْتَمَعُ شعر الرأْس وهي أَكثر من الوَفْرَةِ. وفي الحديث: كان لرسول اللَّه، ﷺ، جُمَّةٌ جَعْدَةٌ؛ الجُمَّة من شعر الرأْس: ما سَقَط على المَنْكِبَيْن.

وَلـم نـأتِ مـا نـأتـيـه عَـن بِـدعَـةٍ أَحَـلَّـهُ الـقُـرآنُ لـي أَجـمَـعـا
[السريع]

قال: فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت.

[كان شاعراً مجيداً]

وللوليد أشعار جِيادٌ فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان. فمنها ـ وهو ما برّز فيه وجوّده وتبِعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه ـ قوله في صفة الخمر ـ أنشدنيه الحسن بن علي قال: أنشدني الحسين بن فَهم قال: أنشدني عمر بن شَبَّة قال: أنشدني أبو غسّان محمد بن يحيى وغيره للوليد. قال: وكان أبو غسَّان يكاد يرقص إذا أنشدها ـ :

اِصـدَع نَـجِـيَّ الـهُـمـومِ بِـالـطَّـربِ وَانـعَـم عَـلـى الـدَّهـرِ بِـابـنَـةِ الـعِـنَـبِ
وَاسـتَـقـبِـلِ الـعَـيـشَ فـي غَـضـارَتِـهِ لا تَـقـفُ مِـنـهُ آثـارَ مُـعـتَـقِـبِ
مِـن قَـهـوَةٍ زانَـهـا تَـقـادُمُـهـا فَـهـيَ عَـجـوزٌ تَـعـلـو عَـلـى الـحـقـبِ
أَشـهـى إِلـى الـشَّـربِ يَـومَ جَـلـوَتِـهـا مِـنَ الـفَـتـاةِ الـكَـريـمَـةِ الـنَّـسَـبِ
فَـقَـد تَـجَـلَّـت وَرَقَّ جَـوهَـرُهـا حَـتّـى تَـبَـدَّت فـي مَـنـظَـرٍ عَـجَـبِ
فَـهـيَ بِـغَـيـرِ الـمِـزاجِ مِـن شَـرَرٍ وَهـيَ لَـدى الـمَـزجِ سـائِـلُ الـذَّهَـبِ
كَـأَنَّـهـا فـي زُجـاجِـهـا قَـبَـسٌ تَـذكـو ضِـيـاءً فـي عَـيـنِ مُـرتَـقِـبِ
فـي فِـتـيَـةٍ مِـن بَـنـي أُمَـيَّـةَ أَهـ ـلِ الـمَـجـدِ وَالـمَـأثُـراتِ وَالـحَـسَـبِ
مـا فـي الـوَرى مِـثـلُـهُـم وَلا فـيـهِـمُ مِـثـلـي وَلا مُـنـتَـمٍ لِـمِـثـلِ أَبـي
[المنسرح]

قال المدائني في خبره: وقال الوليد حين أتاه نعْي هشام:

طـالَ لَـيـلـي فَـبِـتُ أُسـقـى الـمُـدامـا إِذ أَتـانـي الـبَـريـدُ يَـنـعـى هِـشـامـا
وَأَتـانـي بِـحُـلَّـةٍ وَقَـضـيـبٍ وَأَتـانـي بِـخـاتَـمٍ ثُـمَّ قـامـا
فَـجَـعَـلـتُ الـولِـيَّ مِـن بَـعـدِ فَـقـدي أَفـضَـلَ الـنـاسِ نـاشِـئـاً وَغُـلامـا
ذلـك ابـنـي وَذاكَ قَـرمُ قُـرَيـشٍ خَـيـرُ قـرمٍ[1] وَخَـيـرُهُـم أعـمـامـا
[السريع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أَبيه عن المدائني عن جرير قال: قال لي عمر الوادي:

(١) ورد في بعض المصادر«خلف» بدل «قرم».

كُنْتُ يوماً أغنِّي الوليدَ إذ ذكَر هشاماً؛ فقال لي: غنِّني بهذه الأبيات؛ قلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فأنشأ يقول:

صـوت

هَـلَـكَ الأَحـوَلُ الـمَـشـو مُ فَـقَـد أُرسِـلَ الـمَـطَـرْ
ثُـمَّـتَ اسـتُـخـلـف الـولـيـ ـد فـقـد أورق الـشـجـرْ

[مجزوء الخفيف]

[اقتباس الشعراء منه]

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم، سلَخوا معانيها، وأبو نواس خاصّة فإنَّهُ سَلَخَ معانيه كلّها وجعلها في شعره فكرَّرَها في عدّة مواضع منه. ولولا كراهةُ التطويل لذكَرْتُها ها هنا، على أنها تنبىء عن نفسها.

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن عليّ قال: أنشدني الحسين بن فهم قال: أنشدني عمر بن شَبَّة قال: أنشدني أبو غسَّان وغيره للوليد ـ وكان أبو غسّان يكاد أن يرقص إذا أنشدها ـ :

اِصـدَع نَـجِـيَّ الـهُـمـومِ بِـالـطَّـربِ وَانـعَـم عَـلـى الـدَّهـرِ بِـابـنَـةِ الـعِـنَـبِ

[المنسرح]

الأبيات التي مضت متقدَّماً. وهذا من بديع الكلام ونادره؛ وقد جوَّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم. وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما.

ومن جيِّد معانيه قوله:

رَأَيـتُـكَ تَـبـنـي جـاهِـداً فـي قَـطـيـعَـتـي فَـلَـو كُـنـتَ ذا إِربٍ لَـهَـدَّمـتَ مـا تَـبـنـي

[الطويل]

وقد مضت في أخباره مع هشام.

وأنشدني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال: أنشدني عمرو بن أبي عمرو للوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال:

إِذا لَـم يَـكُـن خَـيـرٌ مَـعَ الـشَّـرِّ لَـم تَـجِـد نَـصـيـحـاً وَلا ذا حـاجَـةٍ حـيـنَ تَـفـزَعُ
وكـانـوا إذا هـمُّـوا[1] بِـإِحـدى هَـنـاتِـهِـم حَـسَـرتُ لَـهُـم رَأسـي فَـلا أَتَـقَـنَّـعُ

[الطويل]

(١) ورد في بعض المصادر «إذ ما هم» بدل «وكانوا إذا همُّوا».

ومن نادر شعره قوله لهشام:

فَإِن تَكُ قَد مَلِلتَ القُربَ مِنّي فَسَوفَ تَرى مُجانَبَتي وَبُعدي
وَسَوفَ تَلومُ نَفسَكَ إِن بَقينا وَتَبلو الناسَ وَالأَحوالَ بَعدي
فَتَندَمُ في الَّذي فَرَّطتَ فيهِ إِذا قايَستَ في ذَمّي وَحَمدي

[الوافر]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: حدَّثنا ابن مهرويه وعبد اللَّه بن عمرو بن أبي سعد قالا: حَدَّثنا عبد اللَّه بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال: حدّثنا محمد بن عائذ قال: حدّثني الهيثم بن عِمْران قال: سَمِعْتُهُ يقول: لما بويع الوليد سمعتُه على المنبر يقول بدمشق:

ضَمِنتُ لَك إِن لَم تَرْعَني مَنِيَّتي بِأَنَّ سَماءَ الضُّرِّ عَنكُم سَتُقلِعُ

[الطويل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثني عمر بن شَبَّة قال: حدّثني عيسى بن عبد اللَّه بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال: لما ولي الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة والشعر له:

مُحَرَّمُكُمْ دِيوانُكم وعَطاؤُكم به يكتب الكتَّاب والكتْب تُطبعُ
ضَمِنتُ لَك إِن لَم تُصابوا بِمهجَتي بِأَنَّ سَماءَ الضُّرِّ عَنكُم سَتُقلِعُ

وأول هذه الأبيات:

أَلا أَيُّها الرَّكبُ المُخِبّونَ أَبلِغوا سَلامِيَ سُكانَ البِلادِ فَأَسمِعوا
وَقولوا أَتاكُم أَشبَهُ الناسِ سنَّةً بِوالِدِهِ فَاستَبشِروا وَتَوَقَّعوا
سَيوشِكُ إِلحاقٌ بِكُم وَزِيادَةٌ وَأُعطِيَةٌ تَأتي تِباعاً فَتُشفَعُ

[الطويل]

وكان سبب مكاتبته أهلَ الحرمين بذلك أنّ هشاماً لمَّا خرج عليه زيد بن عليّ رضي اللَّه عنه منع أهلَ مكة وأهلَ المدينة أعطِياتِهم سنةً. فقال حمزة بن بيض يردّ على الوليد لمّا فعل خلافَ ما قال:

وصلتَ سَماءَ الضُّرِّ بالضُّرِّ بعدما زَعمتَ سَماءَ الضُّرِّ عَنَّا سَتُقلِعُ
فَلَيْتَ هِشَاماً كان حيًّا يسوسنا وكُنَّا كما كنا نُرجِّي ونطمعُ

[الطويل]

أخبرني أحمد قال: حَدَّثني عمر بن شَبَّة قال: روى جَرير بن حازم عن الفضل بن سُويد قال: بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لمَّا ولي الخلافة فقال: أتدرون لمَ دعوتكم؟ قالوا: لا؛ قال: ليَقُل قائلُكُم، فقال رجل منهم: أردتَ يا أمير المؤمنين أن تُرِيَنا ما جدّد اللَّه لك من نعمته وإحسانه؛ فقال: نعم، ولكنِّي:

أُشْهِدُ اللَّهَ وَالمَلائِكَةَ الأَبْـ ـرار وَالعابِدينَ أَهلَ الصَّلاحِ
أَنَّني أَشتَهي السَّماعَ وَشُربَ الرْ راحِ وَالعَضَّ في خُدودِ المِلاحِ
وَالنَّديمَ الكَريمَ وَالخادِمَ الفا رِهِ يَسعى عَلَيَّ بِالأَقداحِ

[الخفيف]

قوموا إذا شئتم.

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا: حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني إسحاق قال:

عُرضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيَّة مولَّدة يقال لها سعاد، فقال لها: أيّ شيء تُحسنين؟ فقالت: أنا مُغَنِّيَة، فقال لها: غنِّيني، فغنَّت:

صوت

لَولا الَّذي حُمِّلتُ مِن حُبِّكُم لَكانَ في إِظهارِهِ مَخرَجُ
أَو مَذهَبٌ في الأَرضِ ذو فُسحَةٍ أَجَل وَمَن حَجَّت لَهُ مَذحِجُ
لَكِن سَباني مِنكُمُ شادِنٌ مُرَبَّبٌ ذو غُنَّةٍ أَدعَجُ
أَغَرُّ مَمكورٌ[1] هَضيمُ الحَشى قَد ضاقَ عَنهُ الحَجْلُ والدُّمْلُجُ

[السريع]

ـ الشعر للحارث بن خالد[2]. والغناء لابن سُريج خفيفُ رمل بالبنصر. وفيه لدَحمان هَزَج بالوسطى، وذكر الهشاميّ أن الهزج ليحيى المكيّ ـ فطرب طرباً شديداً

(١) قال أبو عبيد: قال الأصمعي: الممْكُورَةُ من النساء: المطوية الخَلْقِ. وقال الليث: المَكْرُ: حسن خدالة الساق. يقال: هي ممكورة: مرتوية الساق خدلة، شُبِّهت بالمكر من النبات.

(٢) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش. شاعر غزل، من أهل مكة نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء. وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها، وله معها أخبار كثيرة. ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد اللَّه بن الزبير، فاستتر الحارث خوفاً، ثم رحل إلى دمشق وافداً على عبد الملك بن مروان فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة وتوفي بها سنة ٨٠هـ.

وقال: يا غلام اسقني، فسقاه عشرين قدحاً وهو يستعيدها. ثم قال لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للحارث بن خالد. قال: وممن أخذتيه؟ قالت: من حُنَين. قال: وأين لقِيتِه؟ قالت: رُبيتُ بالعراق وكان أهلي يجيئون به فيُطارحني. فدعا صاحبَه فقال: اذهب فابتعها بما بلغت ولا تُراجعني في ثمنها ففعل، ولم تزل عنده حظيَّة.

[شربه الخمر بجرن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني عبيد اللَّه بن عمَّار قال: حدّثني عبيد اللَّه بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال: حدّثنا العبَّاس بن الوليد قال: حدّثنا ضَمرة قال: خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الدّيارات فنزل فيه وهو والٍ على الرَّملة، فسأل صاحب الدَّير: هل نزلَ بك أحدٌ من بني أميّة؟ قال: نعم، نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك. قال: فأيّ شيءٍ صنعا؟ قال: شربا في ذلك الموضع، ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما، ثم قال أحدهما لصاحبه: هلمَّ نشرب بهذا الجرن[1] ـ وأومأ إلى جرنٍ عظيم من رخام ـ قال: أفعلُ، فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثمِلا. فقال عبد الوهاب لمولىً له أسود: هاتِه. قال ضمرة: وقد رأيتُه وكان يوصف بالشدّة، فذهب يحرّكه فلم يقدر. فقال الراهب: واللَّه لقد رأيتهما يتعاطيانِه وكلُّ واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غيرَ مكترث.

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا أبو غسَّان محمد بن يحيى قال: وَفَدَ سعد بن مُرّة بن جُبَير مولى آل كثير بن الصَّلت، وكان شاعراً، على الوليد بن يزيد، فعرَض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزَّه له، فصاح به: يا أمير المؤمنين، وافدُك وزائرك ومؤمِّلُك، فتبادر الحرس إليه ليصدّوه عنه، فقال: دعوه، ادنُ إليَّ فدنا إليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعر، قال: تريد ماذا؟ قال: تسمع منّي أربعة أبياتٍ، قال: هاتِ.

صـــوت

شِمْنَ المخايلَ نحو أرضِك بالحيا ولَقِين ركبانا بعُرفك قُفَّلاَ

[الكامل]

قال: ثمَّ مَهْ، قال:

فَعَمَدن نحوَك لم يُنَخن لحاجة إلا وقوعَ الطير حتى تَرحلا

(١) الجرن: حجر مثقوب يصب فيه الماء، فيتوضأ به.

قال: إنّ هذا السير حثيث؛ ثم ماذا؟ قال:

يـعـمِـدْن نـحـو مُـوطِّـىءٍ حـجـراتِـهِ كَـرَمـاً ولـم تـعـدِل بـذلـك مَـعـدِلا

قال: فقد وصلتَ إليه، فمه؛ قال:

لاحَـتْ لـهـا نـيـرانُ حَـيَّـيْ قَـسـطَـلٍ[1] فـاخـتـرن نـارك فـي الـمـنـازل مـنـزلا

[الكامل]

قال: فهل غيرُ هذا؟ قال لا، قال: أَنْجحت وِفادتُك، ووجبت ضيافتك؛ أعطوه أربعة آلاف دينار، فقبضها ورحل.

الغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ.

رجعت الرواية إلى حديث المدائني قال:

[مسلمة بن هشام وزوجته]

لمَّا قدِمَ العبّاس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هِشام وولده سوى مَسلمة بن هشام فإنّه كان كثيراً ما يَكُفّ أباه عن الوليد ويكلّمه فيه ألّا يَعرضَ له ولا يدخل منزله. وكانت عند مسلمة أمُّ سلمة بنت يعقوب المخزوميَّة، وكان مَسلمة يشرب. فلمَّا قدم العبّاس لإحصاء ما كتب إليه الوليد، كتبت إليه أم سَلمة: ما يُفيق من الشراب ولا يهتمّ بشيءٍ مما فيه إخوتُه ولا بموتِ أبيه. فلما راح مسلمة بن هشام إلى العبّاس قال له: يا مسلمة، كان أبوك يرشّحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك، وأنَّبه وعاتبه على الشراب، فأنكر مسلمة ذلك وقال: من أخبرك بهذا؟ قال: كتبتْ إليّ به أمّ سَلَمة، فطلَّقها في ذلك المجلس، فخرجت إلى فِلسطين، وبها كانت تنزل، وتزوّجها أبو العبّاس السفّاح هناك.

وسَلْمى التي عناها الوليدُ هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان، وأمها أمُّ عمرو بنت مروان بن الحكم، وأمّها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ.

فأخبرني محمد بن أبي الأزْهر قال: حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلَّام وعن المدائنيّ عن جُويرية بن أسماء: أنّ يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قُرَين[2] مُتَبدِّياً به، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان،

(١) قسطل: موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة.

(٢) قرين: موضع باليمامة يسمى قرين نجدة، قتل عنده نجدة الحروريّ.

وكانت بنته أمّ عبد الملك، واسمها سَعدة، تحت الوليد بن يزيد. فمرض سعيدٌ في ذلك الوقت، وجاءه الوليد عائداً، فدخلَ فلمح سلمى بنت سعيد أختَ زوجته وسترها حواضِنها وأختها فقامت ففرَعتْهن[1] طولاً، فوقعت بقلب الوليد. فلما مات أبوه طلّق أمَّ عبد الملك زوجتَه وخطبَ سلمى إلى أبيها. وكانت لها أخت يقال لها أُمّ عثمان تحت هشام بن عبد الملك، فبعثتْ إلى أبيها ـ وقيل: بعث إليه هشام ـ: أتريد أن تستفحلَ الوليدَ لبناتك يطلّق هذه وينكِح هذه! فلم يزوِّجه سعيد وردَّه أقبحَ ردّ. وهويها الوليد ورام السلوَّ عنها فلم يَسلُ، وكان يقول: العجب لسعيد! خطبتُ إليه فردّني، ولو قد مات هشام ووليتُ لزوّجني! وهي طالق ثلاثاً إن تزوّجتها حينئذٍ وإنْ كنت أهواها. فيقال: إنه لما طلّق سعدة ندِم على ذلك وغَمّه. وكان لها من قلبه محلٌّ ولم تحصُل له سَلمى، فاهتمّ لذلك وجزع. وأرسل سَعدة، وقد كانت زُوِّجت غيرَه فلم ينتفع بذلك.

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ والحسن بن عليّ قالا: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: حدّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجَهم قال: حدثنا المدائنيّ قال:

بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلّق امرأته، فقال: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلّغ رسالتي سَعدةَ، فقال: أحضِر العشرةَ الآلاف الدرهم حتى أنظر إليها، فأحضرها الوليد، فوضعها أشعبُ على عنقه وقال: هات رسالتك، قال: قلْ لها يقولُ لك أمير المؤمنين:

أَسَعدَةُ هَل إلَيكِ لَنا سَبيلٌ ... وَهَل حَتّى القِيامَةِ مِن تَلاقي
بَلى وَلَعَلَّ دَهراً أَن يُؤاتي ... بِمَوتٍ مِن حَليلِكِ أَو طَلاقِ
فَأُصبِحَ شامِتاً وَتَقَرَّ عَيني ... وَيُجمَعَ شَملُنا بَعدَ افتِراقِ

[الوافر]

فأتى أشعبُ الباب فأُخبرتْ بمكانه، فأمرت بفُرُش له، ففُرشت وجلست وأذِنت له. فلمّا دخل أنشدها ما أمره؛ فقالت لخدمها: خذوا الفاسقَ! فقال: يا سيِّدتي إنها بعشرة آلاف درهم. قالت: واللَّه لأقتلنّك أو تبلّغه كما بلَّغتني، قال: وما تَهَبينَ لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقامت فطواه وجعله إلى جانبه، ثم قال: هات رسالتك جُعِلتُ فِداك، قالت: قل له:

(١) فرعتهن: علتهن.

أتبكِي على لُبْنى وأنت تركتَها فقد ذَهَبَتْ لبنى فما أنت صانعُ
[الطويل]

فأقبل أشعب فدخل على الوليد؛ فقال: هِيه، فأنشده البيت؛ فقال: أوَّهْ قتلتني يا بن الزانية! ما أنا صانع، فاختر أنت الآن ما أنت صانع يا بن الزانية، إما أن أُدَلِّيك على رأسك منكَّساً في بئر أو أرمي بك منكَّساً من فوق القصر أو أضربَ رأسكَ بعمودي هذا ضربةً، هذا الذي أنا صانع، فاخترْ أنت الآن ما أنت صانع، فقال: ما كنتَ لتفعل شيئاً من ذلك، قال: ولمَ يا بن الزانية؟ قال: لم تكن لتعذّب عينين نظرتا إلى سَعدة. قال: أوَّه! أفلتَّ واللَّه بهذا يا بن الزانية! اخرج عنّي. وقال الحسن في روايته: إنها قالت له أنشِدْه:

أتبكي على لُبْنَى وأنت تركتها وأنت عليها بالمَلاَ[1] كُنْتَ أقدرُ
[الطويل]

وفي هذه الأبيات غناء هذه نسبتُه:

صـوت

أَرى بَيتَ لُبنى أَصبَحَ اليَومَ يُهجَرُ وَهُجرانُ لُبنى يا لَكَ الخَيرُ مُنكَرُ
فَإِن تَكُنِ الدُّنيا بِلُبنى تَغَيَّرَت[2] فالدّهر[3] والدُّنيا بُطونٌ وَأَظهُرُ
أَتَبكي عَلى لُبنى وَأَنتَ تَرَكتَها وَأَنتَ عَلَيها بِالحَرا[4] كنت أَقدَرُ
[الطويل]

عروضُه من الطويل. والشعر لقَيس بن ذَريح. والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقيل أوّلُ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ. وفيهما لعَريب رملٌ بالبنصر. وفيه لشاريةَ خفيفُ رمل بالوسطى عن الهشاميّ. وفي الأوّل خفيفُ ثقيل مجهول.

قال ابن سَلَّام والمدائنيّ في خبرهما: وخرج الوليد بن يزيد يريد فَرْتَنَى[5] لعلّه

(١) الملا: موضع بعينه.
(٢) ورد في بعض المصادر«تقلَّبت» بدل «تغيّرت».
(٣) ورد في بعض المصادر «عليّ» بدل«فالدهر».
(٤) الحَراة: الساحةُ والعَقْوَةُ والناحيةُ، وكذلك الحَرَا، مقصور. يقال: اذْهَبْ فلا أَرَيَنَّكَ بِحَرايَ وحَرَاتِي. ويقال: لا تَطُرْ حَرَانا أَي لا تَقْرَبْ ما حولنا. وفي حديث رجل من جُهَينة: لم يكن زيد بنُ خالد يَقْرَبه بِحَراهُ سُخْطاً للَّه عز وجل؛ الحَرَا، بالفتح والقصر: جَنابُ الرجل. والحَرَا والحَرَاةُ: ناحيةُ الشيء. والحَرَا: موضع البَيْض.
(٥) فرتنى: قصر بمرو الروذ.

يراها؛ فَلَقِيه زيَّات معه حمار عليه زيت؛ فقال له: هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتُعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك؟ ففعل الزيَّات ذلك. وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكّراً حتى دخل قصرَ سعيد، فنادى. من يشتري الزيت؛ فاطّلع بعضُ الجواري فرأينه فدخلن إلى سَلمى وقُلنَ: إنَّ بالباب زيَّاتاً أشبهَ النّاس بالوليد، فاخرجي فانظري إليه، فخرجت فرأته ورآها، فرجعت القَهْقَرى وقالت: هو واللَّه الفاسق الوليد! وقد رآني! فقلن له: لا حاجةَ بنا إلى زيتك؛ فانصرف وقال:

إِنَّـــنـــي أَبـــصَـــرتُ شَـــيـــخـــاً حَـــسَـــنَ الـــوَجـــهِ مَـــلـــيـــحْ
ولِـــبـــاســـي ثـــوب شـــيـــخ مِـــن عَـــبـــاءٍ وَمُـــســـوح
وَأَبـــيـــعُ الـــزَّيـــتَ بَـــيـــعـــاً خـــاسِـــراً غَـــيـــرَ رَبـــيـــح

[مجزوء الرمل]

وقال أيضاً:

فَـمـا مِـسـكٌ يُـعَـلُّ بِـزَنـجَـبـيـلٍ وَلا عَـسَـلٌ بِـأَلـبـانِ الـلِّـقـاحِ
بِـأَشـهـى مِـن مُـجـاجَـةِ ريـقِ سَـلـمـى وَلا مـا فـي الـزِّقـاقِ مِـن الـقَـراحِ
وَلا وَالـلَّـهِ لا أَنـسـى حَـيـاتـي وثـاقَ الـبـابِ دونـي وَاطِّـراحـي

[الوافر]

قال: فلمّا ولِي الخلافةَ أشخص إلى المُغَنِّين فحضروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووهما. فقال لابن عائشة: يا محمد، إن غنَّيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم، فغنَّاه قولَه:

إِنَّـــنـــي أَبـــصَـــرتُ شَـــيـــخـــاً

وغنَّاه:

فَـمـا مِـسـكٌ يُـعَـلُّ بِـزَنـجَـبـيـلٍ

الأبيات؛ فقال الوليد: ما عدوتَ ما في نفسي؛ وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخِلَع، وأمر لسائر المُغَنِّين بدون ذلك.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صـــوت

فَـمـا مِـسـكٌ يُـعَـلُّ بِـزَنـجَـبـيـلٍ وَلا عَـسَـلٌ بِـأَلـبـانِ الـلِّـقـاحِ

بِـأَشـهـى مِـن مُـجـاجَـةِ ريـقِ سَـلـمـى وَلا مـا فـي الـزِّقـاقِ مِـن الـقَـراحِ
[الوافر]

غَنَّاه ابن عائشة، ولحنُه ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحمَّاد بن إسحاق.

قال المدائنيّ وابن سَلّام: فلمّا طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد:

أَبـا عُـثـمـانَ هَـل لَـكَ فـي صَـنـيـعٍ تُـصـيـبُ الـرُّشـدَ فـي صِـلَـتـي هُـديـتـا
فَـأَشـكُـرَ مِـنـكَ مـا تُـسـدي وَتُـحـيـي أَبـا عُـثـمـانَ مَـيِّـتَـةً وَمَـيـتـا
[الوافر]

قالوا: فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولِيَ الخلافةَ، فلما ولِيها زوَّجَه إياها؛ فلم يلبث إلَّا مدّة يسيرةً حتى ماتت. وقال فيه ليلة زُفَّت إليه:

خَـفَّ مِـن دارِ جـيـرَتـي يـابـن داود أُنـسُـهـا
[مجزوء الخفيف]

وهي طويلة. وفيها ممّا يغنّى به:

أَوَ لا تـخـرج الـعـرو سُ فـقـد طـال حَـبْـسُـهـا
قـد دنـا الـصـبـحُ أو بـدا وهـي لـم يُـقـضَ لُـبْـسُـهـا
بَـرَزَتْ كـالـهـلالِ فـي لـيـلـةٍ غـابَ نـحـسُـهـا
بـيـن خـمـس كـواعـبٍ أكـرمُ الـخـمـس جـنـسُـهـا
[مجزوء الخفيف]

غناءُ ابنِ سُرَيج، فيما ذكره حَبَش، رملٌ بالبنصر، أوّله:

خَـفَّ مِـن دارِ جـيـرَتـي

وغناء معبد فيه خفيفُ ثقيلٍ، أوّله:

ومـتـى تـخـرج الـعـروسُ

في رواية الهشاميّ وابن المكيّ. وغناء عمر الواديّ في الأربعة الأبيات الأخر خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو. وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشاميّ أنّ فيه هزجاً بالوسطى ينسب إلى حكم وإلى أبي كامل وإلى عمر.

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثنا الأصمعيّ قال: رأيت حكماً الوادي قد تعرّض للمهديّ وهو يريد الحجّ، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة، فأخرج دفاً له فنقر فيه وقال: أَنا، أطال اللَّه بقاءك، القائل:

ومَـــتَـــى تـــخـــرج الـــعـــرو سُ فـــقـــد طـــال حَـــبْـــسُـــهـــا
قـــد دنـــا الـــصـــبـــحُ أو بـــدا وهـــي لـــم يُـــقـــضَ لُـــبْـــسُـــهـــا

[مجزوء الخفيف]

قال: فتسرّع إليه الحرس، فصِيحَ بهم، وإذا هو حكم الوادي؛ فأُدخل إليه المَضرِبُ فوصله وانصرف.

نسبة أوَلا تخرج العروس ـ قال: الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لعمر الوادي. وفيه لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر في مجرى البنصر وخفيفُ رملٍ بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق؛ وذكر حكم الواديّ أن الهزج له، وذكر إسحاق أن لحن حَكم خفيفُ رملٍ بالخنصر في مجرى الوسطى. وقال في كتاب يحيى: إنَّ هذا اللحن لعمر الواديّ. وذكر الهشاميّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمعبد ورملاً لابن سُريج. وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه للدَّلال خفيفَ ثقيل أوّل بالبنصر.

[رثاؤه لسلمى]

وقال المدائنيّ: مكثتْ عنده سلمى أربعينَ يوماً ثمَّ ماتتْ، فقال:

أَلَـمّـا تَـعـلَـمـا سَـلـمـى أَقـامَـت مُـضَـمِّـنَـةً مِـنَ الـصَّـحـراءِ لَـحـدا
لَـعَـمـرُكَ يـا وَلـيـدُ لَـقَـد أَجَـنّـوا بِـهـا حَـسَـبـاً وَمَـكـرُمَـةً وَمـجـداً
وَوَجـهـاً كـانَ يَـقـصُـرُ عَـن مَـداهُ شُـعـاعُ الـشَّـمـسِ أَهـلٌ أَن يُـفَـدّى
فَـلَـم أَرَ مَـيِّـتـاً أَبـكـى لـعَـيـنٍ وَأَكـثَـرَ جـازِعـاً وَأَجَـلَّ فَـقـدا
وَأَجـدَرَ أَن تَـكـونَ لَـدَيـهِ مِـلـكـاً يُـريـكَ جَـلادَةً وَيُـسِـرُّ وَجـدا

[الوافر]

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنّى المغنّون فيها.

منها:

صـوت

عَـرَفـتُ الـمَـنـزِلَ الـخـالـي عَـفـا مِـن بَـعـدِ أَحـوالِ
عَـفـاهُ كُـلُّ حَـنّـانٍ عَـسُـوفِ الـوَبـلِ هَـطّـالِ
لِـسَـلـمـى قُـرَّةِ الـعَـيـنِ وَبِـنـتِ الـعَـمِّ وَالـخـالِ

بَـذَلـتُ الـيَـومَ فـي سَـلـمـى خِـطـاراً[١] أَتـلَـفَـت مـالـي
كَـأَنَّ الـريـقَ مِـن فـيـهـا سَـحـيـقٌ[٢] بَـيـنَ جِـريـالِ[٣]

[الهزج]

غنّاه عمر الواديّ هزجاً بالوسطى عن عمرو. وذكر ابن خُرْداذبه أنّ هذا اللحن للوليد بن يزيد. وفيه رملٌ ذكر الهشاميّ أنّه لابن سريج.

ومنها وهو الصوت الذي غَنَّاه أبو كامل فأعطاه الوليدُ قَلَنْسِيتَه:

صـوت

مَـنـازِلُ قـد تَـحُـلّ بـهـا سـلـيـمـى دَوَارِسُ قـد أضـرَّ بـهـا الـسِّـنـونُ
أُمِـيـتُ الـسـرَّ حـفـظـاً يـا سـلـيـمـى إذا مـا الـسـرّ بـاح بـه الـحَـزُونُ[٤]

[الوافر]

غنّاه أبو كامل من الثقيل الأوّل. وفيه لابن سُريج، ويُقالُ للغريض، خفيفُ ثقيل أوَّل بالوسطى عن الهشاميّ، وقيل: إنه لحكم أو لعمر الوادي.

ومنها:

صـوت

أَرانـي قَـد تَـصـابَـيـتُ وَقَـد كُـنـتُ تَـنـاهَـيـتُ[٥]
وَلَـو يَـتـرُكُـنـي الـحُـبُّ لَـقَـد صُـمـتُ وَصَـلَّـيـتُ
إِذا شِـئـتُ تَـصَـبَّـرتُ وَلا أَصـبِـرُ إِن شـيـتُ
وَلا وَالـلَّـهِ لا يَـصـبِـرُ فـي الـدَّيـمـومَـةِ[٦] الـحـوتُ

(١) الخطار: جمع خطر(بالتحريك) وهو السبق الذي يترامى عليه في الرهان.
(٢) السحيق: المسك.
(٣) الجِرْيالُ: صِبْغٌ أحمرُ، عن الأصمعي. وجِرْيالُ الذهبِ: حُمْرَتُهُ. قال الأعشى:
إذ جُرِّدَتْ يوماً حسِبتَ خميصةً عليها وجِريالَ النَّضير الدلامصا
والجِرْيالُ: الخمرُ، وهو دون السُّلافِ في الجودة. ويقال: جِرْيالُ الخمر: لونُها.
(٤) الحزون: الكثير الحزن.
(٥) في هذا الشعر السناد، وهو أحد عيوب القافية.
(٦) الديمومة: الصحراء البعيدة.

سُلَيمى لَيسَ لي صَبرٌ وَإِن رَخَّصتِ لي جيتُ
فَقَبَّلتُكِ أَلفينِ وَفَدَّيتُ وَحَيَّيتُ
أَلا أَحبِب بِزَورٍ زا رَ مِن سَلمى بِبَيروتِ[1]
غَزالٌ أَدعَجُ العَينِ نَقِيُّ الجيدِ وَاللِّيتِ[2]

[الهزج]

غنّاه ابنُ جامع في البيتين الأولين هزجاً بالوسطى، وغنَّاه أبو كامل في الأبيات كلها على ما ذكرتْ بَذْلٌ ولم تجنِّسه. وغنّى حكم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيفَ رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشاميّ.

ومنها:

صوت

عَتَبَت سَلمى عَلَينا سَفاها أَن سَبَبتُ اليَومَ فيها أَباها
كانَ حَقُّ العَتبِ يا قَومُ مِنّي لَيسَ مِنها كانَ قَلبي فِداها
فَلَئِن كُنتُ أَرَدتُ بِقَلبي لِأَبي سَلمى خِلافَ هَواها
فَثَكِلتُ اليَومَ سَلمى فَسَلمى مَلأَت أَرضي مَعاً وَسَماها
غَيرَ أَنّي لا أَظُنُّ عَدُوًّا قَد أَتاها كاشِحاً بِأَذاها
فَلَها العُتبى لَدَينا وَقَلَّت أَبَداً حَتّى أَنالَ رِضاها

[المديد]

غنَّاه أبو كامل خفيفَ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليحيى المكيّ ثقيل أوّل من رواية عليّ بن يحيى. وفيه رمل يقال: إنه لابن جامع، ويقال: بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضاً.

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمَّار قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: حدَّثني عبد اللَّه بن عمرو قال: لَقِيَ سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو يملٌ فقال له: يا أبا عثمان، أترُدُّني على سلمى! وكأني بك لو قد وَليتُ الخلافةَ خطبتَني فلم أُجبْك، وإن تزوّجْتُها حينئذٍ فهي طالق ثلاثاً. فقال له سعيد: إن المرء يجعل كريمته

(١) ورد هذا البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
ألا يا حبذا شخص حمت لقياه بيروت

(٢) الليت: صفحة العنق.

عند مثلك لحقيقٌ بأكثر مما قلت، فأمضَّه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا. وبلغ الوليدَ أنّ سلمى جزِعت لِما جرى وبكت وسبَّت الوليد ونالت منه؛ فقال:

عَـتَـبَـت سَـلـمـى عَـلَـيـنـا سَـفـاهـا أَن سَـبَـبـتُ الـيَـومَ فـيـهـا أَبـاهـا

[المديد]

وذكر الأبيات. وقال أيضاً في ذلك:

صـوت

عَـلـى الـدُّورِ الَّـتـي بَـلِـيَـت سَـفـاهـا[1] قِـفـا يـا صـاحِـبَـيَّ فَـسـائِـلاهـا

دَعَـتـكَ صَـبـابَـةٌ وَدَعـاكَ شَـوقٌ وَأَخـضَـلَ دَمـعُ عَـيـنِـكِ مَـأقِـيـاهـا[2]

وَقـالَـت عِـنـدَ هَـجـوَتِـنـا أَبـاهـا أَرَدتَ الـصـرمَ فَـانـتَـدِهِ انـتِـداهـا[3]

أَرَدتَ بِـعـادَنـا بِـهِـجـاءِ شَـيـخـي وَعِـنـدَكَ خُـلَّـةٌ تَـبـغـي هَـواهـا

فَـإِن رَضِـيَـت فَـذاكَ وَإِن تَـمـادَت فَـهَـبـهـا خُـطَّـةً بَـلَـغَـت مَـداهـا

[الوافر]

ـ غنَّاه مالك بن أبي السَّمح خفيفَ رمل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وللَّهُذليّ فيه ثاني ثقيل بالوسطى عن يونس والهشاميّ؛ وذكر حبش: أنّ الثقيل الثاني لإسحاق ـ يعني بقوله:

أَرَدتَ بِـعـادَنـا بِـهِـجـاءِ شَـيـخـي

أنه كان هجا سعيد بن خالد، فقال:

وَمَـن يَـكُ مِـفـتـاحـاً لِـخَـيـرٍ يُـريـدُهُ فَـإِنَّـكَ قُـفـلٌ يـا سَـعـيـدُ بـنُ خـالِـدِ

[الطويل]

قال المدائنيّ: لمَّا غضِبتْ سلمى من هجائه أباها قال يعتذر إليه بقوله:

أَلا أَبـلِـغ أَبـا عُـثـمـا نَ عِـذرَةَ مُـعـتِـبٍ أَسِـفـا

فَـلَـسـتُ كَـمَـن يَـوَدُّكَ بِـالـ ـلِـسـانِ وَيُـكـثِـرُ الـحَـلِـفـا

عَـتَـبـتَ عَـلَـيَّ فـي أَشـيـا ءَ كـانَـت بَـيـنَـنـا سَـرَفـا

(١) السفا: الرمل، والسفاة: الكبة منه.

(٢) مأقي العين: وهو مجرى الدمع من العين.

(٣) انتده انتداهاً: ازدجر ازدجاراً.

فَــلا تُــشــمِــت بِــيَ الأَعــدا ءَ وَالــجــيــرانَ مُــلــتَــهِــفــا
تَــوَدُّ لَــو أَنَّــنــي لَــحــمٌ رَأَتــهُ الــطَّــيــرُ فَــاخــتُــطِــفــا
وَلا تَــرفَــع بِــهِ رَأســاً[1] عَــفــا الــرَّحــمــنُ مــا سَــلَــفــا

[مجزوء الوافر]

ومنها وهو من سخيف شعره:

صــوت

خَــبَّــرونــي أَنَّ سَــلــمــى خَــرَجَــت يَــومَ الــمُــصَــلّــى
فَــإِذا طَــيــرٌ مَــلــيــحٌ فَــوقَ غُــصــنٍ يَــتَــفَــلّــى
قُــلــتُ مَــن يَــعــرِفُ سَــلــمــى قــالَ هــا ثُــمَّ تَــعَــلّــى
قُــلــتُ يــا طَــيــرُ ادنُ مِــنّــي قــالَ هــا ثُــمَّ تَــدَلّــى
قُــلْــتُ هــل أبــصــرتَ سَــلــمــى قــال لا ثــم تــولَّــى
فَــنَــكــا[2] فــي الــقــلــب كَــلْــمــاً[3] بــاطــنــاً ثــم تــعــلّــى

[مجزوء الرمل]

فيه ثقيل أوّل بالبنصر مطلق، ذكر الهشاميّ أنه لأبي كامل ولعمر الوادي، وذكر حبش أنه لدحمان.

ومنها:

صــوت

اِســقِــنــي يــا ابــنَ ســالِــم قَــد أَنــارا كَــوكَــبُ الــصُّــبــحِ وَانــجَــلــى وَاســتَــنــارَا
اِســقِــنــي مِــن سُــلافِ ريــقِ سُــلَــيــمــى وَاســقِ هــذا الــنَّــديــمَ كَــأســاً عُــقــارا

[الخفيف]

غنّاه ابن قندح ثانيَ ثقيل بالوسطى من رواية حبش.

---

(١) يريد الشاعر بهذا البيت: لا تذكره ولا تعلنه.
(٢) نكأ نَكَأْتُ القَرْحَةَ أَنْكَؤُها نَكأً، إذا قشرتها. وقال متمِّم بن نويرة:
ولا تَــنْــكَــئــي قَــرْحَ الــفــؤادِ فــيــيــجــعــا
وقولهم: هُنِّئْتَ ولا تُنْكَأُ، أي هَنَّأَكَ اللّه بما نلتَ، ولا أصابك بوجعٍ.
(٣) الكلم: الجرح.

[شعر يشف عن ملك]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمّي عبيد اللَّه قال: حدّثني أبي:

أنَّ المأمون قال لمن حضره من جلسائه: أنشدوني بيتاً لملك يدلّ البيتُ وإنْ لم يُعرف قائلُهُ أنه شعر ملكٍ، فأنشده بعضهم قولَ امرىء القيس:

أَمِنْ أجل أعرابيَّة حلّ أهلُها ... جَنُوبَ المَلاَ[1] عيناكَ تَبتدِرانِ[2]

[الطويل]

قال: وما في هذا مما يدلّ على مُلكِهِ قد يجوز أن يقول هذا سُوقةٌ من أهل الحَضَر، فكأنّه يؤنِّبُ نفسه على التعلّق بأعرابيَّة، ثم قال: الشعر الذي يدُلّ على أن قائله مَلِكٌ قولُ الوليد:

اسقِني مِن سُلافِ ريقِ سُلَيمى ... وَاسقِ هذا النَّديمَ كَأساً عُقارا

[الخفيف]

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك. ومثل قوله:

لِيَ المَحضُ مِن وُدِّهِم ... وَيَغمُرُهُم نائِلي

[مجزوء المتقارب]

وهذا قول من يقدِر بالمُلك على طَويَّات الرجال، يبذل المعروف لهم ويُمكنه استخلاصُها لنفسه.

وفي هذا البيت مع أبيات قبله غناء وهو قوله:

صوت

سَقَيتُ أَبا كامِلٍ ... مِنَ الأَصفَرِ البابِلي

وَسَقَّيتُها مَعبَداً ... وَكُلَّ فَتى بازِلِ[3]

لِيَ المَحضُ مِن وُدِّهِم ... وَيَغمُرُهُم نائِلي

فَما لامَني فيهِمُ ... سِوى حاسِدٍ جاهِلِ

[مجزوء المتقارب]

---

(١) الملا: موضع محدد.

(٢) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

أَمِن ذِكرِ نَبهانِيَّةٍ حَلَّ أَهلُها ... بِجِزعِ المَلا عَيناكَ تَبتَدِرانِ

(٣) ورد في بعض المصادر «فاضل» بدل «بازل». والبازل: الكامل في عقله وتجربته.

غنَّاه أبو كامل ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

ومنها وهو من مُلَح شعره:

صوت

أَراني اللَّهُ يا سَلمى حَياتي ... وَفي يَومِ الحِسابِ كَما أَراكِ
أَلا تَجزينَ مَن تَيَّمتِ عَصراً ... وَمَن لَو تَطلُبينَ لَقَد قَضاكِ
وَمَن لَو مُتِّ ماتَ وَلا تَموتي ... وَلَو أنسى لَهُ أَجَلٌ[1] بَكاكِ
وَمَن حَقّاً لَو اعطِي ما تَمَنّى ... مِنَ الأَرضِ العَريضَةِ ما عَداكِ
وَمَن لَو قُلتِ مُتْ فَأَطاقَ مَوتاً ... إِذاً ذاقَ المَماتَ وَما عَصاكِ
أَثيبي عاشقاً[2] كَلِفاً مُعَنّى ... إِذا خَدِرَت لَهُ رِجلٌ دَعاكِ

[الوافر]

كانت العرب تقول: إنّ الإنسان إذا خدِرتْ قدمه باسم أحبِّ النّاس إليه فسكنتْ. في الخبر أن رِجْل عبد اللَّه بن عمر خدِرتْ، فقيل له: ادع باسم أحبّ الناس إليك، فقال: يا رسول اللَّه، صلَّى اللَّه على رسول اللَّه وعلى آله وسلَّم. ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لِسنان الكاتب، وذكرت دنانيرُ أنه لحكم ولم تجنِّسه.

ومنها:

صوت

وَيحَ سَلمى لَو تَراني ... لَعَناها ما عَناني
مُتلِفاً في اللَّهوِ مالي ... عاشِقاً حورَ القِيانِ
إِنَّما أَحزَنَ قَلبي ... قَولُ سَلمى إِذ أَتاني
وَلَقَد كُنتُ زَماناً ... خالِيَ الذَّرعِ لِشاني
شاقَ قَلبي وَعَناني ... حُبُّ سَلمى وَبَراني
وَلَكَم لامَ نَصيحٌ ... في سُلَيمى وَنَهاني

[مجزوء الرمل]

---

(١) أنسأ اللَّه أجله: أخره.

(٢) ورد في بعض المصادر «هائماً» بدل «عاشقاً».

غنَّته فريدة خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقيل أوّل ينسب إلى معبد؛ وهو فيما يذكرُ إسحاق يُشبه غناءه وليس تُعرف صحَّتُه له، وذكر كثير الكبير أنه له، وذكر الهشاميّ أنّه لابن المكيّ. وفيه لحكَم هزجٌ صحيح.

ومنها:

صـوت

بَـلِّـغـا عَـنّـي سُـلَـيـمـى وَسَـلاهـا لِـيَ عَـمّـا
فَـعَـلَـت فـي شَـأنِ صَـبٍّ دَنِـفٍ أُشـعِـرَ هَـمّـا
وَلَـقَـد قُـلـتُ لِـسَـلـمـى إِذ قَـتَـلـتُ الـبَـيـنَ عِـلـمـا
أَنـتِ هَـمّـي يـا سُـلَـيـمـى قَـد قَـضـاهُ الـرَّبُّ حَـتـمـا
نَـزَلَـت فـي الـقَـلـبِ قَـسـراً مَـنـزِلاً قَـد كـانَ يُـحـمـى

[مجزوء الرمل]

غنَّاه حَكَمٌ خفيفَ ثقيلٍ. ولعمر الوادي فيه خفيفُ رملٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

ومنها:

صـوت

يـا سُـلَـيـمـى يـا سُـلَـيـمـى كُـنـتِ لِـلـقَـلـبِ عَـذابـا
يـا سُـلَـيـمـى ابـنَـةَ عَـمّـي بَـرَدَ الـلَّـيـلُ وَطـابـا
أَيُّـمـا واشٍ وَشـى بـي فَـامـلـئـي فـاهُ تُـرابـا
ريـقُـهـا فـي الـصُّـبـحِ مِـسـكٌ بـاشَـرَ الـعَـذبَ الـرُّضـابـا

[مجزوء الرمل]

غنَّاه عمر الوادي هَزَجاً بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر ابن المكيّ أنّه لمعان. وفي كتاب إبراهيم أنه لعَطَرَّد.

ومنها:

صـوت

أَسَـلـمـى تِـلـكَ حُـيّـيـتِ قِـفـي نُـخـبِـركِ إِن شـيـتِ

وَقـيـلـي سـاعَـةً نَـشـكُ إِلَـيـكِ الـحُـبَّ أَو بـيـتـي
فَـمـا صَـهـبـاءُ لَـم تُـكـسَ قَـذًى مِـن خَـمـرِ بَـيـروتِ
ثَـوَت فـي الـدَّنِّ أَعـوامـاً خَـتـيـمـاً عِـنـدَ حـانـوتِ

[الهزج]

غنَّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صـوت

يـا مَـن لِـقَـلـبٍ فـي الـهَـوى مُـتَـشَـعِّـبِ بَـل مَـن لِـقَـلـبٍ بِـالـحَـبـيـبِ عَـمـيـدِ
سَـلـمـى هـواهُ فَـلَـيـسَ يـعـرِفُ[1] غَـيـرَهـا دونَ الـطَّـريـفِ وَدونَ كُـلِّ تَـلـيـدِ[2]
إِنَّ الـقَـرابَـةَ وَالـسـعـادَةَ[3] أَلَّـفـا بَـيـنَ الـوَلـيـد وَبَـيـنَ بِـنـتِ سَـعـيـدِ
يـا قَـلـبُ كَـم كَـلِـفَ الـفُـؤادُ بِـغـادَةٍ مَـمـكـورَةٍ رَيّـا الـعِـظـامِ خَـريـدِ[4]

[الكامل]

غنَّاه عمر الوادي رملاً بالبنصر عن عمرو.

ومنها:

صـوت

قَـد تَـمَـنّـى مَـعـشَـرٌ إِذ أُطـرِبـوا مِـن عُـقـارٍ وَسَـوامٍ[5] وَذَهَـب
ثُـمَّ قـالـوا لـي تَـمَـنَّ وَاسـتَـمِـع كَـيـفَ نَـنـحـو فـي الأَمـانـي وَالـطَّـلَـب
فَـتَـمَـنَّـيـتُ سُـلَـيـمـى إِنَّـهـا بِـنـتُ عَـمّـي مِـن لَـهـاميـمِ[6] الـعَـرَب

[الرمل]

---

(١) ورد في بعض المصادر «يذكر» بدل «يعرف».
(٢) التَّليد: ما وُلِد عند غيرك ثم اشترَيْتَه صغيراً فثَبتَ عندَك، والتِّلاد: ما وَلَدْتَ أَنت.
(٣) ورد في بعض المصادر «المودة» بدل «السعادة».
(٤) الخَرِيدُ والخَرِيدةُ بِهَاءٍ، والخَرُودُ، كصبور، فهي ثلاثُ لغات، من النساء: البكر التي لم تُمْسَسْ قَطُّ، أَو الخَفِرَةُ الحَيِيَّةُ الطَّوِيلَةُ السكُوتِ، الخافِضةُ الصَّوْتِ، المُتَسَتِّرَةُ، قد جَاوَزَتِ الإِعصارَ ولم تَعْنَسْ.
(٥) السوم: كلّ ما رعى من المال في الفلوات.
(٦) اللهاميم جمع لهموم، وهو الجواد، ومن المجاز جواد يلتهم الأرض، وفرس لهمٌ ولهموم من اللهاميم. وإبل لهاميم: غزارٌ أو سراع.

فيه للهذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. وذكر الهشاميّ أنّ هذا الخفيف الثقيل لخالد صامَةَ . وذكر ابن المكيّ أنّ فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى.

ومنها:

صـوت

هَـل إِلـى أُمِّ سَـعـيـدٍ مِـن رَسـولٍ أَو سَـبـيـلِ
نـاصِـحٍ يُـخـبِـرُ أَنّـي حـافِـظٌ وُدَّ خَـلـيـلِ
يَـبـذُلُ الـوُدَّ لِـغَـيـري وَأُكـافـي بـالـجَـمـيـلِ
لَـسـتُ أَرضـى لِـخَـلـيـلـي مِـن وِصـالـي بِـالـقَـلـيـلِ

[مجزوء الرمل]

غنَّاه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبّابة في مجرى الوسطى.

ومنها:

صـوت

طـافَ مِـن سَـلـمـى خَـيـالٌ بَـعـدَ مـا نِـمْـتُ فَـهَـاجـا
قُـلـتُ عُـجْ نَـحـوي أُسـائِـلْـ ـكَ عَـنِ الـحُـبِّ فَـعـاجـا
يـا خَـلـيـلـي يـا نَـديـمـي قُـم فَـأَنـفُـثْ[1] لـي سِـراجـا
بِـفَـلاةٍ لَـيـسَ تُـرعـى أَنـبَـتَـت شـيـحـاً وَحـاجـا[2]

[مجزوء الرمل]

غنَّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج فيه خفيفُ رمل بالوسطى عن حبش. ولأبي سلمى المدنيّ ثقيل أوّل عن ابن خُرْداذبه.

ومنها:

---

(١) «نَفَثَ يَنْفُثُ»، بالضَّمّ، «ويَنِفثُ»، بالكسر، نَفْثاً ونَفَثَاناً، محرّكة، «وهو كالنَّفْخِ» مع رِيقٍ، كذا في الكَشّاف. وفي النَّشْرِ: النَّفْث: شِبْهُ النَّفْخِ يكون في الرُّقْيَة ولا رِيقَ معه، فإن كان معه رِيقٌ فهو التَّفْل، وهو الأَصحّ، كذا في العِنايةَ. وفي الأذكار: قال أَهلُ اللّغةِ: النَّفْثُ: نَفْخٌ لَطِيفٌ بلا رِيقٍ.

(٢) الحاج: نبت من الحمض.

صـــوت

أُمَّ سَـــلّامٍ أَثـــيـــبـــي عـــاشِـــقـــاً ... يَـــعـــلَـــمُ الـــلَّـــهُ يَـــقـــيـــنـــاً رَبُّـــهُ
أَنَّـــكُـــم مِـــن عَـــيـــشِـــهِ فـــي نَـــفـــسِـــهِ ... يـــا سُـــلَـــيـــمـــى فَـــاعـــلَـــمـــيـــهِ حَـــسـبُـــهُ
فَـــارحَـــمـــيـــهِ إِنَّـــهُ يَـــهـــذي بِـــكُـــم ... هـــائِـــمٌ صَـــبٌّ قَـــدَ اودى قَـــلـــبُـــهُ
أَنـــتِ لَـــو كُـــنـــتِ لَـــهُ راحِـــمَـــةً ... لَـــم يـــكَـــدَّر يـــا سُـــلَـــيـــمـــى شِـــربُـــهُ

[الرمل]

غنَّاه حكَمٌ رملاً بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لابن سريج رملاً بالوسطى.

ومنها:

صـــوت

رُبَّ بَـــيـــتٍ كَـــأَنَّـــهُ مَـــتـــنُ سَـــهـــمٍ ... سَـــوفَ نَـــأتـــيـــهِ مِـــن قُـــرى بَـــيـــروتِ
مِـــن بِـــلادٍ لَـــيـــسَـــت لَـــنـــا بِـــبِـــلادٍ ... كُـــلَّـــمـــا جِـــئـــتُ نَـــحـــوَهـــا حُـــيِّـــيـــتِ
أُمَّ سَـــلّامٍ لا بَـــرِحـــتِ بِـــخَـــيـــرٍ ... ثُـــمَّ لا زِلـــتِ جَـــنَّـــتـــي مـــا حَـــيـــيـــتِ
طَـــرَبـــاً نَـــحـــوَكُـــم وَتـــوقـــاً وَشَـــوقـــاً ... لادِّكـــاريـــكُـــمُ وَطـــيـــبِ الـــمَـــبـــيـــتِ
حَـــيـــثُـــمـــا كُـــنـــتُ مِـــن بِـــلادٍ وَسِـــرتُـــم ... فَـــوقـــاكِ الإِلٰـــهُ مـــا قَـــد خَـــشـــيـــتِ

[الخفيف]

في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثقيل أول بالسبّابة في مجرى البنصر عن الهشاميّ، وذكر غيره أنه لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطى، ولابن سُريج خفيفُ رمل بالبنصر. وقيل: إن الرّمل لعمر الوادي، وهو أن يكون له أشبه.

ومنها:

صـــوت

طَـــرَقَـــتـــنـــي وَصِـــحـــابـــي هُـــجـــوعٌ ... ظَـــبـــيَـــةٌ أَدمـــاءُ مِـــثـــلُ الـــهِـــلالِ
مِـــثـــلُ قَـــرنِ الـــشَّـــمـــسِ لَـــمّـــا تَـــبَـــدَّت ... وَاســـتَـــقَـــلَّـــت فـــي رُؤوسِ الـــجِـــبـــالِ
تَـــقـــطَـــعُ الأَهـــوالَ نَـــحـــوي وَكـــانَـــت ... عِـــنـــدَنـــا سَـــلـــمـــى أُلـــوفَ الـــحِـــجـــالِ

كَـم أَجـازَت نَـحـوَنـا مِـن بِـلادٍ وَحـشَـةٍ قَـتّـالَـةٍ لِـلـرِّجـالِ

[المديد]

لابن محرز فيه ثقيل أوّل مطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث. ولابن سُريج في الأوّل وما بعده خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لابن عائشة ذكر الهشاميّ أنّه رمل بالوسطى. وفي خفيف رملٍ يُنسب إلى ابن سُريج وعمر الوادي.

ومنها:

صـوت

أَنـا الـوَلـيـدُ الإِمـامُ مُـفـتَـخِـراً أنـعِـمُ بـالـي وَأَتـبَـعُ الـغَـزَلا
أَهـوى سُـلَـيـمـى وَهْـيَ تَـصـرِمُـنـي وَلَـيـسَ حَـقًّـا جَـفـاءُ مَـن وَصَـلا
أسـحـب بُـردي إلـى مـنـازِلـهـا وَلا أُبـالـي مَـقـالَ مَـن عَـذَلا[1]

[المنسرح]

غَنَّى فيه أبو كامل رملاً بالبنصر. وغنّى عمر الوادي فيه خفيفَ رملٍ بالوسطى، ويُقال: إنّ هذا اللحن للوليد.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

قال الوليد على لسان سلمى:

صـوت

اِقـرَ مِـنّـي عَـلـى الـوَلـيـدِ الـسَّـلامـا عَـدَدَ الـنَّـجـمِ قَـلَّ ذا لِـلـوَلـيـدِ
حَـسَـداً مـا حَـسَـدتُ أُخـتـي عَـلَـيـهِ رَبُّـنـا بَـيـنَـنـا وَبَـيـنَ سَـعـيـدِ

[الخفيف]

غنَّاه الهذليّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن ابن المكيّ.

* * *

[مغاضبته صدوف]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا خالد بن النَّضْر القرشيّ بالبصرة

(١) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
أَنـقُـلُ رِجـلـي إلا مَـجـالِـسـهـا وَلا أُبـالـي مَـقـالَ مَـن عَـذَلا

قال: حدَّثنا أبو حاتم السِّجِستانيّ قال: حدَّثنا العُتْبيّ قال: كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صَدُوف، فغاضَبها، ثم لم يُطِعه قلبه فجعل يتسبَّب لصلحها، فدخل عليه رجل قرشيّ من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبَره، فبَرِمَ به؛ فأنشده:

أعَتَبْتَ أن عَتِبَتْ عليك صَدُوفُ ... وعتابُ مثلِكَ مِثْلَها تشريفُ
لا تَقْعُدَنّ تلوم نفسَكَ دائِماً ... فيها وأنت بِحُبِّها مشغوفُ
إنَّ القَطيعةَ لا يقوم لِمِثْلِها ... إلا القويّ، ومن يحبّ ضعيفُ
الحبُّ أملَكُ بالفتى من نفسِهِ ... والذلّ فيه مَسلَكٌ مألوف

[الكامل]

قال: فضِحك وجعل ذلك سبباً لصُلحها، وأمرَ بقضاءِ حوائج القرشيّ كلّها.

[استقدامه حماداً]

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: قال حمَّاد الرَّاوِيةُ: استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي، فَقَدِمْتُ عليه. فلما دَخَلْتُ دارَهُ قال لي الخدم: أميرُ المؤمنين من خَلْفِ الستارة الحمراء، فَسَلَّمْتُ بالخلافة؛ فقال لي: يا حمَّاد؛ قُلْتُ: لَبَّيْك يا أمير المؤمنين؛ قال: «ثم ثاروا»؛ فلم أدر ما يَعني فقال: ويحك يا حمَّاد! «ثم ثاروا»؛ فقلت في نفسي: راوِية أهل العراق لا يدري عمَّا يُسأل! ثم انتبهتُ فقلت:

ثم ثاروا إلى الصَّبوحِ فقامَتْ ... قَيْنةٌ في يمينِها إبريقُ
قَدَّمَتْهُ على عُقار كعينِ الـ ... ديك صفَّى سَلافَها الرَّاووق
ثم فُضَّ الختام عن حاجب الـ ... دنِّ وقامت لدى اليهوديّ سُوقُ
فسباها منه أشَمُّ عزيز ... أريحيٌّ غذاه عيش رقيق

[الخفيف]

ـ الشعرُ لعديّ بن زيد[1]. والغناءُ لِحُنَين خفيف ثقيل أوّل بالبنصر. وفيه لمالك

(١) عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هنداً بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة سنة ٣٦ق.هـ.

خفيف رمل. ولعبد اللَّه بن العبَّاس الربيعي رمل، كل ذلك عن الهشاميّ ـ قال: فإذا جارية قد أخرجتْ كفًّا لطيفة من تحت الستر في يدها قدح، واللَّه ما أدري أيّهما أحسن الكفُّ أم القدح، فقال: رُدِّيه فما أنصفناه! تغدّينا ولم نُغدِّه! فأتيتُ بالغداء، وحضر أبو كامل مولاه فغنَّاه:

صـوت

أَدِرِ الـكَـأسَ يَـمـيـنـاً ... لا تُـدِرهـا لِـيَـسـارِ
اِسـقِ هـذا ثُـمَّ هـذا ... صـاحِـبَ الـعـودِ الـنُّـضـارِ
مِـن كُـمَـيـتٍ عَـتَّـقـوهـا ... مُـنـذُ دَهـرٍ فـي جِـرارِ
خَـتَـمـوهـا بِـالأَفـاويـ ... ـهِ وَكـافـورٍ وقـارِ
فَـلَـقَـد أَيـقَـنـتُ أَنّـي ... غَـيـرُ مَـبـعـوثٍ لِـنـارِ
سَـأَروضُ الـنـاسَ حَـتّـى ... يَـركَـبـوا ديـنَ الـحِـمـارِ
وذَرُوا مـن يـطـلـب الـجـ ... ـنـة يَـسـعـى لِـتَـبَـارِ

[مجزوء الرمل]

ـ فيه هزجانِ بالوسطى وبالبنصر لعمر الوادي وأبي كامل ـ فطرِبَ وبرز إلينا وعليه غِلالة مورَّدةٌ، وشرب حتى سكر. فأقمت عنده مدّة ثم أذِن بالانصراف، وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم.

[حكايات تهتكه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيّ قال: لما وليَ الوليدُ بن يزيد لَهِج بالغِناء والشَّراب والصيد، وحَمل المغنِّين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشعب فجاء به، فألبسه سراويلَ من جلد قرد له ذَنب، وقال له: ارقُص وغنّني شعراً يُعجبني؛ فإن فعلتَ فلك ألفُ درهم؛ فغنَّاه فأعجبه فأعطاه ألف درهم.

ودخلَ إليه يوماً، فلمّا رآه الوليد كشف عن أيره وهو مُنعِظٌ ـ قال أشعب: فرأيتُه كأنّه مِزمار آبِنُوس مدهون ـ فقال لي: أرأيتَ مثلَه قط؟ قلت: لا يا سيّدي، قال: فاسجُد له، فسجدت ثلاثاً، فقال: ما هذا؟ قلت: واحدةً لأيرك وثِنتين لخُصيتيك. قال: فضحك وأمر لي بجائزة.

قال: وتكلم بعضُ جلسائه والمغنِّية تغنّي، فكرِه ذلك وأضجره، فقال لبعض جلسائه: قُمْ فَنِكْهُ، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك.

وذكرت جاريةٌ أنه واقعها يوماً وهو سكرانُ، فلما تنحّى عنها آذنه المؤذِّنُ بالصلاة، فحلف ألّا يصلّي بالناس غيرُها، فخرجت متلثِّمةً فصلّت بالنّاس.

قال: ونزل على غدير ماء فاستحسنه. فلما سكر حلف ألا يبرح حتى يشربَ ذلك الغدير كلَّه ونام، فأمر العلاءُ بن البُنْدار بالقِرَب والرَّوايا فأُحضرت، فجعل ينزَحه ويصبّه على الأرض والكُثُب التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء، فلمّا أصبح الوليد رآه قد نشِف فطرِب وقال: أنا أبو العبَّاس ارتحِلوا. فارتحل الناس.

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال النّضر بن حديد: حدَّثني ابن أبي جَناح قال: أخبرني عمر بن جَبَلة:

أنّ الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدتْه المبيتَ، فقال حين انصرف:

قامَت إِلَيَّ بِتَقبيلٍ تُعانِقُني ... رَيّا العِظامِ كَأَنَّ المِسكَ في فيها
أُدخُل فَدَيتُكَ لا يَشعُر بِنا أَحَدٌ ... نَفسي لِنَفسِكَ مِن داءٍ تُفَدّيها
بِتنا كَذلِكَ لا نَومٌ عَلى سُرُرٍ ... مِن شِدَّةِ الوَجدِ تُدنيني وَأُدنيها
حَتّى إِذا ما بَدا الخَيطانِ[1] قُلتُ لَها ... حانَ الفِراقُ فَكادَ الحُزنُ يُشجيها
ثُمَّ انصَرَفت وَلَم يَشعُر بِنا أَحَدٌ ... وَاللَّهُ عَنّي بِحُسنِ الفِعلِ يَجزيها

[البسيط]

وحدّثني النَّضْر بن حَديد قال: حدّثنا هشام بن الكلبيّ عن خالد بن سعيد قال:

مرَّ الوليد بن يزيد وهو متصيِّدٌ بنسوةٍ من بني كلب من بني المِنجاب، فوقف عليهنّ واستسقاهنّ وحدَّثهنّ وأمرَ لهنَّ بِصلة، ثمَّ مضى وهو يقول:

وَلَقَد مَرَرت بِنِسوَةٍ أَعشَينَني ... حورِ المَدامِعِ مِن بَني المِنجابِ
فيهِنَّ خَرعَبَةٌ[2] مَليحٌ دَلُّها ... غَرثى الوِشاحِ دَقيقَةُ الأَنيابِ
زَينُ الحَواضِرِ ما ثوت في حَضرِها ... وَتَزينُ بادِيَها مِنَ الأَعرابِ

[الكامل]

قال النَّضْر: وحدَّثني ابن الكلبي عن أبيه:

أنّ الوليد خرج يتصيَّد ذات يوم، فصادف كلابه غزالاً، فأُتيَ به فقال: خَلُّوه، فما رأيت أشبهَ منه جِيداً وعينين بسلمى. ثم أنشأ يقول:

---

(١) يقصد الشاعر بالخيطين؛ الخيط الأبيض والخيط الأسود من الفجر.

(٢) الخَرْعَبَةُ: الشَّابةُ الحسَنةُ القوام، وكأنَّها خُرعُوبةٌ من خَراعيب الأغصان من بَنات سَنَنها.

وَلَـقَـد صِـدنـا غَـزالاً سـانِـحـاً فَـأَرَدنـا ذَبـحَـهُ لَـمّـا سَـنَـح
فَـإِذا شِـبـهُـكِ مـا نُـنـكِـرُهُ حـيـنَ أَزجـى طَـرفَـهُ ثُـمَّ لَـمَـح
فَـتَـرَكـنـاهُ وَلَـولا حُـبُّـكُـم فَـاعـلَـمـي ذاكَ لَـقَـد كـانَ انـذبـح
أَنـتَ يـا ظَـبـيُ طَـلـيـقٌ آمِـنٌ فَـاغـدُ فـي الـغِـزلانِ مَـسـروراً وَرُح

[الرمل]

نَسَخْتُ من كتاب الحسين بن فهم قال: أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد الدمشقيّ قال:

بعث الوليد بن يزيد إلى شُراعة بن الزَّنْدبُوذ[1]؛ فلمَّا قدم عليه قال: يا شُراعة، إنّي لم أستحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيَك في الفقه ولا لتحدّثني ولا لتقرئني القرآن؛ قال: لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً. قال: فكيف علمُك بالفتوَّة؟ قال: ابنُ بجدَتها، وعلى الخبير بها سقطت، فسَلْ عما شئت. قال: فكيف علمك بالأشربة؟ قال: ليسألني أمير المؤمنين عما أحبّ. قال: ما قولُك في الماء؟ قال: هو الحياة، ويَشركني فيه الحمار. قال: فاللّبن؟ قال: ما رأيته قطّ إلا ذكرت أمي فاستحيتُ. قال: فالخمر؟ قال: تلك السارّة البارّة وشراب أهل الجنة. قال: للَّه درّك! فأيّ شيء أحسن ما يُشرب عليه؟ قال: عجبتُ لمن قدر أن يشرب على وجه السماء في كِنّ من الحرّ والقُرّ كيف يختار عليها شيئاً!

[الوليد والمصحف]

قال: وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سُليم قال: دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف؛ فلمّا فتحه وافق ورقةً فيها: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥، ١٦]، فقال: أَسجْعاً سَجْعاً! علِّقوه ثم أخذ القوس والنّبل فرماه حتى مزّقه، ثم قال:

أَتـوعِـدُ كُـلَّ جَـبّـارٍ عَـنـيـدٍ فَـهـا أَنـا ذاكَ جَـبّـارٌ عَـنـيـدُ
إِذا لاقـيـتَ رَبَّـكَ يَـومَ حَـشـرٍ فَـقُـل يـا رَبِّ مـزِّقَـنـي الـوَلـيـدُ

[الوافر]

قال: فما لبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قتل.

---

(١) هو ظريف العراق، شراعة بن الزندبوذ، يضرب به المثل في الظرف، وهو من المجان الندماء، من أصحاب والبة بن الحباب ومطيع بن زياد وحماد عجرد.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثني إسحاق بن إبراهيم قال: حدَّثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عيَّاش المروزيّ (من أهل ذي المروة[١]) أن أباه حمل عدّةَ جَوار إلى الوليد بن يزيد؛ فدخل إليه وعنده أخوه عبد الجبّار، وكان حَسَن الوجه والشّعَرة وفيَّها؛ فأمرَ الوليد جاريةً منهنّ أن تغنّي:

لَو كُنتَ مِن هاشِمٍ أَو مِن بَني أَسَدٍ أَو عَبدِ شَمسٍ أَو اصحابِ اللِّوا الصيدِ[٢]

[البسيط]

وأمرها أخوه أن تغنّي:

أَتَعجَبُ أَن طَرِبتُ لِصَوتِ حادِ حَدا بُزلاً يَسِرنَ بِبَطنِ وادِ[٣]

[الوافر]

فغنَّت ما أمرها به الغمر؛ فغضب الوليد واحمرَّ وجهه، وظنّ أنّها فعلتْ ذلك ميلاً إلى أخيه. وعرفت الشرّ في وجهه، فاندفعتْ فغنّت:

صوت

أيُّها العاتِبُ الذي خاف هَجْري وبِعادي وما عَمَدْتُ لِذاكا
أتُرَى أنّني بغيرك صبٌّ جعلَ اللَّهُ من تظنّ فداكا
أنت كنت المملولَ في غير شيء بِئْسَ ما قلت ليس ذاك كذاكا
ولوَ أنّ الذي عَتِبْتَ عليه خَيِّرُ الناسِ واحداً ما عداكا
فارْضَ عنِّي جُعِلْتُ نعليك إنِّي والعظيم الجليل أهوى رضاكا

[الخفيف]

ـ الشعر لعمر. والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق، ولحنُه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر حمّاد في أخبار ابن عائشة أنّ له فيه لحناً ـ قال: فسُري عن الوليد وقال لها: ما منعك أن تغنّي ما دعوتك إليه؟ قالت: لم أكن أُحْسِنه، وكنتُ أحسن الصوت الذي سألنيه، أخذتُه من ابن عائشة؛ فلمّا تبيَّنتُ غضبك غنَّيتُ هذا الصوت وكنت أخذته من معبد. تعني الذي اعتذرت به إليه.

---

(١) ذو المروة: قرية في وادي القرى.
(٢) البيت لحسان بن ثابت.
(٣) البيت لجميل بثينة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صـوت

لَـو كُـنـتَ مِـن هـاشِـمٍ أَو مِـن بَـنـي أَسَـدٍ أَو عَبدِ شَمسٍ أَو اصحابِ اللِّوا الصيدِ[١]
أَو مِـن بَـنـي نَـوفَـلٍ أَو آل مُـطَّـلِـبٍ أَو مِن بَني جُمَحَ الخُضرِ الجَلاعيدِ[٢]
أو مـن بـنـي زُهـرةَ الأبـطـالِ قـد عُـرِفُـوا لـلَّـه دَرُّك لـم تَـهْـمُـم بـتـهـديـد

[البسيط]

الشعر لحسَّان بن ثابت، يقوله لمُسافِع بن عِياض أحدِ بني تَيم بن مُرّة، وخبرُه يذكر بعد هذا. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر، وقيل: إنه لمالك.
ومنها:

صـوت

أَتَـعـجَـبُ أَن طَـرِبـتُ لِـصَـوتِ حـادِ حَـدا بُـزلاً يَـسِـرنَ بِـبَـطـنِ وادِ
فَـلا تَـعـجَـب فَـإِنَّ الـحُـبَّ أَمـسـى لِـبَـثـنَـةَ فـي الـسَّـوادِ مِـنَ الـفُـؤادِ

[الوافر]

الشعر لجميل. والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال: حدَّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال:

عُرضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ مغنِّية، فقال لها: غنّي؛ فغنَّتْ:

صـوت

لَـولا الَّـذي حُـمِّـلـتُ مِـن حُـبِّـكُـم لَـكـانَ فـي إِظـهـارِهِ مَـخـرَجُ
أَو مَـذهَـبٌ فـي الأَرضِ ذو فُـسـحَـةٍ أَجَـل وَمَـن حَـجَّـت لَـهُ مَـذحـجُ
لَـكِـن سَـبـانـي مِـنـكُـمُ شـادِنٌ مُـرَبَّـبٌ ذو غُـنَّـةٍ أَدعَـجُ
أَغَـرُّ مَـمـكـورٌ هَـضـيـمُ الـحَـشـى قَـد ضـاقَ عَـنـهُ الـحَـجـلُ والـدُّمـلُـجُ[٣]

[السريع]

---

(١) الصيد: جمع أصيد وهو الملك أو من هو رافع رأسه كبراً.
(٢) الجَلْعَدُ: الصلْبُ الشديدُ. والجُلَاعِدُ من الإبل: الشديد. والجمع الجَلاعِدُ بالفتح.
(٣) الشعر للحارث المخزومي.

فقال لها الوليد: لمن هذا الشعر؟ قال: للوليد بن يزيد المخزوميّ. قال: فمِمَّن أخذتِ الغناء؟ قالت: من حُنَين. فقال: أعِيدِيه، فأعادتْه فأجادت، فطرِب الوليد ونعَر[1] وقال: أحسنتِ وأبي وجمعتِ كلَّ ما يُحتاج إليه في غنائك، وأمر بابتياعها، وحَظيتْ عنده.

غنّى في هذا الصوت ابن سريج ولحنُه رمل بالبنصر. وغنّى فيه إسحاق فيما ذكر الهشاميّ خفيفَ ثقيلٍ.

وممَّا يغنّى به من هذه القصيدة:

صـــوت

قَـدْ صَـرَّحَ الـقـومُ ومـا لَـجْـلَـجُـوا لَـجُـوا عـلـيـنـا لـيـت لـم يَـلْـجَـجُـوا
بـاتـوا وفـيـهـم كـالـمَـهـا طـفـلـةٌ قـد زانَـهـا الـخـلـخـالُ والـدُّمْـلُـجُ

[السريع]

غنَّاه صباح الخيَّاط خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر. وغنّى فيه ابن أبي الكنَّات خفيف ثقيل بالوسطى.

فأمَّا خبر الشعر الذي قاله حَسّان بن ثابت لمُسافِع بن عِياض أحدِ بني تَيم بن مُرَّة، فأخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال: حدَّثنا عثمان بن عبد الرحمن:

أنّ عبيد اللَّه بن مَعمَر وعبد اللَّه بن عامر بن كُرَيز اشتريا من عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه رقيقاً ممن سُبي، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم؛ فأمر بهما عمر أن يُلزمَا. فمرّ بهما طلحة بن عُبيد اللَّه وهو يريد الصلاة في مسجد رسول اللَّه ﷺ فقال: ما لابن مَعمَر يُلازَم؟ فأُخبر خبره؛ فأمر له بالأربعين ألفاً التي عليه تُقضى عنه. فقال ابن مَعمَر لابن عامر: إنّها إن قُضيتْ عنّي بقيتَ ملازماً، وإن قضيتْ عنك لم يتركني طلحة حتى يقضيَ عنّي؛ فدفع إليه الأربعين ألفاً درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخُلِّيت سبيله. فمرّ طلحة منصرفاً من الصلاة فوجد ابنَ معمر يلازَم فقال: ما لابن معمر؟ ألم آمُر بالقضاء عنه! فأُخبر بما صنع؛ فقال: أمَّا ابن معمر فعلم أنّ له ابن عم لا يُسلِمه، احملوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه، ففعلوا وخُلِّي سبيله. فقال

(١) نَعَرَ الرّجلُ يَنْعَرُ نعيراً، وهو صوتٌ في الخيشوم. والنُّعرة: الخيشوم. نعر النّاعر، أي: صاح الصائح.

حسَّان بن ثابت لمُسافِع بن عِياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة:

يـا آلَ تَـيـم أَلا تـنْـهـون جـاهـلَـكُـم ... قَـبـلَ الـقِـذافِ بِـصُـمٍّ كـالـجَـلامـيـدِ
فَـنَـهـنِـهُـوهُ[1] فَـإِنّـي غَـيـرُ تـارِكِـكُـم ... إِن عـادَ مـا اهـتَـزَّ مـاءٌ فـي ثَـرى عـودِ
لَـو كُـنـتَ مِـن هـاشِـمٍ أَو مِـن بَـنـي أَسَـدٍ ... أَو عَـبـدِ شَـمـسٍ أَو اصـحـابِ اللِّـوا الـصـيـدِ
أَو مِـن بَـنـي نَـوفَـلٍ أَو آل مُـطَّـلِـبٍ ... أَو مِـن بَـنـي جُـمَـحَ الـخُـضـرِ الـجَـلاعـيـدِ
أو مـن بـنـي زُهـرةَ الأبـطـالِ قـد عُـرِفُـوا ... لـلَّـه دَرُّك لـم تَـهْـمُـم بـتـهـديـد
أو فـي الـذُّؤابـة مـن تـيـم إذا انـتَـسَـبُـوا ... أو مـن بـنـي الـحـارث الـبـيـض الأمـاجـيـد
لـكـن سـأصـرفـهـا عـنـكـم وأعـدِلُـهـا ... لـطـلـحـةَ بـن عـبـيـد الـلـه ذي الـجـود

[البسيط]

[رجع الخبر إلى سياقة أخبار الوليد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مَهرويه قال: حدّثنا عبد اللَّه بن عمرو قال: قال الهيثم: حدّثني ابن عيَّاش قال:

دخل أبو الأقرع[2] على الوليد بن يزيد؛ فقال له: أنشِدني قولك في الخمر؛ فأنشده قولَه:

كُـمَـيـتٌ إِذا شُـجَّـت وَفـي الـكَـأسِ وَردَةٌ ... لَـهـا فـي عِـظـامِ الـشـارِبـيـنَ دَبـيـبُ
تُـريـكَ الـقَـذى مِـن دونِـهـا وَهـيَ دونَـهُ ... لِـوَجـهِ أَخـيـهـا فـي الإِنـاءِ قُـطـوبُ[3]

[الطويل]

فقال الوليد: شربتَها يا أبا الأقرع وربِّ الكعبة! فقال: يا أمير المؤمنين، لئن كان نَعْتي لها رابك لقد رابني معرفتُك بها.

[تشبيبه بامرأة]

أخبرني الحسن قال: حدّثني ابن مَهرويه قال: حدثني عبد اللَّه بن عمرو قال: قال المدائنيّ:

---

(١) نهنهوه: ازجروه وكفوه.

(٢) ـ عبد اللَّه بن الحجاج بن محصن بن جندب، شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر.

(٣) البيت للأقيشر الأسدي، وهو المغيرة بن عبد اللَّه بن مُعرض، الأسدي، أبو معرض. شاعر هجاء، عالي الطبقة من أهل بادية الكوفة، كان يتردد إلى الحيرة. ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام وعاش وعمّر طويلاً وكان (عثمانياً) من رجال عثمان بن عفان (رضي اللَّه عنه)، وأدرك دولة عبد الملك بن مروان وقتل بظاهر الكوفة خنقاً بالدخان سنة ٨٠ هـ. لُقّب بالأقيشر لأنه كان أحمر الوجه أَقشر وكان يغضب إذا دُعي به.

نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عَوْف وقد مرّوا بين يديها بالشمع ليلاً، فلمّا رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها؛ فسأل عنها فقيل له: إنّ لها زوجاً؛ فأنشأ يقول:

صوت

إنَّما هاجَ لقلبي ... شَجوه بعد المَشيبِ
نظرةٌ قَدْ وَقَرَت في ... قلبِ من أمّ حبيبِ
فإذا ما ذقت فاها ... ذقت عذباً ذا غروب[1]
خالطَ الراح بمسكٍ ... خالصٍ غير مشوب

[مجزوء الرمل]

غنَّاه ابن محرز خفيفَ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ؛ وذكر عمرو بن بانة أنّه للأبجر، وهو الصحيح.

[آخر دولته]

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُرانيّ عن النَّضر بن عمرو عن العُتبيّ قال:

لمَّا ظهرت المُسوِّدَةُ[2] بخراسان كتب نصر بن سَيَّار[3] إلى الوليد يستمدّه، فتشاغل عنه؛ فكتب إليه كتاباً وكتب في أسفله يقول:

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وَمِيضَ جَمرٍ ... وأحْرِ بأن يكون له ضِرامُ

(١) بَقِي غُرُوبُ الأَسْنَانِ وهي حِدتُهَا ومَاؤُها، وَاحِدُها غَرْب، وقد أُطْلِقَت بمَعْنَى الأَسْنَان، كَمَا في حَدِيثِ النَّابِغَةِ الجَعْدِيّ. قال الرَّاوِي: ولا تَولَّت بَرْق غُروبه أَي تبرق أَسنانه من بَرَق البَرْقُ إِذَا تلألأَ. والغُرُوبُ: الأَسْنَان.

(٢) المسودة: المراد بهم دعاة بني العباس.

(٣) نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني، ولد سنة ٤٦هـ. وهو أمير، من الدهاة الشجعان. كان شيخ مضر بخراسان، ووالي بلخ، ثم ولي إمرة خراسان سنة ١٢٠هـ، بعد وفاة أسد بن عبد اللّه القسري، ولاه هشام بن عبد الملك، وغزا ما وراء النهر، ففتح حصوناً وغنم مغانم كثيرة، وأقام بمرو، وقويت الدعوة العباسية في أيامه، فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم، فلم يأبهوا للخطر، فصبر يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة وتغلب أبو مسلم على خراسان، فخرج نصر من مرو (سنة ١٣٠هـ) ورحل إلى نيسابور، فسير أبو مسلم إليه قحطبة بن شبيب، فانتقل نصر إلى قومس وكتب إلى ابن هبيرة ـ وهو بواسط ـ يستمده، وكتب إلى مروان ـ وهو بالشام ـ وأخذ يتنقل منتظراً النجدة إلى أن مرض في مفازة بين الري وهمذان، ومات بساوة سنة ١٣١هـ.

فـإنَّ الـنـار بـالـعـودَيـن تُـذَكَـى وإنَّ الـحـربَ مـبـدؤهـا الـكـلامُ
فَـقُـلْـتُ مـن الـتـعـجُّـبِ لـيـت شـعـري أأيـقـاظٌ أُمَـيَّـةُ أم نِـيـامُ

[الوافر]

فكتب إليه الوليد: قد أقطعتُك خراسانَ، فاعمل لنفسك أو دَعْ، فإنّي مشغول عنك بابن سُريج ومعبد والغريض.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابنُ مهرويه قال: حدّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد عن ابن الصبَّاح عن ابن الكلبيّ عن حمَّاد الراوية قال:

دخلت يوماً على الوليد وكان آخرَ يوم لقيتُه فيه، فاستنشدني فأنشدتُه كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام؛ فما هشَّ لشيء منه حتى أخذتُ في السُّخف فأنشدتُه لعمَّار ذي كناز[1] مجنبذاً:

أَشـتَـهـي مِـنـكِ مِـنـكِ مِـنـكِ مِـنـ ـكِ مَـكـانـاً مُـجَـنـبَـذا[2]
فَـأُجـا[3] فـيـهِ فـيـهِ فـيـ ـهِ بِـأَيـرٍ كَـمِـثـلِ ذا
لَـيـتَ أَيـري وَحِـرك يـو مـاً جـمـيـعـاً تـجـابَـذا[4]
فـاخِـذٌ ذا بِـشَـقّ ذا واخِـذٌ ذا بِـقَـعـرِ ذا

[مجزوء الخفيف]

فضحك حتى استلقى وطرب، ودعا بالشراب فشرب؛ وجعل يَستعيدني الأبياتَ فأعيدها حتى سكِر وأمر لي بجائزة؛ فعلمتُ أن أمره قد أدبر. ثم أدخلتُ على أبي مُسلم فاستنشدني فأنشدتُه، قولَ الأفوَه[5]:

لـنـا مـعـشـر لـم يـبـنـوا لـقـومـهـم[6] [البسيط]

---

(١) عمار بن عمرو بن عبد الأكبر يلقب ذا كِبار، الهمداني الكوفي. شاعر الكوفة أصالة وشهرة في الربع الأول من القرن الثاني الهجري. كان زنديقاً مولعاً بالشراب وقد حدَّ فيه مرات، وكان متهماً بالزندقة، نظم شعراً في العبث والمجون. وهو من أصحاب حمّاد الراوية. وكان الوليد بن يزيد مولعاً بشعره.

(٢) الكناز المجنبذ هكذا وردت في الأصول، ولكن لا معنى لها. (٣) الوجء: اللكز.

(٤) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

لَـيـتَ أَيـري وَلَـيـتَ حِـر كِ جَـمـيـعـاً تَـآخَـذا

(٥) صَلاءة بن عمرو بن مالك، أبو ربيعة، من بني أود، من مذحج. شاعر يماني جاهلي، لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان. كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره، توفي سنة ٥٤ هـ.

(٦) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

فـيـنـا مَـعـاشِـرُ لَـم يَـبـنـوا لِـقـومِـهِـمُ وَإِنَّ بَـنـي قَـومِـهِـم مـا أَفـسَـدوا عـادوا

فلمّا بلغت إلى قوله:

تُهدى الأُمورُ بِأَهلِ الرُّشدِ ما صَلَحَتْ وإِن تَولَّتْ فَبِالأَشرارِ تَنقادُ

[البسيط]

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس؛ فأيقنت حينئذٍ أنّ أمره مُقبِل.

[يخطب الجمعة بالشعر]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: وَجَدْتُ في كتاب عن عبيد اللّه بن سعيد الزُّهريّ عن عمر عن أبيه قال:

خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب؛ فقيل له: إنّ اليوم الجمعة؛ فقال: واللّه لأخطبنَّهم اليوم بشعر؛ فصعد المنبر فخطب فقال:

الحَمدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الحَمدِ أَحمَدُهُ في يُسرِنا وَالجَهدِ
وَهُوَ الَّذي في الكَربِ أَستَعينُ وَهُوَ الَّذي لَيسَ لَهُ قَرينُ
أَشهَدُ في الدُّنيا وَما سِواها أَن لا إِلٰهَ غَيرُهُ إِلٰها
ما إِن لَهُ في خَلقِهِ شَريكُ قَد خَضَعت لِمُلكِهِ المُلوكُ
أَشهَدُ أَنَّ الدينَ دينُ أَحمَدِ فَلَيسَ مَن خالَفَهُ بِمُهتَدي
وَأَنَّهُ رَسولُ رَبِّ العَرشِ القادِرِ الفَردِ الشَّديدِ البَطشِ
أَرسَلَهُ في خَلقِهِ نَذيرا وَبِالكِتابِ واعِظاً بَشيرا
لِيُظهِرَ اللَّهُ بِذاكَ الدينا وَقَد جُعِلنا قَبلُ مُشرِكينا
مَن يُطِعِ اللَّهَ فَقَد أَصابا أَو يَعصِهِ أَوِ الرَّسولَ خابا
ثُمَّ القُرانُ وَالهُدى السَّبيلُ قَد بَقيا لِما مَضى الرَّسولُ
كَأَنَّهُ لِما بَقي لَدَيكُمُ حَيٌّ صَحيحٌ لا يَزالُ فيكُمُ
إِنَّكُم مِن بَعدُ إِن تَزِلّوا عَن قَصدِهِ أَو نَهجِهِ تَضِلّوا
لا تَترُكَنْ نُصحي فَإِنّي ناصِحُ إِنَّ الطَّريقَ فَاعلَمَنَّ واضِحُ
مَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجِد غِبَّ التُّقى يَومَ الحِسابِ صائِراً إِلى الهُدى
إِنَّ التُّقى أَفضَلُ شَيءٍ في العَمَل أَرى جِماعَ البِرِّ فيهِ قَد دَخَل
خافوا الجَحيمَ إِخوَتي لَعَلَّكُم يَومَ اللِّقاءِ تَعرِفوا ما سَرَّكُم
قَد قيلَ في الأَمثالِ لَو عَلِمتُمُ فَانتَفِعوا بِذاكَ إِن عَقَلتُمُ

مـا يَـزرَعِ الـزارِعُ يَـومـاً يَـحـصُـدُه وما يُـقَـدِّمُ مـن صـلاح يَـحْـمـدُهْ
فـاسـتـغـفِـروا ربَّـكـم وتـوبـوا فـالـموتُ مِـنْـكـم فـاعـلـمـوا قـريـبُ
[الرجز]

ثم نزل.

[نوادره]

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه عن الوليد البُندار[1] قال:

حجَجتُ مع الوليد بن يزيد، فقلت له لما أراد أن يخطبَ الناسَ: أيها الأمير، إنّ اليوم يومٌ يشهدُه الناسُ من جميع الآفاق، وأريد أن تشرّفني بشيء. قال: وما هو؟ قلتُ: إذا علوتَ المنبر دعوتَ بي فيتحدّث الناس بذلك وبأنك أسرَرتَ إليّ شيئاً، فقال: أفعلُ. فلما جلس على المنبر قال: الوليد البُنْدار، فقمتُ إليه، فقال: ادنُ منّي فدنوتُ، فأخذَ بأُذُني ثم قال: البُندار ولد زنا، والوليد ولد زنا، وكلٌّ من ترى حولنا ولد زنا، أفهمتَ؟ قلتُ: نعم؛ قال: انزل الآن، فنزلتُ.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا الخليل بن أسد قال: حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن أشعب قال:

دخلت على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذاً، فقال له: تمنّ، فقلت: يتمنّى أميرُ المؤمنين ثم أتمنّى؛ قال: فإنما أردتَ أن تغلِبني، فإني لأتمنّى ضعف ما تتمنّى به كائناً ما كان؛ قلت: فإني أتمنّى كِفْلين[2] من العذاب؛ فضحك ثم قال: إذا نوفّرهما عليك. ثم قال لي: ما أشياءُ تبلُغُني عنك؟ قلتُ: يكذبون عليّ. قال: متى عهدُك بالأصمّ؟ قلتُ: لا عهدَ لي به. فأخرج أيرَه كأنه نايٌ مدهون، فسجدتُ له ثلاث سجدات؛ فقال: وَيلك إنما يسجُد الناس سجدةً واحدةً، فقلت: واحدةً للأصمّ واثنتين لخُصيتيك.

أخبرنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حدَّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال: حدّثني عبد الصمد بن موسى الهاشميّ قال:

إنّما أغلى الجوهرَ بنو أميَّة، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقود ويغيّرها في اليوم مراراً كما تُغيّر الثياب شُغفاً، فكان يجمعه من كلّ وجه ويُغالي به.

---

(١) البندار: الخازن.
(٢) الكفل: النصيب.

قال: وكان يوماً في داره على فرس له وجاريةٌ تضرب بطبلٍ قدّامه، فأخذه منها ووضعه على رقبته، ونفَر الفرسُ من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة، وكان خليعاً.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ عن جُوَيرية بن أسماء قال:

قدِم الوليد بن يزيد المدينةَ، فقلت لإسماعيل بن يَسار: أحذِنا[1] ممَّا أعطاك اللَّه؛ فقال: هَلمّ أُقاسمك إن قبلتَ؛ بعث إليّ براوية[2] من خمر.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي مُصعَب قال: حدّثني رجل قال:

كان الوليد بن يزيد إذا أصبحَ يوم الاثنين تغدّى وشرب رِطلين ثم جلس للناس. قال: فحدّثني عمر الوادي قال: دخلتُ عليه وعنده أصحابُه وقد تغدّى وهو يشرب؛ فقال لي: اشرب فشربت، وطرب، وغنّى صوتاً واحداً وأخذ دَفَّافة فدفف بها، فأخذ كلُّ واحد منا دفَّافة فدفف بها، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب؛ فلمّا رآنا الحاجب صاح بالنّاس: الحُرَم الحُرَم، اخرجوا. ودخل الحاجب فقال: جعلني اللَّهُ فداءك، اليومَ يحضُر فيه النّاس؛ فقال له: اجلس واشرب؛ فقال: إنما أنا حاجب فلا تحمِلني على الشراب فما شربته قطّ؛ قال: اجلس فاشرب، فامتنع؛ فما فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقِمَع وقام وهو سكران.

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدّثني يعقوب بن شَريك قال: حدّثني عمّي علي بن عمرو قَرْقارة قال: حدّثني أُنَيف بن هشام بن الكلبيّ ومات قبل أبيه قال: حدّثني أبي قال:

خَرَجَ الوليدُ بن يزيد من مقصورةٍ إلى مقصورةٍ؛ فإذا هو ببنت له معها حاضِنتُها، فَوَثَبَ عليها فافترعها، فقالت له الحاضِنة: إنها المجوسيَّة، قال: اسكتي! ثم قال:

مَـــن راقَـــبَ الـــنـــاسَ مـــاتَ غَـــمًّـــا وَفـــازَ بِـــالـــلّـــذَّةِ الـــجَـــســـورُ

[مخلع البسيط]

وأحسب أنا أنّ هذا الخبر باطلٌ، لأنّ هذا الشعر لسَلْم الخاسر، ولم يُدرك زمن الوليد.

(١) أحذى الرجل: أعطاه مما أصابه.

(٢) الراوية: المزادة (القربة).

أخبرنا أحمد بن عبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدّثني عمر بن شَبَّة قال: حدّثني إسحاق الموصليّ قال: أخبرني مَسلَمة بن سَلْم الكاتب قال:

قال الوليد بن يزيد: ودِدتُ أنّ كل كأس تشرب من خمر بدينار، وأنّ كلّ حِرٍ في جبهة أسد، فلا يَشرب إلا سخيّ، ولا ينكِح إلا شجاعٌ.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدَّثني عمّي مصعب قال: سمعت رجلاً يحدِّث أبي بالكوفة قال:

أرسلت إلى الوليد جَفْنةٌ مملوءةٌ قواريرَ فِرعَونيَّة لم يُرَ مثلُها قطّ. فلمَّا أمسينا صبَبنا فيها الشراب في ليلة أربعَ عشرةَ، حتى إذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد: في أيّ منزلةٍ القمرُ الليلةَ؟ فقال بعضهم: في الحَمَل، وقال بعضهم: في منزلة كذا وكذا من منازل القمر؛ فقال بعض جلسائه: القمرُ في الجفنة؛ قال: قاتلك اللَّه! أصبتَ ما في نفسي! لتَشربنَّ الهفتجتّة. فقال مصعب: فسأل أبي عن الهفتجتّة فقال: شُرْب كانت الفرس تشربه سبعةَ أسابيع. فشربَ تسعةً وأربعين يوماً.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني الزُّبير قال: حدّثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه الزهريّ عن عبد اللَّه بن عِمران بن أبي فَرْوة قال: أخبرني خالد صامة المغنّي وكان من أحسن النّاس غناءً على عودٍ، قال:

بعث إليّ الوليد بن يزيد، فقدِمتُ عليه، فوجدتُ عنده معبداً ومالكاً والهُذليّ، وعمر الوادي وأبا كامل؛ فغنّى القوم ونحن في مجلس يا له من مجلس وغلامٌ للوليد له سَبرة يَسقي القومَ الطِّلاءَ، إذ جاءت نوبةُ الغناء إليَّ، فأخذتُ عودي فغنَّيت بأبيات قالها عُروة بن أُذينة يرثي أخاه بكراً:

صـوت

سَـرى هَـمّـي وَهَـمُّ الـمَـرءِ يَـسـري ... وَغـابَ الـنَّـجـمُ إلّا قَـيـدَ فِـتْـرِ
أُراقِـبُ فـي الـمَـجَـرَّةِ كُـلَّ نَـجـم ... تَـعَـرَّضَ لِـلـمَـجَـرَّةِ كَـيـفَ يَـجـري
بـحُـزن مـا أزال لَـهُ مُـديـمـاً ... كَـأَنَّ الـقَـلـبَ أُسـعِـرَ حَـرَّ جَـمـرِ
عَـلـى بَـكـرٍ أَخـي وَلّـى حَـمـيـداً ... وَأَيُّ الـعَـيـشِ يَـصـفـو بَـعـدَ بَـكـرِ[1]

[الوافر]

(١) الشعر لعروة بن يحيى بن مالك بن الحارث الليثي. وهو شاعر غزل مقدم، من أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضاً، ولكن الشعر أغلب عليه، توفي سنة ١٣٠هـ.

غنَّاه ابن سريج ثانيَ ثقيل بالوسطى. وغنّى فيه ابن عَبَّاد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ ـ قال خالد: فقال لي الوليد: أعِد يا صامُ فأعدتُ، فقال: من يقوله ويحك؟ قلتُ: ابن أذينة؛ قال: هذا واللَّه العيش الذي نحن فيه على رغم أنفه، لقد تحجَّر واسعاً[1]. قال عبد الرحمن بن عبد اللَّه: قال عبد اللَّه بن أبي فَروة: وأنشدها ابنُ أُذينة ابنَ أبي عتيق؛ فضحك ابن أبي عتيق وقال: كل العيش يحسن حتى الخبز والزيت، فحلف ابن أذنية لا يكلمه أبداً، فمات ابن أبي عتيق وابن أذينة مهاجر له.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: بلغني أن سكينة بنت الحسين رضي اللَّه عنها أُنشِدتْ، وأخبرني الحرميّ قال: حدَّثنا الزبير عن مصعب قال: أُنشدت سكينةُ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عبَّاد عن أبيه عن أبي يحيى العباديّ:

أنّ سكينة أنشدت أبياتَ عروة بن أذينة في أخيه بكر؛ فلمّا انتهت إلى قوله:

عَلى بَكرٍ أَخي وَلّى حَميداً وَأَيُّ العَيشِ يحسُنُ بَعدَ بَكرِ

[الوافر]

قالت سكينة: ومن أخوه بكر! أليس الدحداحَ[2] الأُسيِّدَ القصير[3] الذي كان يمرّ بنا صباحاً ومساء؟ قالوا: نعم؛ قالت: كلُّ العيش واللَّه يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا يزيد بن محمد المهلَّبيّ عن إسحاق قال:

قدِم سليمان بن عبد الملك المدينةَ، فجمع المغنّين وَسبَّق[4] بينهم ببَدْرة، وقال: أيُّكم كان أحسن غناء فهي له؛ فاجتمعوا. فبلغ الخبرُ ابنَ سريج، فجاء وقد أُغلق الباب؛ فقال للحاجب: استأذِن لي، قال: لا يُمكن وقد أغلق الباب، ولو كنتَ جئت قبل أن يُغلَق الباب لاستأذَنْتُ لك. قال: فدعني أغنِّ من شقّ الباب؛ قال: نعم. فسكتَ حتى فرغ جميعُ المغنّين من غنائهم ثم اندفع فغنّى:

سرى همِّي وهمُّ المرء يسري

(١) تحجر واسعاً: ضيقه

(٢) الدَّحْداحُ: القصير، وكذلك الدُّحَيْدِحَةُ.

(٣) الأسيد: تصغير الأسود.

(٤) يقال: سبق البدرة بين الشعراء، من غلب أصحابه أخذها، أي جعلها سبقاً بينهم.

فَنَظَرَ المُغَنُّون بعضُهم إلى بعض وعرفوه؛ فلمَّا فَرَغَ قال سليمان: أحسن واللَّه! هذا واللَّه أحسنُ منكم غناء، أُخرج يا غلام إليه بالبَدرة، فأخرجها إليه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن جُعدُبَة:

أنَّ رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً، فكان فيها فرس مربوعٌ[١] قريبُ الرِّكاب؛ فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام، فنهَر الرجلَ وشتمه وقال: أتجيء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين! رُدّوه عليه، فردّوه. فلما خرج وجّه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه؛ فهو فرسه الذي يسمِّيه السِّنْديّ.

فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيَّد وحده، فانتدَبَ إليه مولى لهشام يريد الفتك به. فلما بصر به الوليد حاوله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله. وقال في ذلك:

أَلَـم تَـرَ أَنّـي بَـيـنَـمـا أَنـا آمِـنٌ ... يَـخُـبُّ بِـيَ الـسِّـنـدِيُّ قَـفـراً فَـيـافِـيـا
تَـطَـلَّـعـتُ مِـن غَـورٍ فَـأَبـصَـرتُ فـارِسـاً ... فَـأَوجَـسـتُ مِـنـهُ خـيـفـةً أَن يَـرانِـيـا
وَلَـمّـا بَـدا لـي أَنَّـمـا هُـوَ فـارِسٌ ... وَقَـفْـتُ لَـهُ حَـتّـى أَتـى فَـرَمـانِـيـا
رَمـانـي ثَـلاثـاً ثُـمَّ إِنّـي طـعـنـتُـهُ ... فَـرَوَّيـتُ مِـنـهُ صَـعـدَتـي وَسِـنـانِـيـا

[الطويل]

غنّاه أبو كامل لحناً من الماخوريّ بالبنصر. ولإبراهيم فيه ثقيل أول، وقيل: إن له فيه ماخوريًّا آخر. وفيه لعمر الوادي ثاني ثقيل. ولمالك رَمَلٌ من رواية الهشاميّ.

قال: وقال الوليد أيضاً في فرسه السِّنديّ.

قَـد أَغـتَـدي بِـذي سَـبـيـبٍ هَـيـكَـلِ[٢] ... مُـشَـرَّبٍ[٣] مِـثـلِ الـغُـرابِ أَرجَـلِ[٤]
أَعـدَدتُـهُ لِـحَـلَـبـاتِ الأَحـوَلِ ... وَكُـلِّ نَـقـعٍ ثـائِـرٍ لِـجَـحـفَـلِ
وَكُـلِّ خَـطـبٍ ذي شُـؤونٍ مُـعـضِـلِ

[الرجز]

فقال هشام: لكنّا أعددنا له ما يسوءه، نخلَعه ونُقصيه، فيكون مهاناً مدحوراً مُطَّرَحاً.

---

(١) المربوع مثل رمح ليس بطويل ولا قصير.
(٢) الهَيْكَلُ: الفرسُ الطويلُ الضخم.
(٣) المشرب: الممزوج لونه بحمرة.
(٤) الأَرجَلُ من الخيل: الذي في إحدى رِجْلَيْهِ بياضٌ، ويُكْرَهُ إلّا أن يكون به وَضَحٌ غيره.

[رثاؤه سلمى]

نَسَخْتُ من كتاب أحمد بن أبي طاهر حَدَّثني أبو الحسن العَقيليّ:

أنَّ الوليد لمَّا ولِيَ الخلافة خطَب سَلمى التي كان يَنسِبُ بها، فزُوِّجها لما مضى صدرٌ من خلافته؛ فقامت عنده سبعةَ أيام فماتت؛ فقال يرثيها:

يا سَلمَ كُنتِ كَجَنَّةٍ قَد أَطْعَمتْ[1] أَفنانُها دانٍ جَناها مُوَضَّعُ[2]
أَربابُها شَفَقاً[3] عَلَيها نَومُهُم تَحليلُ مَوضِعها وَلَمّا يَهجَعوا
حَتّى إِذا فَسَحَ الرَّبيعُ ظُنونَهُم نَثَرَ الخَريفُ ثِمارَها فَتَصَدَّعوا

[الكامل]

[قتل نديمه ورثاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالية، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكَّار عن عمّه:

أنّ الوليد بن يزيد لمَّا انهمك على شربه ولذَّاته ورفَض الآخرة وراء ظهره، وأقبل على القَصْف والعسف مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم، كان نديمُه القاسمَ بن الطويل العباديّ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً، فكان لا يصبِر عنه؛ فغنَّاه معبد ذات يوم شعر عديّ:

صوت

بَكَرَ العاذِلونَ في وَضَحِ الصُّبـ ـحِ يَقولونَ لي أَلا تَستَفيقُ
لَستُ أَدري وقَد جفاني خليلي[4] أَعَدُوٌّ يَلومُني أَم صَديقُ
ثم قالوا ألا أصبحونا فقامت[5] قَينَةٌ في يَمينِها إِبريقُ
قَدَّمتْه على عُقار كعين الـ ديك صَفَّى سُلافَها الرَّاووقُ

[الخفيف]

---

(١) أطعمت الشجرة: أثمرت.
(٢) الموضع: المنضد.
(٣) شفقاً: خوفاً.
(٤) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:
لَستُ أَدري إِذ أَكثَروا العَذلَ فيها
(٥) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:
وَدَعَوا بِالصَّبوحِ يَوماً فَجاءَت

ـ فيه لمعبد ثقيل ويقال إنه لحُنَين. وفيه لمالك خفيف رمل. وفيه لعبد اللَّه بن العبّاس رملٌ كلُّ ذلك عن الهشاميّ ـ قال: فاستحسنه الوليد وأُعجب به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلَب عليه السكر فنام في موضعه، فانصرف ابن الطويل. فلمّا أفاق الوليد سأل عنه، فعُرِّف حين انصرافه، فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سبرة: ائتني برأسه، فمضى الغلام حتى ضرب عنقَه وأتاه برأسه فجعله في طَسْت بين يديه، فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعُرِّفَه، فاسترجع وندم على ما فرط منه، وجعل يقلِّب الرأس بيده. ثم قال يرثيه:

صـوت

عَـيـنَـيّ لِـلـحَـدَثِ الـجَـلـيـلِ ... جـودا بِـأَربَـعَـةٍ[1] هُـمـولِ
جـودا بِـدَمـعٍ إِنَّـهُ ... يَـشـفـي الـفُـؤادَ مِـنَ الـغَـلـيـلِ
لِـلَّـهِ قَـبـرٌ ضُـمِّـنَـت ... فـيـهِ عِـظـامُ ابـنِ الـطَّـويـلِ
مـاذا تَـضَـمَّـنَ إِذ ثَـوى ... فـيـهِ مِـنَ الـلُّـبِّ الأَصـيـلِ
قَـد كُـنـتُ آوِي مِـن هَـوا ... كَ إِلـى ذَرى كَـهـفٍ ظَـلـيـلِ
أَصـبَـحـتُ بَـعـدَكَ واحِـداً ... فَـرداً بِـمَـدرَجَـةِ الـسُّـيـولِ

[مجزوء الكامل]

ـ غنّاه الغريض ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو. وغنّى فيه سُلَيم لحناً من الثقيل الأول بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر غيره أن لحن الغريض لدَحمان، وذكر حبشٌ أنّه لأبي كامل، وذكره غيرُه أن لحن الغريض لدَحمان ـ قال: ثم دخل إلى جواريه فقال: واللَّه ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل. فيقال: إنه لم يَعِش بعده إلا مُدَيدةً حتى قُتل. واللَّه أعلم.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال روى الهيثم بن عديّ عن ابن عيَّاش عن حمَّاد الراوية قال: دعاني الوليد يوماً من الأيام في السَّحَر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح؛ فقال: أنشدني في النّسيب؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة، فلم يَهَشَّ لشيء منها، حتى أنشدته قولَ عمَّار ذي كناز:

أَصـبِـحِ[2] الـقَـومَ قَـهـوَةً ... فـي أَبـاريـقَ تُـحـتَـذى

(١) الأربعة يعني بها اللحاظين والموقين، فإن الدمع يجري من الموقين، فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضاً.

(٢) الصَّبُوحُ: سَقْيُكَ من أتاكَ صبوحاً من لَبَنٍ وغيره. والصَّبُوح: ما يُشرَب بالغَداة فما دونَ القائلة، وفِعلك الاصطِباح. والصبوح: الخمر.

مِـــن كُـــمَـــيـــتٍ مُـــدامَـــةٍ حَـــبَّـــذا تِـــلـــكَ حَـــبَّـــذا

[مجزوء الخفيف]

فطرب. ثم رفع رأسه إلى خادم وكان قائماً كأنّه الشمس، فأومأ إليه فكشف ستراً خلف ظهره، فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفةً كأنّهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريقُ والمناديل؛ فقال: أسقُوهم، فما بَقِي أحد إلا أُسقي، وأنا في خلال ذلك أُنشِده الشعر؛ فما زال يشرب ويسقي إلى طلوع الفجر. ثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا الفرَّاشون في البُسُط فألقونا في دار الضيافة، فما أفقْنا حتى طلعت الشمس. قال حمَّاد: ثم أحضرني فخلَع عليّ خلعاً من فاخر ثيابه وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحمَلني على فرس.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَلي قال:

كان بين الحَكم بن الزبير أخي أبي بكر بن كلاب وبين بكر بن نوفل أحدِ بني جعفر بن كلاب شيءٌ في وكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفريَّ في الرَّحبة[١] من أرض دمشق، وكان الجعفريّ قد استولى عليها فقطع شَفْرَه الأعلى، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه؛ فقال الوليد في ذلك:

صـــوت

أَيا حَكَمُ المَتبولُ[٢] لَو كُنتَ تَعتَزي[٣] إِلـى أُسـرَةٍ لَـيـسـوا بِـسـودٍ زَعـانِـفِ[٤]

لأَيـقَـنـتَ قَـد أَدرَكـتَ وِتـرَكَ عَـنـوَةً بِلا حُكمِ قاضٍ بَل بِضَربِ السَّوالِفِ

[الطويل]

ـ غنَّاه الهُذليّ ثقيلاً أول عن الهشاميّ ويونس ـ قال: فلما استخلف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجعفريّ فقال: ألا تعطي حَكَم بن الزبير حقَّه! قال: لا؛ فأمر به فشُترتْ[٥] عينه. ثم قال:

---

(١) رحبة دمشق: قرية بينها وبين دمشق ميل.

(٢) المَتْبُولُ: الذي يُحِبُّ ولا يُعْطَى حاجَتَه.

(٣) تعتزي: تنتسب.

(٤) الزِّعْنِفَةُ بالكسر: القصيرُ. وأصلُ الزَّعانِفِ أطرافُ الأديمِ وأكارعُه. قال أوس بن حجر:

فـمـا زال يَـفْـري الـبـيـدَ حـتّـى كـأنـمـا قـوائـمُـهُ فـي جـانِـبَـيْـهِ الـزَّعـانِـفُ

أي كأنها معلّقةٌ لا تمسُّ الأرض من سُرعته.

(٥) الشَّتَرُ: انقلابٌ في جفن العين. يقال: رجلٌ أَشْتَرُ بيِّن الشَّتَرِ. وقد شَتِرَ الرجل وشُتِرَ أيضاً. وشَتَرْتُهُ

يـا ربَّ أمـرٍ ذي شـؤون جَـحـفـلِ[١] قـاسَـيْـتُ فـيـه جَـلـبَـاتِ[٢] الأحـول

[الرجز]

[رثاؤه ابنه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

خرج الوليد إلى متصيَّد له فأقام به، ومات له ابن يقال له مؤمِن بن الوليد، فلم يقدر أحدٌ أن ينعاه إليه، حتى ثَمِل فنعاه إليه سِنانٌ الكاتب وكان مغنِّياً؛ فقال الوليد ـ وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي اختيرت للواثق والرشيد قبله ـ :

صـوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أَتـانـي سِـنـانٌ بِـالـوَداعِ لِـمُـؤمِـنٍ فَـقُـلـتُ لَـهُ إنّـي إلـى الـلَّـهِ راجِـعُ

أَلا أيُّـهـا الـحـاثـي[٣] عَـلَـيـهِ تُـرابَـهُ تَـعِـستَ وَشَـلَّـت مِـن يَـدَيـكَ الأَصـابِـعُ

يَـقـولـونَ لا تَـجـزَع وَأَظـهِـر جَـلادَةً فَـكَـيـفَ بِـمـا تُـحـنـى عَـلَـيـهِ الأَضـالِـعُ

[الطويل]

عروضُه من الطويل. غنَّاه سنان الكاتب، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لأبي كامل خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وقيل: إن فيه لحناً لعبد اللَّه بن يونس صاحب أَيْلَة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثني عقيل بن عمرو قال: قال يزيد بن أبي مُساحِق السُّلَميّ مؤدِّب الوليد شعراً وبعث به إلى النَّوار جارية الوليد، فغنّته به، وهو:

مَـضَـى الـخُـلـفـاءُ بـالأمـرِ الـحـمـيـدِ وأصـبـحـت الـمـذَمَّـةُ لـلـولـيـدِ

تـشـاغَـلَ عـن رعـيَّـتِـهِ بـلـهـو وخـالـفَ فـعـلَ ذي الـرأي الـرشـيـدِ

[الوافر]

= أنا، مثل ثَرِمَ وثَرَمْتُهُ أنا. وأَشْتَرَتْهُ أيضاً. وانْشَتَرَتْ عينُه. وشَتَّرْتُ بفلان تَشْتيراً، إذا تَنَقَّصْتَهُ وعِبْتَهُ.

(١) الجَحْفَلُ: الجيشُ. ورجلٌ جَحْفَلٌ، أي عظيم القَدْر. والجَحْفَلَةُ للحافر، كالشَّفة للإنسان. وجَحْفَلَهُ، أي صرعه ورماه. وتَجَحْفَلَ القومُ، أي اجتمعوا.

(٢) الجلبات: الشدائد.

(٣) الحاثي: الذي يحثو التراب على الشيء، أي يغطي الشيء به.

فكتب إليه الوليد:

لَيتَ حَظّي اليَومَ مِن كلْ ... لِ مَعاشٍ لي وَزادِ
قَهوَةٌ أَبذُلُ فيها ... طارِفي ثُمَّ تِلادي
فَيَظَلُّ القَلبُ مِنها ... هائِماً في كُلِّ وادي
إِنَّ في ذاكَ صَلاحي ... وَفَلاحي وَرَشادي

[مجزوء الرمل]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثني إبراهيم بن الوليد الحِمصيّ قال: حدَّثنا هارون بن الحسن العَنبريّ قال:

قال الوليد بن يزيد: يا بني أميَّة، إياكم والغناءَ فإنّه ينقُص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدِم المروءةَ ويُثوِّر على الخمر ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بدّ فاعلين، فجنِّبوه النساء فإنّ الغناء رُقْيةُ الزِّنا. وإنّي لأقول ذلك فيه على أنه أحبُّ إليّ من كل لذّة وأشهى إليّ من الماء البارد إلى ذي الغُلَّة، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يقال.

أخبرني الحسن بن عليّ حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: حدّثني بعضُ موالي الوليد قال: دَخَلْتُ إليه وقد عقد لابنيه بعده وقدَّم عثمان؛ فقلت له: يا أمير المؤمنين، أقول قولَ الموثوقِ بنصيحته أو يَسَعُني السكوت؟ قال: بل قُلْ قول الموثوق به؛ فقلت: إنّ الناس قد أنكروا ما فعلتَ وقالوا: يُبايع لمن لم يَحتلِم، وقد سمعتُ ما أكره فيك؛ فقال: عَضُّوا ببظور أمهاتكم، أفأُدخِل بيني وبين ابني غيري، فيَلقى منه كما لقيتُ من الأحول بعد أبي! ثم أنشأ يقول:

صوت

سَرى طَيفُ ذا الظَّبيِ بِالعاقِدا ... نِ لَيلاً فَهَيَّجَ قَلباً عَميدا
وَأَرَّقَ عَيني عَلى غِرَّةٍ ... فَباتَت بِحُزنٍ تُقاسي السُّهودا
نُؤَمِّلُ عُثمانَ بَعدَ الوَليـ ... ـدِ لِلعَهْدِ فينا ونَرجو سَعيدا
كَما كانَ إِذ كانَ في دهرِهِ ... يَزيدُ يُرجِّي لِتِلكَ الوَليدا
عَلى أَنَّها شَسَعَت[1] شَسعَةً ... فَنَحنُ نُرَجّي لَها أَن تَعودا

(١) الشّاسعُ: المكان البعيد. وشَسَعَت: بعدت.

فَـإِن هِـيَ عـادَت فَـأَقـصِ[1] الـقَـريـ ـبَ عَـنـهـا لِـتـوئِـس مِـنـهـا الـبَـعـيـدا

[المتقارب]

ـ غنّاه أبو كامل ثانيَ ثقيل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوريّ بالوسطى. وذكر الهشاميّ أن فيه خفيفَ رمل لحَكَم، وذكرت دنانيرُ عن حكم أنه لعمر الوادي، وذكر حبش أن الثقيل الثاني لمالك وأن فيه لفَضْل النجَّار رَمَلاً بالبنصر ـ أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكّار قال: هو:

سـرى طـيـفُ ظـبـي بـأعـلـى الـغُـوَيـر

ولكن هذا تصحيف سليمان السَّوادي أو قال: خُلَيد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني إسحاق قال: كان الوليد قد بايع لابنيه الحَكَم وعثمان، وهو أول من بايع لابن سُرّيّةٍ أمَةٍ، ولم يكونوا يفعلون ذلك، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص، فحبَسهما ثم قتلهما؛ وفيهما يقول ابنُ أبي عَقِب:

إذا قُـتِـلَ الـخَـلْـف الـمُـدِيـمُ لِـسُـكـرِه بـقَـفْـر مـن الـبـخـراء[2] أُسِّـس فـي الـرَّمـلِ

وسِـيـقَ بـلا جُـرْم إلـى الـحـتـفِ والـرَّدى بُـنـيَّاه حـتـى يُـذْبـحـا مَـذبـحَ الـسَّـخـل[3]

فَـوَيـلُ بـنـي مـروان مـاذا أصـابـهـم بـأيـدي بـنـي الـعـبـاس بـالأسْـرِ والـقـتـلِ

[الطويل]

[زندقته]

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عمَّار قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوفلي قال:

---

(١) عاص القريب، يريد جاف القريب ولا تدنه من الخلافة بتوليتك إياه العهد.

(٢) البخراء: منزل من منازل البحرين بين البصرة والأحساء، وقيل: هي أرض بالشام سميت بذلك لعفونة تربتها ونتن ريحها. وكان الوليد بن يزيد توجه إليها يغتذي بها ويشرب ألبان اللقاح يتطلب الصحة ويستبعد من الوباء، وكان ماجناً سفيهاً مستخفاً بأهل الدين، وأخباره في ذلك مشهورة، فأقبل إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك من دمشق في المعتزلة وصلحاء القدرية منكرين لفعل الوليد فقتلوه بالبخراء سنة ست وعشرين ومائة، وكان معطلاً وله أخبار قبيحة.

(٣) السخل: يقال لأولاد الغنم ساعةَ تضعه من الضأن والمعز جميعاً، ذكراً كان أو أنثى: سَخْلَةٌ، وجمعه سخْلٌ وسِخالٌ. والسُّخَّلُ: الضُّعفاءُ من الرِّجال، لا واحد له. وأهل المدينة يسمُّون الشيصَ من التمر: السُّخَّلُ. وقد سَخَّلَتِ النخلةُ تَسْخيلاً. ويقال أيضاً: سَخَّلْت الرجل، إذا عِبْتَه وضَعَّفْتَهُ؛ وهي لغة هذيل. وكواكبُ مَسْخولَةٌ، أي مجهولةٌ.

حدّثني أبي عن العَلاء البندار قال: كان الوليد زِنديقاً، وكان رجل من كَلْب يقول بمقالته مقالةِ الثَّنَويّة[١]، فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبي عنده، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريرٌ أخضرُ؛ فقال: ادْنُ يا علاء فدنوتُ، فرفع الحريرةَ فإذا في السَّفَط صورة إنسان وإذا الزئبقُ والنوشادِر قد جُعلا في جفنه فجفنُه يَطرِف كأنه يتحرّك، فقال: يا علاء، هذا ماني[٢]، لم يبتَعِثِ اللَّهُ نبيًّا قبله ولا يبتعثُ نبيًّا بعده. فقلت: يا أمير المؤمنين، اتق اللَّه ولا يَغُرنّك هذا الذي ترى عن دينك. فقال له الكلبيّ: يا أمير المؤمنين، ألم أقُل لك: إن العلاء لا يَحتمل هذا الحديث. قال العلاء: ومكثتُ أياماً، ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبيّ عنده، إذ نزل من عنده وقد كان الوليدُ حَمله على بِرذَوْن هِملاج[٣] أشقرَ من أفْرَهِ ما سُخِّر، فخرج على بِرْذَوْنه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر؛ فما شعَر إلا وأعرابٌ قد جاءوا به يحملونه منفسِخةً عنقُه ميتاً وبِرذَونه يُقاد حتى أسلموه. فبلغني ذلك، فخرجت متعمّداً حتى أتيتُ أولئك الأعرابَ، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه في أرض البَخراء لا حجرَ فيها ولا مدرَ، فقلت لهم: كيف كانت قصّةُ هذا الرجل؟ قالوا: أقبل علينا على بِرذَون، فواللَّه لكأنّه دُهْنٌ يسيل على صَفاةٍ من فَراهته، فعِجبنا لذلك؛ إذ انقضّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضَبعَيه[٤] فاحتمله ثم نكَسه وضرب برأسه الأرضَ فدَقّ عنقه ثم غاب عن عيوننا؛ فاحتملناه فجئنا به.

[قصة مقتله]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ قال: لما أكثر الوليد بن يزيد التهتُّكَ وانهمك في اللذّات وشُرب الخمر وبَسَطَ المكروهَ على ولد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيِّه، ملّ الناسُ أيامَه وكرهوه. وكان قد عقد لابنيه بعده ولم يكونا بلغا؛ فمشى الناسُ بعضهم إلى بعض في خَلْعِه، وكان أقواهم في ذلك يزيدَ الناقصَ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، فمشى إلى أخيه العبَّاس وكان امرأ صدقٍ ولم يكن في بني أميَّة مثله، كان يتشبّه بعمر بن عبد العزيز فشكا إليه ما يجري

(١) الثنوية: أصحاب نظرية دينية، تقول بالاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان.
(٢) هو ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور.
(٣) الهِمْلاجُ من البَراذينِ: واحد الهَماليج، ومشيُها الهَمْلَجَة وهو الحسن السير في سرعة وبخترة، وهو فارسيٌّ معرَّب.
(٤) الضبع: العضد والإبط، يقال: أخذ بضبعيه أي بعضديه.

على النّاس من الوليد؛ فقال له: يا أخي، إن الناس قد ملّوا بني مروان، وإن مَشى بعضكم في أمر بعض أُكِلتم، وللَّه أجلٌ لا بدّ أن يبلُغه فانتظره. فخرج من عنده ومشى إلى غيره، فبايعه جماعةٌ من اليمانيةِ الوجوه؛ فعاد إلى أخيه ومعه مولى له وأعاد عليه القولَ وعرّض له بأنه قد دُعي إلى الخلافة؛ فقال له: واللَّه لولا أني لا آمَنُه عليك من تحامُله لوجهتُ بك إليه مشدوداً، فنشدتُك اللَّه ألا تسعى في شيء من هذا. فانصرف من عنده وجعل يدعو الناسَ إلى نفسه. وبلغ الوليدَ ذلك فقال يذكر قومه ومشيَ بعضهم إلى بعض في خلعه:

صـوت

سَـلِّ هَـمَّ الـنَّـفـسِ عَـنـهـا ... بِـعَـلَـنـدَاةٍ[1] عَـلاةِ
تَـتَّـقـي الأَرضَ وَتَـهـوي ... بِـخـفـافٍ مُـدمَـجـاتِ
ذاكَ أَم مـا بـالُ قَـومـي ... كَـسَـروا سِـنَّ قَـنـاتـي
وَاسـتَـخَـفّـوا بـي وَصـاروا ... كَـقـرودٍ خـاسِـئـاتِ

[مجزوء الرمل]

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك. والغناء لأبي كامل غُزَيّل الدِّمشقيّ ماخوريّ بالبنصر. وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد:

أَصـبَـحَ الـيَـومَ وَلـيـدٌ ... هـائِـمـاً بِـالـغـانِـيـاتِ
عِـنـدَهُ طـاسٌ وَإِبـريـ ... ـقٌ وَراحٌ بِـالـفَـلاةِ
ابـعـثـوا خـيـلاً لـخـيـل ... وَرُمـاةً لـرمـاة

[مجزوء الرمل]

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن عليّ قال: أخبرنا أحمد بن الحارث قال: حدّثني المدائنيّ عن جُوَيريةَ بن أسماء، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حمَّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جُويرية بن أسماء قال: قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك:

لما أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللَّهو والصيد واحتجب عن الناس

(١) قال الليث في باب العَلْد: العَلَنْدَري: البعير الضخم الطويل. والجميع العَلاند والعَلَادِي والعَلَنْديات وأحسنه العَلَاند على تقدير قلانس. وقال النضر: العَلَنْداة من الإبل: العظيمة الطويلة. ولا يقال: جمل عَلَنْدي. قال: والعَرْناة مثلها، ولا يقال: جمل عَفَرْني. وقال الليث: العَلَنْداة: شجرة طويلة لا شوك لها من العضاه.

ووالى بين الشرب وانهمك في اللذات، سئمه الناس ووعَظه من أشفق عليه من أهله؛ فلمّا لم يُقلع دَبُّوا في خَلْعه. فدخل أبي بشر بن الوليد على عمي العباس بن الوليد وأنا معه، فجعل يكلّم عمّي في أن يخلع الوليدَ بن يزيد ومعه عمي يزيدُ بن الوليد، فكان العبّاس ينهاه وأبي يردّ عليه، فكنت أفرح وأقول في نفسي: أرى أبي يجترىء أن يكلّم عمّي ويردّ عليه، فقال العباس: يا بني مروان، أظن أن اللّه قد أذِن في هلاككم. ثم قال العباس:

إنِّي أعِيذكم باللَّه من فِتَنٍ ... مثل الجبال تَسامَى ثم تندفِعُ
إنَّ البريَّةَ قد ملَّت سياستكم ... فاستمسكوا بعمود الدِّين وارتَدِعوا
لا تُلْحِمُنّ[1] ذئابَ الناس أنفُسَكم ... إنَّ الذئاب إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعوا
لا تَبْقُرُنَّ بأيديكم بطونَكُمُ ... فَثَمَّ لا فِدْيَةٌ تُغْنِي ولا جَزَع

[البسيط]

قال المدائنيّ عن رجاله: فلما استجمع ليزيد أمرهُ وهو مُتَبَدٍّ أقبل إلى دمشق، وبين مكانه الذي كان مُتَبدِّياً فيه وبين دمشق أربعُ ليالٍ، فأقبل إلى دمشق متنكّراً في سبعة أَنفس على حُمُر وقد بايع له أكثرُ أهلِ دمشق وبايع له أكثرُ أهلِ المِزّةِ. فقال مولى لعبَّاد بن زِياد: إني لَبِجَرودَ ـ وبين جَرُودَ ودمشق مرحلةٌ ـ إذ طلع علينا سبعةٌ مُعتَمُّون على حُمُر فنزلوا، وفيهم رجل طويل جسيم، فرمى بنفسه فنام وألقَوا عليه ثوباً، وقالوا لي: هل عندك شيء نشتريه من طعام؟ فقلت: أما بيعٌ فلا، وعندي من قِراكم ما يُشبِعكم؛ فقالوا: فعجِّله؛ فذبحتُ لهم دجاجاً وفِراخاً وأتيتُهم بما حضر من عسل وسمن وشَوانِيز[2]، وقلت: أيقظوا صاحبكم للغداء؛ فقالوا: هو محمومٌ لا يأكل؛ فسفَروا للغداء فعرفتُ بعضهم، وسفَر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد، فعرفته فلم يكلمني. ومَضَوا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مُشاةٍ إلى معاوية بن مَصاد وهو بالمِزَّة ـ وبينها وبين دمشق مِيل ـ فأصابهم مطر شديد، فأتوْا منزلَ معاوية فضربوا بابَه وقالوا: يزيد بن الوليد؛ فقال له معاوية: الفِراشَ، ادخل أصلحك اللَّهُ؛ قال: في رجلي طين وأكره أن أفسدَ عليك بساطَك؛ فقال: ما تُريدني عليه أفْسَدُ. فمشى على البِساط وجلس على الفراش، ثم كلَّم معاوية فبايَعه. وخرج إلى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمان الحسَنيّ مستخفياً، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجَّاج بن يوسف، فخاف عبدُ الملك الوَباءَ فخرج فنزل قَطَنا، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى

(١) ألحمت القوم: أطعمتهم اللحم.
(٢) الشوانيز: التوابل.

شُرْطته أبو العاج كثيرُ بن عبد اللَّه السُّلميّ. وتَمَّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور. وقيل لعامل دمشق: إنّ يزيد خارجٌ فلم يصدّق. وأرسل يزيدُ إلى أصحابه بين المغرب والعِشاء في ليلة الجمعة من جُمادَى الآخرة سنةَ سبع وعشرين ومائة، فكمنوا في مِيضأةٍ عند باب الفَراديس[١]، حتى إذا أُذِّنوا العَتَمَةَ دخلوا المسجد مع الناس فصلّوا. وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل؛ فإذا خرج الناس خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبوابَ، ودخل الدارَ من باب المقصورة فيَدفعُ المفاتيح إلى من يحفظها ويخرُج. فلما صلّى الناسُ العتمةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا، وتباطأ أصحاب يزيد الناقص، فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب، حتى لم يَبْق في المسجد إلا الحرسُ وأصحابُ يزيد، فأخذوا الحرسَ. ومضى يزيد بن عَنبسة السَّكْسَكيّ إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال: قُمْ يا أمير المؤمنين وأبْشِر بعون اللَّه ونصره؛ فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً. فلمّا كنّا عند سوق القمح لَقِيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم، فمضوْا حتى دخلوا المسجدَ وأتوْا بابَ المقصورة، وقالوا: نحن رسل الوليد، ففتح لهم خادمٌ البابَ، ودخلوا فأخذوا الخادم، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خُزَّان البيت[٢] وصاحبَ البريد، وأرسل إلى كلّ من كان يحذرُه فأخذه. وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَعلَبَك، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحجَّاج فأخذهما. وبعث أصحابه إلى الخشَبيَّة[٣] فأتوْه، وقال للبَوّابين: لا تفتحوا الأبواب غُدوْةً إلا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا. قال: فتركوا الأبواب في السلاسل. وكان في المسجد سلاح كثير قدِم به سليمانُ بن هشام من الجزيرة، فلم يكن الخُزّان قبضوه، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه وأصبحوا، وجاء أهلُ المِزّة مع حُرَيث بن أبي الجَهْم. فما انتصف النهارُ حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثَّل قول النابغة:

إذا استُنزِلوا عَنهُنَّ لِلطَّعنِ أَرقَلوا إِلى المَوتِ إِرقالَ الجِمالِ المَصاعِبِ

[الطويل]

فجعل أصحابُه يتعجَّبون ويقولون: انظروا إلى هذا! كان قُبَيْلَ الصبح يُسَبِّح وهو الآن يُنشد الشعر. قال: وأمر يزيدُ عبد العزيز بن الحجَّاج بن عبد الملك بن مَروان فوقف بباب الجابية فنادَى: من كان له عطاءٌ فليأتِ إلى عطائه، ومن لم يكن له عَطاء

(١) باب الفراديس: باب من أبواب دمشق.
(٢) خُزان البيت: يريد بيت المال.
(٣) الخشبية: أصحاب المختار بن أبي عبيد.

فله ألف درهم مَعُونةً[١]؛ فبايعَ له الناسُ وأمَر بالعطاء. قال: وندَب يزيدُ بن الوليد الناسَ إلى قتال الوليد بن يزيد بن عبد العزيز، وقال: من انتَدب معه فله ألفانِ، فانتدب ألفا رجلٍ، فأعطاهم وقال: موعدُكم ذَنَبةُ[٢]؛ فوافى ذَنَبةَ ألف ومائتا رجل؛ فقال: ميعادُكم مصنعةٌ بالبريَّة وهي لبني عبد العزيز بن الوليد؛ فوافاه ثمانُمائة رجل، فسار فوافاهم ثَقَلُ[٣] الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسانٌ منهم منصور بن جُمْهور ويعقوب بن عبد الرحمن السُّلَمِيّ والأصبَغُ بن ذُؤالةَ وشَبيبُ بن أبي مالك الغَسَّانيّ وحميد بن نصر اللخميّ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد. فقال الوليد: أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعِد عليه. وأتاه خبرُ العبَّاس بن الوليد: إني أجيئك. وأُتي الوليدُ بفرسين الذّائد والسِّنديّ، وقال: أعليّ يتواثبُ الرجال وأنا أثبُ على الأسد وأتخصَّر[٤] الأفاعي! وهم ينتظرون العباس أن يأتيَهم ولم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ، فقُتل عثمان الخشبيّ، وكان من أولاد الخشبيَّة الذين كانوا مع المختارِ[٥]. وبلغَ عبد العزيز بن الحجَّاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليدَ، فأرسل منصورَ بن جُمْهور في جَريدة[٦] خيل وقال: إنكم تَلقوْن العباس بن الوليد ومعه بنوه في الشِّعْب فخذوُه. وخرج منصور في تلك الخيل وتقدّموا إلى الشِّعْب، وإذا العبَّاسُ ومعه ثلاثون قد تقدّموا أصحابَه، فقال له: اعْدِل إلى عبد العزيز، فشتَمهم، فقال له منصور: واللَّه لئن تقدّمتَ لأنفُذَنّ حَصِينك[٧] بالرّمح؛ فقال: إنا للَّه! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز. فقال له عبد العزيز: بايع ليزيد؛ فبايع ووقف؛ ونصبوا راية وقالوا: هذا العبّاس قد بايعَ. ونادى منادي عبد العزيز؛ من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمنٌ؛ فقال العبّاسَ: إنا للَّه! خُدْعَةٌ من خُدَع الشيطان! هلك واللَّه بنو مروان! فتفرّق الناس عن الوليد وأتوا العبّاسَ. وظاهَر الوليدُ في درعين وقاتلهم. وقال الوليد: من جاء برأس فله خمسمائة درهم، فجاء جماعةٌ بعدّة رؤوس، فقال: اكتبوا أسماءهم؛ فقال له رجل من مواليه:

(١) العبارة للطبري. وفي الأصول: «ألا من كان له عطاء فله أربعون ديناراً في العطاء ومعونة ألف درهم فبايعه... إلخ».
(٢) موضع بعينه من أعمال دمشق.
(٣) الثقل: المتاع.
(٤) تخصر: أخذ المخصر (العصا) بيده وأمسكها.
(٥) يريد المختار بن أبي عبيد. خرج بالكوفة سنة ست وستين مطالباً بدم الحسين رضي اللَّه عنه وأهل بيته وذلك في سلطان ابن الزبير، وأخرج عن الكوفة عبد اللَّه بن مطيع عامل ابن الزبير، ثم قتله مصعب بن الزبير في قصره بالكوفة سنة سبع وستين.
(٦) الجريدة من الخيل: الجماعة منها.
(٧) يعني درعك.

ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامَل فيه بالنَّسيئة. وناداهم رجالٌ: اقتلوا اللُّوطيَّ قِتلةَ قوم لوط، فرمَوْه بالحجارة. فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال:

صـوت

دَعُـوا لـي سُـلَـيْـمَـى والـطِّـلاء وقَـيْـنَـةً ... وكـأسـاً ألا حَـسْـبِـي بـذلـك مـالا
إذا مـا صـفـا عـيـش بِـرَمْـلـةِ عـالِـجٍ[1] ... وعـانَـقْـتُ سـلـمـى لا أُريـد بِـدالا
خـذوا مُـلـكَـكـم لا ثـبَّـت الـلَّـه مـلـكـكـم ... ثِـبـاتـاً يـسـاوي مـا حَـبِـيـتُ عِـقـالا
وخَـلُّـوا عِـنـانـي قـبـل عَـيْـرٍ ومـا جَـرَى[2] ... ولا تـحـسُـدونـي أن أمـوت هُـزالا

[الطويل]

غنّاه عمرُ الوادي رملاً بالوسطى عن حَبَش ـ ثم قال لعمر الوادي: يا جامع لذتي، غنِّني بهذا الشعر. وقد أحاط الجندُ بالقصر؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب: أما فيكم رجل شريف له حسب وحياءٌ أكلّمه؟! فقال له يزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيّ: كلِّمني؛ فقال له الوليد: يا أخا السَّكاسك، ما تنقمُون مني؟! ألم أزِد في أعطِياتكم وأعطيةِ فقرائكم وأخدَمتُ زمناكم ودفعتُ عنكم المؤنَ؟! فقال: ما ننقم عليك في أنفسنا شيئاً، ولكن ننقم عليك انتهاك ما حرم اللَّه وشرب الخمور ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر اللَّه. قال: حَسبُك يا أخا السَّكاسِك! فلعمري لقد أغرقتَ[3] فأكثرت، وإنّ فيما أحلّ اللَّه لسَعَةً عمّا ذكرتَ. ورَجع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال: يومٌ كيوم[4] عثمان، ونشر المصحفَ يقرأ، فَعَلوُا الحائطَ؛ فكان أوّلَ من علا الحائطَ يزيدُ بن عنبسة، فنزل سيفُ الوليد إلى جنبه؛ فقال له يزيد: نَحِّ سيفَك، فقال الوليد: لو أردتُ السيف لكانت لي ولك حالةٌ غيرُ هذه. فأخذ بيده وهو يريد أن يُدْخِله بيتاً، ويُؤامِرَ فيه، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصورُ بن جُمْهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّريّ بن زياد بن أبي كَبشة، فضربه

---

(١) عالج: رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيئ وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة لا ماء بها.

(٢) قبل عير وما جرى، قال أبو عبيد: إذا أخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر كان لذلك قيل: فعل كذا وكذا قبل عير وما جرى. قالوا: خصّ العير لأنه أحذر ما يقتنص، وإذا كان كذلك كان أسرع جرياً من غيره، فضرب به المثل في السرعة. وقيل: العير: إنسان العين، فإذا قيل: جاء قبل عير وما جرى فمعناه قبل لحظة العين.

(٣) أي تجاوزت الحدّ في القول وبالغت فيه.

(٤) يريد عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه، فإنه لما قتل كان يقرأ في المصحف وجرى دمه عليه.

عبد الرحمن السُّلميّ على رأسه ضربةً وضربه السَّريّ بن زياد على وجهه، وجَرُّوه بين خمسة ليُخرجوه، فصاحت امرأةٌ كانت معه في الدار فكفُّوا عنه فلم يُخرجوه، واحتزَّ رأسَه أبو عِلاقة القُضاعي وخاط الضربةَ التي في وجهه بالعَقَب[١]، وقُدِم بالرأس على يزيد، قَدِم به رَوْح بن مُقبل، وقال: أبْشِر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق، فاستتمَّ الأمرُ له وأحسن صِلَتَه. ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضعَ ذكره.

قال: ولما قُتل الوليد بن يزيد جعل أبو مِحْجَن مولى خالد القَسريّ يُدْخِلُ سيفه في است الوليد وهو مقتول. فقال الأصبَغ بن ذُؤالة الكلبيّ[٢] في قتل الوليد وأخذهم ابنيه:

[ف]منْ مُبْلِغٌ قيساً وخِنْدَف كُلَّها ... وساداتِها من عبدِ شمسٍ وهاشِمِ
قتلْنا أميرَ المؤمنين بخالدٍ[٣] ... وبِعْنا ولِيَّي عهدهِ بالدراهِمِ
[الطويل]

وقال أبو مِحْجَن مولى خالد:

لو شاهدوا حدَّ سيفي حين أُدْخِلُهُ ... في اسْتِ الوليد لماتوا عنده كَمَدا
[البسيط]

[يقتل في مجلس الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبيّ عن جرير قال:

قال لي عمر الوادي: كنت أغنّي الوليد أقول:

صوت

كَذَبَتْكَ نفسُكَ أم رأيتَ بِواسِطٍ ... غَلَسَ الظلامِ من الرَّبابِ خيالا
[الكامل]

---

(١) العقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار.

(٢) الأصبغ بن ذؤالة بن لقيم بن نجا بن زامل، من بني عامر الأكبر. شاعر وسيد من أعيان كلب، اشترك في قتل الوليد بن يزيد والبيعة ليزيد بن الوليد، وثار مع أهل حمص ضد مروان بن محمد الذي صلبه في حمص.

(٣) هو خالد بن عبد اللَّه القسري، وقد كان الوليد سلمه ليوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله.

قال: فما أتممتُ الصوت حتى رأيتُ رأسَه قد فارق بدنَه ورأيتُه يتشحّط في دمه. يقال: إن اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي، ويقال: لابن جامع.

[وليا عهده]

قالوا: وكان عثمان والحكَم ابنا الوليد قد بايَعهما بالعهد بعده، فتغيّبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخضراء[١] ودخل عليهما يزيدُ الأفقَمُ بن هشام فجعل يشتُم أباهما الوليدَ وكان قد ضربَه وحلقه، فبكى الحكم، فقال عثمان أخوه: اسكت يا أخي؛ وأقبل على يزيد فقال: أتشتُم أبي؟ قال: نعم؛ قال: لكني لا أشتُم عمي هشاماً، ووالله لو كنتَ من بني مروان ما شتمتَ أحداً منهم، فانظر إلى وجهك فإن كنتَ رأيت حَكَمِيًّا[٢] يُشبِهك أو له مثلُ وجهك فأنت منهم، لا والله ما في الأرض حَكَمِيّ يشبهك.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن مَسلمة بن محارب قال:

لما قُتل الوليدُ قال أيّوب[٣] السختياني: ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه. قال: وإنما قال ذلك تخوُّفاً من الفتنة.

[الخلفاء العباسيون ينتصرون له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ: أنّ ابناً للغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد، فقال: ممن أنت؟ قال: من قريش، قال: من أيّها؟ فأمسكَ قال: قلْ وأنت آمن، ولو أنك مَروانيّ، قال: أنا ابن الغَمْر بن يزيد. قال: رحم اللَّه عمك ولعن يزيدَ الناقص وقَتَلةَ عمّك جميعاً، فإنهم قتلوا خليفة مُجمَعاً عليه، ارفع إليّ حوائجَك، فقضاها.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا الغلابي قال: حدّثنا العَلاء بن سُوَيْد المِنقَري قال:

ذكر ليلةً المهديُّ أمير المؤمنين الوليدَ بن يزيد فقال: كان ظريفاً أديباً. فقال له

---

(١) الخضراء: موضع باليمامة، وهي أيضاً حصن باليمن كما في ياقوت، ولعلها أيضاً موضع بالشام لم تذكره معاجم البلدان.

(٢) يعني من ينسب إلى الحكم بن أبي العاص والد مروان رأس هذه الأسرة.

(٣) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني العنزي أبو بكر البصري الفقيه أحد الأئمة الأعلام، مات سنة ١٣١ هـ.

شَبيب بن شَيبة: يا أمير المؤمنين إن رأيت ألا تُجريَ ذكرَه على سمعك ولسانك فافعلْ فإنه كان زنديقاً، فقال: اسكت، فما كان اللَّه ليضع خلافته عند من يكفر به. هكذا رواه الصُّوليّ.

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: أخبرنا عَقيل بن عمرو قال: أخبرني شَبيب بن شَيبة عن أبيه قال: كنَّا جلوساً عند المهديّ فذكروا الوليد بن يزيد، فقال المهديّ: أحسبه كان زنديقاً، فقام ابن عُلاثة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين، اللَّه عزّ وجلّ أعظمُ من أن يولِّي خلافةَ النبوّة وأمرَ الأُمّة من لا يؤمن باللَّه، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصَلاته، وحدّثني أنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مُطيَّبةٍ ومصبَّغةٍ ثم يتوضأ فيُحسن الوضوء، ويُؤْتى بثيابٍ بيضٍ نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك، ثم يعود إلى شربه ولهوه؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن باللَّه؟! فقال له المهديّ: صدقت بارك اللَّه عليك يا بنَ عُلاثة.

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدّةُ أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها ها هنا مع أخباره، واللَّه أعلم.

صـــوت

من المائة المختارة

أُمّ ســـــلَّام مـــــا ذكـــــرتُـــــكِ إلا ... شَـرِقَـتْ بـالـدمـوع مِـنِّـي الـمـآقِـي
أُمَّ ســلَّام ذكــرُكُــم حــيــث كــنــتــم ... أنــتِ دائــي وفــي لــســانِــك راقــي
مـا لـقـلـبـي يَـجُـولُ بـيـن الـتَّـراقـي ... مُـسْـتَـخِـفًّـا يَـتُـوقُ كـلَّ مَـتَـاقِ
حَــذَراً أن تَــبِــيــنَ دارُ سُــلــيــمــى ... أو يـصـيـح الـداعـي لـهـا بِـفِـراقِ

[الخفيف]

غنّاه عمر الوادي، ولحنُه المختارُ خفيف رملٍ مطلقٌ في مجرى البنصر. وذكر عمرو بن بانة أنّ لسلّامة القَسِّ فيه خفيفَ رمل بالوسطى، ولعلّه بمعنى هذا. ومن الناس من يروي هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبي عَمَّار الجشَميّ في سلّامةِ القَسّ، وليس ذلك له، هو للوليد صحيح، وهو كثيراً ما يذكر سَلمى هذه في شعره بأم سلَّام وبسلمى، لأنه لم يكن يتصنّع في شعره ولا يُبالي بما يقوله منه. ومن ذلك قوله فيها:

صـوت

أُمَّ سَـلّامَ لَـو لَـقـيـتِ مِـنَ الـوَجـ ـدِ عَـشـيـرَ الَّـذي لَـقـيـتُ بَـراكِ
فَـأَثـيـبـي بِـالـوُدِّ صَـبًّـا عَـمـيـداً مُـسـتَـهـامـاً لَـم يَـشـجُـهُ مـا شَـجـاكِ

[الخفيف]

غنّاه مالكٌ خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ.

ذكر أخبار عمر الواديّ ونسبه

هو عمر بن داود بن زاذان. وجَدُّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفّان. وكان عمر مهندساً. وأخذ الغناء عنه حَكَمٌ وذووه من أهل وادي القُرى. وكان قدِم إلى الحرَم فأخذ من غناء أهله فحذِق وصنع فأجاد وأتقن. وكان طيّب الصوت شجيَّه مُطرباً. وكان أوَّلَ من غنّى من أهل وادي القُرى؛ واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدَّم عنده جداً، وكان يسمِّيه جامع لذّاتي ومُحيِي طربي. وقُتل الوليد وهو يغنِّيه، وكان آخرَ عهده به من الناس. وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء:

صـــوت

إِنَّـــنـــي فَـــكَّـــرتُ فـــي عُـــمَـــرٍ ... حـــيـــنَ قـــالَ الـــقَـــولَ فَـــاخـــتَـــلَـــجـــا
إِنَّـــهُ لِـــلـــمُـــســـتَـــنـــيـــرِ بِـــهِ ... قَـــمَـــرٌ قَـــد طَـــمَّـــسَ الـــسُّـــرُجـــا
وَيُـــغَـــنّـــي الـــشِّـــعـــرَ يَـــنـــظِـــمُـــهُ ... سَـــيِّـــدُ الـــقَـــومِ الَّـــذي فَـــلَـــجـــا
أَكـــمَـــلَ الـــوادِيُّ صَـــنـــعَـــتَـــهُ ... فـــي لُـــبـــابِ الـــشِّـــعـــرِ فَـــانـــدَمَـــجـــا

[المديد]

الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لعمر الوادي هَزَج خفيفٌ بالبنصر في مَجراها.

تقديمه على المغنين

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا: حدّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنِّين عند الوليد بن يزيد، فلا يمنعه حضورُهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص له. وبلغني أنه كان لا يضرِب وإنما كان مرتَجِلاً، وكان الوليد يسمِّيه جامعَ لذَّاتي. قال: وبلغني أن حَكَماً الواديّ وغيرَه من مُغنّي وادي القُرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثَر أغانيه.

قال إسحاق: وحدّثني عبد السلام بن الرَّبيع: أنّ الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رُقَيَّة، وكان ضعيفَ العقل، وكان يُمسك المصحفَ على أمّ

الوليد؛ فقال الوليد لعمر الوادي وقد غنَّاه صوتاً: أحسنتَ واللَّه، أنت جامع لذَّاتي، وأبو رقيَّة مضطجعٌ وهم يحسَبونه نائماً، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له: وأنا جامع لذَّات أمّك، فغضب الوليد وهَمَّ به، فقال له عمر الوادي: جعلني اللَّه فِداك! ما يَعقِل أبو رقيَّة وهو صاح، فكيف يعقل وهو سكران؟! فأمسك عنه.

قال إسحاق: وحُدِّثتُ عن عمر الوادي قال: بينا أنا أسير ليلة بين العَرْج[١] والسقيا[٢] سمعت إنساناً يغنّي غناء لم أسمع قطّ أحسنَ منه وهو:

صـــوت

وَكُـنـتُ إِذا مـا زُرتُ سُـعـدى بِـأَرضِـهـا أَرى الأَرضَ تُـطـوى لـي وَيَـدنـو بَـعـيـدُهـا
مِـنَ الـخَـفـراتِ الـبـيـضِ وَدَّ جَـلـيـسُـهـا إِذا مـا انـقَـضَـت أُحـدوثَـةٌ لَـو تُـعـيـدُهـا[٣]

[الطويل]

فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً، فقلت: واللَّه لألتمسنّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبَطت من الشَّرَف[٤]، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو صاحب الصوت، فأعلمتُه الذي أقصَدني إليه وسألتُه إعادته عليّ، فقال: واللَّه لو كان عندي قِرًى ما فعلتُ، ولكنّي أجعله قِراك، فربما ترنَّمتُ به وأنا جائعٌ فأشبَع، وكسلانُ فأَنشَط ومستوحِشٌ فآنسُ؛ فأعاده عليّ مراراً حتى أخذته، فواللَّه ما كان لي كلام غيرُه حتى دخلت المدينة، ولقد وجدته كما قال. حدّثني بهذا الخبر الحرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني الزبير بن بكّار قال: حدّثني المؤمّل بن طالوت

(١) العرج: قرية جامعة على طريق مكّة، بينها وبين المدينة تسعة وتسعون فرسخاً، وهو في الطريق الذي سلكه رسول اللَّه ﷺ حين هاجر إلى المدينة وسمي العرج بتعريج السيول به، وإليها ينسب العرجي الشاعر، ووادي العرج فيه عين من يسار الطريق في شعب بين جبلين وعلى ثلاثة أميال منه مسجد النبي ﷺ يدعى مسجد العرج، ومن العرج إلى السقيا سبعة عشر ميلاً. ورووا أن رسول اللَّه ﷺ نزل العرج فقال: «إن الجن اجتمعوا فأسكن المسلمين منهم بطن العرج». ومن حديث محمد بن المنكدر أن عبد اللَّه بن الزبير بينا هو يسير إلى الإثاية من العرج في جوف الليل إذ خرج إليه رجل من قبر في عنقه سلسلة، وهو يشتعل ناراً ويقول: أيا عبد اللَّه أفرغ علي من الماء، ووراءه رجل آخر يقول: يا عبد اللَّه لا تفعل فإنه كافر، حتى أخذ بسلسلته فأدخله قبره.

(٢) السقيا: بالحجاز، قرية جامعة في طريق مكة من المدينة، ومن العرج إلى السقيا ستة وثلاثون ميلاً، وهي منزل عظيم فيه أهل كثير وبساتين كثيرة وفيه شجر ونخيل، ومن السقيا إلى الأبواء سبعة وعشرون ميلاً.

(٣) البيتان لكثير عزة.

(٤) الشرف: المكان العالي المشرف.

الواديّ قال: حدّثني مَكِين العُذْريّ قال: سمعت عمر الواديّ يقول: بينا أنا أسير بين الرَّوْحاء[١] والعَرْج، ثم ذكر مثله، وقال فيه: فربما ترنّمتُ به وأنا غرثانُ فيُشبِعني، ومستوحشٌ فيؤنِسني، وكسلانُ فينشِّطني. قال: فما كان زادي حتى ولجتُ المدينةَ غيره، وجرَّبتُ ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال.

نسبة هذا الصوت

صـــوت

لَقَد هَجَرَتْ سُعْدَى وَطالَ صُدودُها ... وَعاوَدَ عَيني دَمعُها وَسُهودُها
وَكُنتُ إِذا ما زُرتُ سُعدى بِأَرضِها ... أَرى الأَرضَ تُطوى لي وَيَدنو بَعيدُها
مُنَعَّمَةٌ لم تَلقَ بُؤسَ مَعيشَةٍ ... هي الخُلدُ في الدُّنيا لِمَن يَستفيدُها
هيَ الخُلدُ ما دامَت لِأَهلِكَ جارَةً ... وَهل دامَ في الدُّنيا لِنَفسٍ خُلودُها

[الطويل]

الشعرُ لِكُثَيِّر. والغناء لابن مُحرِز ثقيل أول مطلق بالبنصر عن يحيى المكيّ. وذكر الهشاميُّ أنَّ فيه ليزيدِ حَوْراء ثانيَ ثقيل. وفيه خفيفُ رَمَل يُنسَب إلى عمر الوادي، وهو بعضُ هذا اللحن الذي حكاه عن الراعي ولا أعلم لمن هو. وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ لكثير سائرُها في الغزل وهي من جيّد غَزله ومختارِه. وتمامُ الأبيات بعد ما مضى منها:

فَتِلكَ الَّتي أَصفيتُها بِمَوَدَّتي ... وَليدًا وَلَمّا يَستَبِن لي نُهودُها
وَقَد قَتَلَت نَفسًا بِغيرِ جَريرَةٍ ... وَليسَ لَها عَقلٌ وَلا مَن يُقيدُها
فَكَيفَ يَودّ القَلبُ من لا يودّه ... بلى قد تُريدُ النفسُ من لا يُريدُها
أَلا لَيتَ شِعري بَعدَنا هَل تَغَيَّرَت ... عَنِ العَهدِ أَم أَمسَت كَعَهدي عُهودُها
إِذا ذَكَرَتها النَّفسُ جُنَّت بِذِكرِها ... وَرِيعَت وَحَنَّت وَاستَخَفَّ جَليدُها
فَلو كانَ ما بي بِالجِبالِ لَهَدَّها ... وَإِن كانَ في الدُّنيا شَديداً هُدودُها
وَلَستُ وَإِن أُوعِدتُ فيها بِمُنتَهٍ ... وَإِن أُوقِدَت نارٌ فَشَبَّ وَقودُها
أَبيتُ نَجِيًّا لِلهُمومِ مُسَهَّداً ... إِذا أُوقِدَت نَحوي بِليلٍ وُقودُها
فَأَصبَحتُ ذا نفسينِ نَفسٍ مَريضَةٍ ... مِن اليأسِ ما يَنفَكُّ هَمٌّ يَعودُها

(١) الروحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما أحد وأربعون ميلاً.

وَنَفسي إذا ما كُنتُ وَحدي تَقَطَّعتْ كَما انسَلَّ مِن ذاتِ النِّظامِ فَريدُها
فَلَم تُبدِ لي يأساً فَفي اليَأسِ راحَةٌ وَلَم تُبدِ لي جوداً فَينفَعَ جودُها
[الطويل]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عَباية قال:

قال عمر الوادي: خرج إليّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتمع من شُعاعِهِ؛ فقال لي: يا جامع لذّتي، أتُحِبُّ أن أهبَه لك؟ قلت: نعم واللَّه يا مولاي؛ فقال: غنّ في هذه الأبيات التي أنشِدك فيها واجهَدْ نفسَك، فإن أصبتَ إرادتي وهبتُه لك، فقلت: أجتهد وأرجو التوفيق.

صـوت

أَلا يَسليكَ عَن سَلمى قَتيرُ الشَّيبِ وَالحِلمُ
وَأَنَّ الشَّكَّ مُلتَبِسٌ فَلا وَصلٌ وَلا صُرمُ
فَلا وَاللَّهِ رَبِّ النا سِ ما لَكِ عِندَنا ظُلمُ
وَكَيفَ بِظُلمِ جارِيَةٍ وَمِنها اللينُ وَالرحمُ(١)(٢)
[مجزوء الوافر]

فخلوتُ في بعض المجالس، فما زلتُ أُديره حتى استقام، ثم خرجتُ إليه وعلى رأسه وصيفةٌ، بيدها كأس وهو يروم أن يشربها فلا يقدِر خُماراً، فقال: ما صنعتَ؟ فقلتُ: فرغتُ مما أمرتَني به؛ وغنَّيتُه، فصاح: أحسنتَ واللَّه! ووثب قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدناني فوضع يده اليسرى عليّ متكئاً والكأس في يده اليمنى، ثم قال لي: أعِد بأبي أنت وأمي! فأعدتُه عليه فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحُلَّة التي كانت عليه، فقال: واللَّه العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكَر؛ فما زلت أُعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكراً فنام.

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدّثنا حمَّاد عن أبيه عن غُرَير بن طَلحة الأرقمي عن أبي الحكم عبد المطلب بن عبد اللَّه بن يزيد بن عبد الملك قال: واللَّه إني

(١) الرُّحم: العطف والرحمة.
(٢) الشعر للوليد بن يزيد.

لبالعَقيق في قصر القاسم بن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان بن عفّان وعندي أشعَبُ وعمر الوادي وأبو رقيَّة، إذ دعوتُ بدينار فوضعتُه بين يديّ وسبَّقتُهُمُوه في رَجَزٍ فكان أوّلَ من خسَقَ[1] عمر الوادي فقال:

أنـــا ابـــن داود أنـــا ابـــن زاذان أنـا ابـن مـولـى عـمـرو بـن عـثـمـانِ

[الرجز]

ثم خسَق أبو رقيَّة فقال:

أنـــا ابـــن عـــامـــر الـــقـــاري أنـــا ابـــن أوَّل أعـــجـــمـــي

[الرجز]

تقدّم في مسجد رسول اللَّه ﷺ. ثم خسَق أشعبُ فقال:

أنـــا ابـــن أمِّ الـــخـــلـــنـــداج أنـا ابـن الـمـحـرَّشـة بـيـن أزواج[2]

النبيّ ﷺ. قال أبو الحكم: فقلت له: أي أخزاك اللَّه، هل سمعتَ أحداً قطُّ فخر بهذا؟! فقال: وهل فخر أحدٌ بمثل فخري؟! لولا أن أمّي كانت عندهنّ ثقةً ما قبِلْنَ منها حتى يغضَب بعضهنّ على بعض.

(١) الخسق: الرمي بالسهم. وهو هنا مجاز بمعنى المبادرة.

(٢) هذه الأرجاز الثلاثة ليست متزنة اتزاناً عروضياً. ولعلّه كلام يقصد به الهزل والمزاح أكثر مما يقصد به إلى الجد. لأن أشعب لم يعرف عنه أنه كان شاعراً بل كان مزاحاً صاحب نوادر، وأبو رقية رجل ضعيف العقل، وعمر مغن وليس بشاعر.

أخبار أبي كامل

اسمه الغُزَيْل، وهو مولى الوليد بن يزيد، وقيل: بل كان مولى أبيه، وقيل: بل كان أبوه مولى عبد الملك. وكان مُغَنياً محسناً وطيّباً مضحكاً. ولم أسمع له بخبر بعد أيام بني أميَّة؛ ولعلَّه مات في أيامهم أو قُتِلَ معهم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ: أن أبا كامل غنّى الوليدَ بن يزيد ذات يوم فقال:

صـوت

نـامَ مَـن كـانَ خَـلِـيًّـا مِـن أَلَـم ... وَلَـقَـد بِـتُّ لـيـلـي لـم أَنَـم
أَرقُـبُ الـصـبـحَ[1] كَـأَنّـي مُـسـنَـدٌ ... فـي أَكُـفِّ الـقَـومِ تَـغـشـانـي الـظُّـلَـم
إِنَّ سَـلـمـى وَلَـنـا مِـن حُـبِّـهـا ... دَيـدَنٌ فـي الـقَـلـبِ مـا اخـضَـرَّ الـسَّـلَـم
قَـد سَـبَـتـنـي بِـشَـتـيـتٍ نَـبـتُـهُ ... وَثَـنـايـا لَـم يَـعِـبـهُـنَّ قَـضَـم[2]

[الرمل]

قال: فطرِب الوليد وخلع عليه قَلَنْسِيةَ وَشْيٍ مُذْهَبة كانت على رأسه. فكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلا من عيد إلى عيد ويمسَحها بكُمِّه ويرفعها ويبكي ويقول: إنما أرفعها لأنّي أجِدُ منها ريح سيّدي (يعني الوليد).

الغناء في هذا الصوت هَزَج بالوسطى، نسبه عمرو بن بانة إلى عمر الوادي، ونسبه غيرُه إلى أبي كامل، وزعم آخرون أنه لحكم، هكذا نسبه ابنُ المكيّ إلى حكم وزعم أنّه بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: حدَّثني الأصمعيّ عن

(١) ورد في بعض المصادر «النجم» بدل «الصبح».
(٢) القضم: القَضَمُ: انصداع في السن، وقيل: تَثَلُّمٌ وتكسُّر في أَطراف الأَسنان وتفَلُّلٌ واسوداد، قَضِمَ قَضَماً، فهو قَضِمٌ وأَقضَم، والأُنثى قَضْماء.

صفوان بن الوليد المُعَيطِيّ قال: غنّى أبو كامل ذات يوم الوليدَ بن يزيد في لحنٍ لابن عائشة، وهو:

جنِّبـاني أذاةَ كلّ لئيم إنَّه ما عَلِمْتُ شرُّ نديم

[الخفيف]

فخلع عليه ثيابه كلَّها حتى قَلَنْسيتَه. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه؛ وزاد فيه أنه أوصى أن تُجعل في أكفانه. وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة. فمنها مما يغنّى به:

صوت

سَقَيتُ أَبا كامِلِ مِنَ الأَصفَرِ البابِلي
وَسَقَّيتُها مَعبَداً وَكُلَّ فَتًى فاضِلِ

[مجزوء المتقارب]

وقال أيضاً فيه:

وَزِقٍّ وافِرِ الجَنـ ـنِ مِثلِ الجَمَلِ البازِل
بِهِ رُحتُ إِلى صَحبي وَنَدمانـي أَبـي كامِل
شَرِبناهُ وَقَد بِتنا بِأَعلى الدَّيرِ بِالساحِل
وَلَم نَقبَل مِنَ الواشي قَبول الجاهِلِ الخاطِل

[الهزج]

الغناء لأبي كامل خفيفُ رملٍ بالوسطى. وذكر الهشاميّ أنه ليحيى المكي وأنّه نُحِلَه أبو كامل. وذكر أن لعمر الواديّ أو لحَكَم فيه رملاً بالوسطى وهو القائم.

وأخبرني أبو الحسن محمد بن إبراهيم قريش رحمه اللَّه أنّ ليَنْشو فيه خفيفَ رملٍ. ومنها في قول الوليد:

صوت

سَقَيتُ أَبا كامِلِ مِنَ الأَصفَرِ البابِلي
وَسَقَّيتُها مَعبَداً وَكُلَّ فَتًى فاضِلِ
لِيَ المَحضُ مِن وُدِّهِم وَيَغمُرُهُم نائِلي

وَمـــا لامَـــنـــي فـــيـــهِـــمُ سِـــوى حـــاسِـــدٍ جـــاهِـــلِ
[مجزوء المتقارب]

فيه هَزَجٌ يُنسب إلى أبي كامل وإلى حكم. وفيه ليَنْشُو ثقيلٌ أوّل. أخبرني بذلك قريشٌ ووجه الرُّزّة جميعاً.

وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال:

كان للمعتضد عليَّ صوتانِ من شعر الوليد، أحدهما:

سَـــقَـــيـــتُ أَبَـــا كـــامِـــلِ مِـــنَ الأَصـــفَـــرِ الـــبـــابِـــلـــي
[مجزوء المتقارب]

والآخر:

إنَّ فـــي الـــكـــأس لَـــمِـــسْـــكـــاً أو بِـــكَـــفَّـــي مـــن ســـقـــانـــي
[مجزوء الرمل]

وكان يُعجَب بهما ويقول لجلسائه: أمَا تَرَوْن شمائل الملوك في شعره! ما أبْيَنها:

لِـــيَ الـــمَـــحـــضُ مِـــن وُدِّهِـــم وَيَـــغـــمُـــرُهُـــم نـــائِـــلـــي
[مجزوء المتقارب]

وحين يقول:

كَـــلِّـــلانـــي تـــوَّجـــانـــي وبـــشـــعـــري غَـــنِّـــيـــانـــي
[مجزوء الرمل]

وقد نُسب إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين؛ لأن ذكر سُلَيْمى في أحدهما، ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل؛ فذكرتُ من ذلك ها هنا صوتين، أحدهما:

صـــوت

من المائدة المختارة

سُـلـيـمـى تِـلـكَ فـي الـعِـيـر[1] قـفـي نُـخـبـركِ أو سـيـري
إذا مـا أنـت لـم تـرثِـي لِـصَـبّ الـقـلـب مـغـمـورِ

(١) العير: القافلة.

فلما أن دنا الصبحُ بأصواتِ العصافير
خرجنا نُتبع الشمسَ عيوناً كالقَواريرِ
وفينا شادنٌ أحوَ رُمن حُورِ اليعافِيرِ(١)

[الهزج]

الشعر ليزيد بن ضَبَّة. والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهِربذ، ولحنه رمَلٌ مطلق في مجرى الوسطى. هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهربذ، وذكَر في موضع آخر أن فيه لحناً لابن زُرْزُور الطائفي رملاً آخر بالسبَّابة في مجرى البنصر. وذكر إبراهيم أنَّ فيه لحناً لأبي كامل ولم يجنِّسه. وذكر حبش أنّ فيه لعَطَرَّد هَزَجاً بالوسطى.

(١) اليَعْفُورُ: الخِشْفُ. قال ابنُ الأَثِير: وهو وَلَدُ البَقَرَةِ الوَحْشِيَّةِ. وقيل: تَيْسُ الظِّبَاءِ. والجمع اليَعافِيرُ، والياءُ زائدةٌ.

أخبار يزيد بن ضبة ونسبه

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: حدَّثني أحمد بن الهَيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سَعدان عن عبد العظيم بن عبد اللَّه بن يزيد بن ضبَّة الثَّقَفي قال:

كان جدّي يزيد بن ضبَّة مولًى لثَقيف. واسم أبيه مِقسم، وضبَّةُ أمّه غلَبتْ على نسبه؛ لأن أباه مات وخلَّفه صغيراً، فكانت أُمّه تحضُن أولاد المُغيرة بن شُعبة ثم أولاد ابنه عُروة بن المغيرة، فكان جدّي يُنسب إليها لشهرتها. قال: وولاؤه لبني مالك بن حُطَيْط ثم لبني عامر بن يَسار. قال عبد العظيم: وكان جدّي يزيد بن ضبَّة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أَبيه متصلاً به لا يفارقه. فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدّي مهنئاً بالخلافة. فلما استقرّ به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تُثني عليه والشعراء تمدحه، مثَل جدّي بين السّماطين فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذَن له، وقال: عليك بالوليد فامدحه وأنشِده، وأمر بإخراجه. وبلغ الوليد خبرُه، فبعث إليه بخمسمائة دينار، وقال له: لو أمِنتُ عليك هشاماً لما فارقتني، ولكن اخرج إلى الطائف، وعليك بمالي هناك؛ فقد سوّغتُك جميع غلَّته، ومهما احتجتَ إلي من شيء بعد ذلك فالتمِسه منّي. فخرج إلى الطائف، وقال يذكر ما فعله هشام به:

أرى سلمى تَصُدّ وما صدَدنا ... وغيرَ صُدودِها كُنّا أرَدْنا
لقد بَخِلَتْ بنائِلِها علينا ... ولو جَادَت بنائِلِها حَمِدنا
وقد ضَنَّت بما وعدت وأمست ... تَغَيّرَ عهدُها عما عَهِدنا
ولو علمت بما لاقيْتُ سَلمى ... فتُخبِرُنِي وتعلم ما وجدنا
تُلِمّ على تنائي الدار منَّا ... فَيُسهرنا الخيال إذا رقَدْنا
ألم ترَ أنّنا لمَّا وَلِينا ... أموراً خُرّقَت فَوَهَتْ سَدَدنا
رأينا الفَتْقَ حين وهى عليهم ... وكم من مثله صَدْع رَفَأنا
إذا هابَ الكريهةَ من يَلِيها ... وأعظمها الهيُوبُ لها عَمَدنا
وجبَّارٍ تركناه كَلِيلاً ... وقائدِ فتنةٍ طاغٍ أزَلنا
فلا تنسَوا مواطِنَنا فإنَّا ... إذا ما عاد أهل الجُرم عُدْنا

وما هِيضَتْ مَكاسِرُ من جبرنا ... ولا جُبرت مصيبةُ من هدَدْنا
ألا من مُبْلِغٌ عنِّي هشاماً ... فما منَّا البلاء ولا بَعُدْنا
وما كُنَّا إلى الخلفاء نُفْضِي ... ولا كُنَّا نؤخِّرُ إن شَهِدنا
ألم يك بالبلاء لنا جَزاءٌ ... فنُجْزى بالمحاسن أم حُسِدنا
وقد كان الملوك يَرون حقًّا ... لِوافِدنا فَنُكْرَمُ إن وَفدنا
ولينا الناسَ أزماناً طِوالاً ... وسُسْناهم ودُسناهم وقُدْنا
ألم تَرَ من ولدنا كيف أشبى[1] ... وأشبَيْنا وما بهمُ قَعَدْنا
نكونُ لِمَن ولدناه سماءً ... إذا شيمَتْ مخايِلُنا رَعدنا
وكان أبوك قد أسدى إلينا ... جسيمةَ أمره وبه سَعِدنا
كذلك أوَّلُ الخلفاء كانوا ... بنا جَدّوا كما بهم جدَدْنا
هم آباؤنا وهُمُ بنونا ... لنا جُبِلوا كما لهمُ جُبِلنا
ونَكوي بالعداوة من بَغَانا ... ونُسْعِد بالمودّة من وَدِدنا
نرى حقاً لسائلِنا علينا ... فنحبوه ونُجزِلُ إن وعدنا
ونضمنُ جارَنا ونراه منَّا ... فنرفِدُهُ فَنُجْزِلُ إن رَفَدنا
وما نعتدّ دون المجد مالاً ... إذا يُغلى بمكرُمةٍ أفدنا
وأتلدُ مجدِنا أنّا كِرامٌ ... بحدّ المشرَفِيَّة عنه ذُدْنا

[الوافر]

قال: فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليدُ بن يزيد الخلافةَ، فوفَد إليه. فلما دخل عليه والناسُ بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنّأه بالخلافة.

[كل بيت بألف درهم]

فأدناه الوليد وضمّه إليه، وقبَّل يزيد بن ضبَّة رجليه والأرضَ بين يديه؛ فقال الوليد لأصحابه: هذا طريدُ الأحول لصُحْبته إياي وانقطاعه إليّ. فاستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له: يا أمير المؤمنين، هذا اليومُ الذي نهاني عمُّك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغتُه بعد يأس، والحمد للَّه على ذلك. فأذِن له، فأنشده:

سُلَيمى تلك في العيرِ ... قِفِي أسألك أو سِيري

(١) أشبى: ولد له ولد ذكي.

إذا مـا بـنـتِ لـم تـأوِي لِـصَـبّ الـقـلـبِ مَـغـمـورِ
وقـد بـانـت ولـم تـعـهـد مـهـاة فـي مـهـا حـور
وفـي الآل[١] حُـمُـولُ الـحـيْـ ـيِ تُـزهـى كـالـقَـراقِـيـر[٢]
يُـواريـهـا وتـبـدو مـنـ ـه آلٌ[٣] كـالـسـمـاديـر[٤]
وتـطـفـو حـيـن تـطـفـو فـيـ ـه كـالـنَّـخـلِ الـمـواقـيـرِ[٥]
لـقـد لاقـيـتُ مـن سـلـمـى تـبـاريـحَ[٦] الـتـنـاكـيـر[٧]
دَعَـتْ عـيـنـي لـهـا قـلـبـي وأسـبـابُ الـمَـقَـاديـر
ومـا إنْ مَـنْ بـه شـيـبٌ إذا يـصـبـو بـمـعـذورِ
لِـسَـلـمـى رسـمُ أطـلالٍ عَـفَـتْـهـا الـريـحُ بـالـمُـورِ[٨]
خَـرِيـقٌ[٩] تـنـخُـل الـتُّـربَ بـأذيـال الأعـاصـيـرِ
فـأوحِـشْ إذ نـأت سـلـمـى بـتـلـك الـدُّورِ مـن دُورِ
سـأرمـي قـانـصـات الـبـيـ ـدِ إن عِـشْـتُ بِـعُـسْـبـور[١٠]
مـن الـعِـيـسِ شَـجَـوجـاةٍ[١١] طَـواهـا الـنِّـسـعُ[١٢] بـالـكـورِ[١٣]

---

(١) الآل: السراب.
(٢) القراقير: السَّفِينَةُ الطّويلة، أَو العظِيمةُ.
(٣) الآل: الشخوص التي تظهر في السراب.
(٤) السَّماديرُ: ضَعْفُ البَصَرِ عند السُّكْر وغَشْي النعاس والدُّوار. قال الكميت:
ولَـمَّـا رأيـتُ الـمُـقـرَبـاتِ مُـذالَـةً وأضـنْـكَـرْتُ إلَّا بـالـسَـمـاديـرِ آلَـهـا
وقد اسْمَدَرَّ اسْمِدْراراً.
(٥) الوِقْرُ: حِمْلُ حِمارٍ أو غيره، أوْقَرْتُه أُوقِرُه إيقاراً، ونَخْلَة مُوقَرَةٌ والجميع المَوَاقِيرُ. ونَخْلَةٌ مُوقرَةٌ ومُوقر، كأنَّها أوْقَرَتْ هي نَفْسَها؛ والنخلة الموقرة: التي عليها حمل ثقيل.
(٦) التباريح: الشدائد.
(٧) التناكير: الأمور المنكرة.
(٨) المور: الغبار وهو أيضاً التراب تثيره الريح.
(٩) الخريقُ: الريح الباردة الشَّديدةُ الهبوب، كأنها خُرِقَتْ. وانْخَرَقَتِ الريح. الخَريقُ: مُنْخَرِيق: اشتد هبوبها، وتَخَلُّلُها المواضع.
(١٠) العسبور: الناقة الشديدة.
(١١) الشجوجاة: الطويلة جداً.
(١٢) النسْعُ: سَيْر يضْفَر تُشَدُّ به الرحَالُ، والجَميع الأنْسَاعُ والنسوع، والقِطْعَة نسعة.
(١٣) الكور: الرحل.

إذا ما حَقَبٌ[١] منها قَرَنَّاه بِتَصْدير
زجرنا العيس فارقَدَّت[٢] بإعصافٍ[٣] وتَشمير[٤]
تُقاسيها على أيْنٍ بإدلاجٍ[٥] وتهجيرِ
إذا ما اعصَوصَب[٦] الآلُ ومال الظِّلُّ بالقُور[٧]
وراحَتْ تَتَّقي الشمسَ مطايا القوم كالعُورِ
إلى أن يُفضِحَ الصبحُ بأصواتِ العصافير
لِتَعْتَامَ[٨] الوليدَ القر مَ أهلَ الجود والخِيرِ
كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ مع الخُورِ[٩] الجراجير[١٠]
تُراعِي حين تُزْجيها هويًّا[١١] كالمزامير
كما جاوبَتِ النّيبُ رِباعَ[١٢] الخُلُج[١٣] الخُور
ويُعْطِي الذهبَ الأحمـ ـرَ وَزْناً بالقناطير
بلوناه فأحمدنا ه في عُسْرٍ وميسورِ

---

(١) الحَقَبُ: حَبْل يُشَدُّ به الرَّحْل إلى بطْن البعير كي لا يَجْتَذبَه التصدير وحَقِبَ البعيرُ حَقَباً فهو حَقِب أي تَعَسَّرَ عليه البَوْل.
(٢) الارقداد: سرعة السير.
(٣) الإعصاف: الإسراع في السير.
(٤) قال أبو عمر: الشمري المنكمش في الشر والباطل المتجرد لذلك وهو مأخوذ من التشمير وهو الجد والانكماش، وقيل: الشمري الذي يمضي لوجهه ويركب رأسه ولا يرتدع.
(٥) ادلجوا بالتشديد: ساروا في آخر الليل وهي الدلجة بالضم.
(٦) اعصوصب: اشتد.
(٧) القُورُ والقِيرانُ: جماعة القارةِ، وهي الجبل الصغير والأعاظم من الآكام، وهي متفرقة خشنة كثيرة الحجارة.
(٨) اعتام: اختار واصطفى.
(٩) الخَوْرُ: الخَلِيجُ من البحْر. قيل: مَصبُّ المَاءِ في البَحْرِ، وقيل: هو مَصَبُّ المِيَاهِ الجَارِيةِ في البَحْر إذا اتَّسَعَ وعَرُضَ. والخور من النوق الغزيرة اللبن.
(١٠) الجراجير: الكرام من الابل.
(١١) الهويّ: الدويّ في الأذن.
(١٢) ناقَةٌ مُرْبِعٌ: لها رُبَعٌ. وإذا لَحِقَتْ في أوَّلِ الرَّبيع أيضاً. وكذلك المِرْباعُ التي تُبَكِّرُ بالحَمْل. وجَمْعُ الرُّبَعِ - وهو ما نُتِجَ في الرَّبيع.
(١٣) ناقة خلوج: كثيرة اللَّبن، تحِنُّ إلى ولدها، ويقال: هي التي تَخْلِجُ السَّيْر، من سرعتها.

كـريـمُ الـعُـودِ والـعـنـصـ ـر غَـمْـرٌ غـيـر مـنـزور
لـه الـسَّـبْـق إلـى الـغـايـا ت فـي ضَـمّ الـمَـضـامـيـر
إمـامٌ يُـوضِـحُ الـحـقَّ لـه نـور عـلـى نـور
مـقـالٌ مـن أخـي ودّ بـحـفـظ الـصـدق مـأثـور
بـإحـكـامٍ وإخـلاصٍ وتـفـهـيـم وتـحـبـيـر

[الهزج]

قال: فأمر الوليدُ بأن تُعَدّ أَبيات القصيدة ويُعطى لكل بيت ألفَ درهم؛ فعُدّت فكانت خمسين بيتاً فأعطيَ خمسين ألفاً. فكان أوّلَ خليفة عَدّ أبياتَ الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم؛ ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد، فإنه بلغه خبر جدّي مع الوليد فأعطى مروانَ بن أبي حَفْصة ومنصوراً النَّمريّ لمَّا مدحاه وهَجَوا آل أبي طالب لكل بيت ألفَ درهم.

قال عبد العظيم: وحدّثني أبي وجماعةٌ من أصحاب الوليد: أنّ الوليد خرج إلى الصيد ومعه جَدّي يزيد بن ضبَّة، فاصطاد على فرسه السِّنديّ صيداً حسناً، ولحق عليه حماراً فصرَعه، فقال لجدّي: صِفْ فرسي هذا وصيدَنا اليوم؛ فقال في ذلك:

وأحـوى سَـلِـس الـمَـرْسـ ـن[1] مـثـل الـصـدَع[2] الـشَّـعـب[3]
سـمـا فـوق مُـنِـيـفـاتٍ طـوالٍ كـالـقَـنـا سُـلْـب
طـويـلُ الـسـاق عُـنْـجُـوجٌ[4] أشـقُّ أصـمَـع الـكَـعْـب[5]

---

(١) المرسن: أنف الناقة.

(٢) الصَّدَع والصَّدْع: الفتى الشاب القوي من الأوعال، والظباء، والإبل. وقيل: هو الشيء بين الشيئين من أي نوع كان، كان بين الطويل والقصير، والفتى والمسن، وبين السمين والمهزول، والعظيم والصغير.

(٣) الشعب: تباعد ما بين القرنين فهو وصف بالمصدر.

(٤) العُنْجوجُ من النَّجَائِبِ أَيضاً، وفي الحديث: «قيل: يا رَسُولَ اللَّهِ، فالإِبِل؟ قال: تِلك عَنَاجِيجُ الشَّيَاطِينِ» أَي مَطَايَاهَا وَاحِدُها عُنْجُوجٌ، وهو النَّجِيب من الإِبلِ. وقال ذو الرُّمّة يَصف جَوَارِيَ، وقد عُجْنَ إِليه رُؤُوسَهنّ يوم ظَعْنِهنّ:

حَتَّى إِذا عُـجْـنَ مـن أَعْـنَـاقِـهـنّ لَـنَـا عَـوْجَ الأَخِـشَّـةِ أَعـنـاقَ الـعَـنَـاجِـيـجِ

وقيل: هو الطَّويلُ العُنُقِ من الإِبل والخَيل.

(٥) الصمع في الكعوب: لطافتها واستواؤها.

عـــلـــى لَأْمٍ[١] أَصَـــمّ مُـــضَـــمْـــ ـمَـــرِ الأشـعـــر[٢] كـالـقَـعْـب[٣]
تَـــرَى بـــيـــن حَـــوامـــيـــه[٤] نُـسُـوراً[٥] كـنَـوَى الـقَـسْـبِ[٦]
مُـعـالـى شَـنِـجُ الأنـسـا[٧] ء سـام جُـرشُـعُ[٨] الـجَـنْـبِ
طَـوَى بـيـن الـشَّـراسـيـف[٩] إلـى الـمـنـقـبِ[١٠] فـالـقُـنـبِ[١١]
يـغـوص الـمُـلْـجِـمَ الـقـائـ ـم ذو حـــدّ وذو شـــغْـــبِ
عَـتـيـدُ[١٢] الـشـدِّ والـتَّـقـريـ ـب[١٣] والإحـضـار[١٤] والـعَـقْـبِ[١٥]
صَـلـيـبُ الأُذن والـكـا هِـل والـمَـوْقِـفِ[١٦] والـعَـجْـبِ[١٧]

---

(١) اللأم: الشديد من كل شيء، من الحوافر.

(٢) رجل أَشْعَرُ: أَي كثير الشعر طويله. وشَعِرَ التيس وغيره من ذي الشعر شَعَراً: كَثُرَ شَعَرُه؛ وتيس شَعِرٌ وأَشْعَرُ وعنز شَعْراءُ، وقد شَعِرَ يَشْعَرُ شَعَراً، إذا ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنبت الشعيرات حول الحافر.

(٣) القَعْبُ: قدح من خشب مقعَّرٌ؛ وحافرٌ مُقَعَّب، مشبَّه به؛ والجمع قِعْبَةٌ. وتقعيب الكلام: تقعيره.

(٤) الحوامي: ميامن الفرس ومياسره.

(٥) النسر: نَسر الحافِر: لَحمةٌ يابِسةٌ يُشَبِّهُه الشُّعَراء بالنَّوَى قد أَقْتَمَها الحافِرُ وجمعُه نُسور.

(٦) القَسْبُ: الصلبُ. والقَسْبُ: تمر يابس يتفتَّت في الفم صلبُ النواة. والقِسْيَبُّ: الطويل الشديد. قال ابن السكيت: مررتُ بالنهر وله قَسيبٌ، أي جِرية. وقد قَسَبَ يَقْسِبُ.

(٧) الأنساء: النَّسَا: عِرْقٌ في الفَخِذَيْنِ يَسْتَمِرُّ إلى الرجْلِ، وهُما نَسَيَانِ ونَسَوَانِ، والجَميعُ الأَنْسَاءُ.

(٨) الجُرْشُعُ من الإبل: العظيمُ، ويقال: العظيمُ الصدرِ المنتفخُ الجنبَيْن.

(٩) الشَّراسيفُ: مَقاطُ الأضلاع وهي أطرافُها التي تُشْرِفُ على البطن. ويقال: الشُّرْسوفُ: غضروفٌ معلَّقٌ بكل ضِلَع مثل غضروف الكتف.

(١٠) النقبُ: الطريق في الجبل، وكذلك المَنْقَبُ والمَنْقَبَةُ. ونقَبَ الجدارَ نَقْباً، واسم تلك النَّقْبَةِ نَقْبٌ أيضاً. ونَقَبَ البَيْطارُ سُرَّةَ الدابَّة ليخرج منها ماء أصفر، وتلك الحديدة مِنْقَبٌ. والمكان مَنْقَبٌ بالفتح. والناقبة: قَرْحَةٌ تخرج بالجنب تهجم على الجوف.

(١١) القُنْبُ: جراب قضيب الدابة، وإذا كني عما يخفض من المرأة قيل: قُنْبُها.

(١٢) فرس عتيد: شديد الخلق معدّ للجري.

(١٣) التقريب: ضرب من العدو، وهو أن يرفع يديه معاً وهو دون الإحضار.

(١٤) الحُضْر والحِضار: من عَدْوِ الدابَّة، والفعل: الإحضار. وفَرَسٌ مِحضير بمعنى مِحضار غيرَ أنّه لا يقالُ إلا بالياء وهو من نَوادر كلام العرب، قال امرؤ القيس:

استـلـحـم الـوحـشُ عـلـى أحـشـائـهـا أهـوَجُ مِـحـضـيـرٌ إذا الـنـقْـعُ دَخَـنْ

(١٥) العقب: الجري يجيء بعد الجري الأول.

(١٦) الموقفان من الفرس: نقرتا الخاصرة على رأس الكلية.

(١٧) العجب: أصل الذنب عند رأس العصعص.

عـريـضُ الـخـدّ والـجَـبْـهـ ـة والـبـركـةِ[١] والـهُـلْـب[٢]
إذا مـا حَـثَّـهُ حـاثٌّ يُـبـاري الـرّيـحَ فـي غَـرْب[٣]
وإن وجَّـهَـه أسـر ع كـالـخُـذْرُوفِ[٤] فـي الـثـقـب
وقَـفَّـاهـنَ كـالأجـد ل لـمـا انـضـمّ لـلـضَّـرْبِ
ووالـى الـطـعـنَ يَـخْـتَـارُ جَـواشِـنَ[٥] بُـدَّنٍ قُـبّ
تـرى كـلَّ مُـدِلٍّ[٦] قـا ئـمـاً يَـلْـهَـثُ كـالـكـلـب
كـأنَّ الـمـاءَ فـي الأعـطـا ف مـنـه قِـطَـعُ الـعُـطْـبِ[٧]
كـأنَّ الـدَّمَ فـي الـنَّـحـرِ قَـذالٌ عُـلّ بـالـخـضـب
يُـزِيـنُ الـدارَ مـوقـوفـاً ويَـشـفـي قَـرَمَ[٨] الـرَّكـبِ

[الهزج]

قال: فقال له الوليد: أحسنتَ يا يزيد الوصف وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأَعْطِه الغُزيِّلَ وعمر الوادي حتى يُغنِّيا فيه؛ فقال:

صـوت

إلـى هـنـدٍ صَـبـا قـلـبـي وهـنـدٌ مِـثـلـهـا يُـصـبـي

---

(١) البركة: الصدر.

(٢) الهُلْبُ: ما غَلُظَ من الشَّعَر كَشَعر ذَنَبِ النّاقَةِ. ورَجُلٌ أَهْلَبُ: غليظُ شَعر ذِراعيه وجَسَدِه.

(٣) غرب الفرس: حدّته ونشاطه.

(٤) الخُذْروفُ، بالذال المعجمة: شيء يُدَوِّرُهُ الصبيُّ بخيطٍ في يديه فيسمع له دويٌّ. قال امرؤ القيس يصف فرساً:

دَرِيرٍ كـخُـذْروفِ الـولـيـدِ أَمَـرَّهُ تَـتـابُـعُ كَـفَّـيْـهِ بـخـيـطٍ مُـوَصَّـلِ

والجمع الخَذاريفُ. يقال: تركَت السيوفُ رأسَه خَذاريفَ، أي قِطَعاً؛ كلُّ قطعةٍ مثل الخُذروفِ. والخِذْراف: ضربٌ من الحمض، الواحدة خِذْرافَةٌ.

(٥) الجواشن: ضرب جوشه وجوشنه أي صدره. وخرجوا عليهم الجواشن وهي الدروع جمع جوشن. ومن المجاز: مضى جوش من الليل وجوشن منه أي صدر. قال الطرماح:

وصـلـوا الـعـشـيّ إلـى الـجـوا شـن والـغـدو إلـى الأصـائـل

(٦) المدل: الجريء.

(٧) العطب: القطن.

(٨) القرم: الشهوة إلى اللحم.

وهـــنـــدٌ غـــادةٌ غَـــيـــدا ءُ مـــن جُـــرثـــومـــة[١] غُـــلـــب[٢]
ومـــا إن وجـــد الـــنـــاسُ مـــن الأدواءِ كـــالـــحـــبّ
لـــقـــد لـــجَّ بـــهـــا الإعـــرا ضُ والـــهـــجـــرُ بِـــلا ذنـــبِ
ولـــمـــا أقـــضِ مـــن هـــنـــدٍ ومـــن جـــاراتـــهـــا نَـــحـــبـــي[٣]
أَرَى وجـــدي بِـــهِـــنـــدٍ دا ئـــمـــاً يـــزداد عـــن غِـــبّ[٤]
وقـــد أطـــوَلـــتُ إعـــراضـــاً ومـــا بـــغـــضُـــهـــمُ طِـــبـــي[٥]
ولـــكـــن رقـــبـــة الأعـــ ـيـــن قـــد تـــحـــجـــز ذا الـــلُّـــب
ورغـــم الـــكـــاشـــح الـــراغـــ ـم فـــيـــهـــا أيـــســـر الـــخـــطـــب

[الهزج]

قال: ودفع هذه الأبيات إلى المغنِّين فغنَّوه فيها.

[ولعه بالغريب]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا الرّياشيّ عن الأصمعيّ، وحدّثني به محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حدّثنا أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعي قال:

كان يزيد بن ضبَّة مولى ثقيف، ولكنه كان فصيحاً، وقد أدركتُه بالطائف، وقد كان يطلب القوافيَ المعتاصةَ والحوشيّ من الشعر.

قال أبو حاتم في خبره خاصّة: وحدَّثني غسَّان بن عبد اللَّه بن عبد الوهاب الثقفيّ عن جماعة من مشايخ الطائفيّين وعلمائهم قالوا: قال يزيد بن ضبَّة ألفَ قصيدة، فاقتسمتها شعراء العرب وانتحلتها، فدخلتْ في أشعارها.

(١) الجرثومة: جُرْثومة كل شيء: أصله. وقيل: الجُرْثومة: ما اجتمع من التراب في أصول الشجر، عن اللحياني.
(٢) الغلب: رجلٌ أغْلَبُ بيِّن الغَلَبِ، إذا كان غليظ الرقبة.
(٣) النحب: الحاجة.
(٤) الغب: قلة الزيارة.
(٥) الطب هنا: الشأن والعادة.

أخبار إسماعيل بن الهربذ

إسماعيل بن الهِرْبِذ مكيٌّ مولًى لآل الزبير بن العَوَّام، وقيل: بل هو مولى بني كنانة. أدرك آخرَ أيام بني أميَّة وغنّى الوليد بن يزيد، وعُمِّر إلى آخر أيام الرشيد.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد اللَّه بن أبي سعد عن محمد بن عبد اللَّه بن مالك الخُزاعيّ عن أبيه:

أن إسماعيل بن الهِربذ قدِم على الرشيد من مكة، فدخل إليه وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُلَيح وغيرُهم والرشيد يومئذٍ خاثِرٌ[1] به خُمار شديد؛ فغنّى ابنُ جامع ثم فُليح ثم إبراهيم ثم إسحاق، فما حرّكه أحد منهم ولا أطربه؛ فاندفع ابن الهِربذ يغنّي، فعَجِبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد فغنّى:

صـوت

يـا راكِـبَ الـعـيـس الـتـي ... وَفَـدَت مـن الـبـلـدِ الـحَـرامِ
قُـلْ لـلإمـام ابـن الإمـا ... م أخـي الإمـام أبـي الإمـام
زَيـنِ الـبـريّـة إذ بـدا ... فـيـهـم كـمـصـبـاح الـظـلام
جـعـلَ الإلٰـهُ الـهـربـذيّ ... فِـداك مـن بـيـن الأنـام

[مجزوء الكامل]

ـ الغناء لابن الهِربذ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ـ قال: فكاد الرشيد يرقص، واستخفَّه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم.

فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ لهذا الصوت حديثاً، فإن أذِن مولاي حدّثته به؛ فقال: حدِّث. قال: كنت مملوكاً لرجل من ولد الزبير، فدَفَع إليّ درهمين أبتاع له بهما لحماً، فرُحتُ فلقيتُ جاريةً على رأسها جرّةٌ مملوءةٌ من ماء العَقيق[2] وهي تغنِّي هذا اللحنَ في شعر غير هذا الشعر على وزنه وروِّيه؛ فسألتها أن تُعلِّمَنِيه؛ فقالت: لا

(١) خثرت نفسه: غثت واختلطت.
(٢) العقيق: واد بناحية المدينة فيه عيون ونخيل.

وحقِّ القبر[1] إلا بدرهمين؛ فدفعتُ إليها الدرهمين وعلَّمَتْنِيه؛ فرجعتُ إلى مولاي بغير لحم فضربني ضرباً مبرِّحاً شُغِلتُ معه بنفسي فأُنسِيتُ الصوت. ثم دفع إليّ درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحماً؛ فلقِيَتني الجاريةُ فسألتُها أن تُعيد الصوتَ عليّ، فقالت: لا واللَّه إلا بدرهمين؛ فدفعتُهما إليها وأعادته عليّ مراراً حتى أخذتُه. فلما رجعتُ إلى مولاي أيضاً ولا لحمَ معي قال: ما القصَّة في هذين الدرهمين؟ فصدَقتُه القصَّةَ وأَعَدْتُ عليه الصوت، فقبَّل بين عينيّ وأعتقني. فرحلتُ إليك بهذا الصوت، وقد جعلتُ ذلك اللحن في هذا الشعر؛ فقال: دَعِ الأوّل وتَناسَه، وأقِم على الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر؛ فأمّا مولاك فسأدفع إليه بدل كلّ درهم ألف دينار؛ ثم أمر له بذلك فحُمِل إليه.

ومما نُسب إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له:

صـــوت

من المائة المختارة

اِمــدَحِ الــكَــأسَ وَمَــن أَعــمَــلَــهــا ... واهــجُ قَــومــاً قَــتَــلــونــا بِــالــعَــطَــش

إِنَّــمــا الــكَــأسُ رَبــيــعٌ بــاكِــرٌ ... فَــإِذا مــا غــابَ عَــنّــا لَــم نَــعِــش

[الرمل]

الشعر لنابغة بني شَيبان. والغناء لأبي كامل، ولحنُه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى، وهو الذي تسمِّيه الناسُ اليومَ الماخوريّ. وفيه لأبي كامل أيضاً خفيفُ رمل بالبنصر عن عمرو. وذكر الهشاميّ أن فيه لمالك لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر.

(١) تريد قبر النبي.

نسب نابغة بني شيبان

النابغة اسمه عبد اللَّه بن المُخارِق بن سُلَيم بن حصرة بن قَيس بن سِنان بن حَمَّاد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْبِ بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفصى بن دُعميّ بن جَدِيلة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار. شاعرٌ بدويّ من شعراء الدولة الأُمويّة. وكان يفِد إلى الشام إلى خلفاء بني أميَّة فيمدحهم ويُجزلون عطاءه. وكان فيما أرى[١] نصرانيًّا لأنّي وجدته في شعره يحلِف بالإنجيل والرُّهبان وبالأيمان التي يحلِف بها النصارى.

ومدَح عبد الملك بن مروان ومَن بعده من ولده؛ وله في الوليد مدائحُ كثيرة.

[عند عبد الملك]

أخبرني عمِّي قال: حدّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال: حدَّثني العُمريّ عن العُتْبيّ قال:

لما همّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتَولِيةِ الوليد ابنهِ العهدَ، كان نابغة بني شيبان منقطعاً إلى عبد الملك مَدّاحاً له؛ فدخل إليه في يوم حَفْل والناسُ حواليه وولدُه قُدّامَه، فمثل بين يديه وأنشده قوله:

أَشَتَقتَ وَانهَلَّ دَمعُ عَينِكَ أَن أَضحى قِفاراً مِن أهله[٢] طَلَحُ[٣]

[المنسرح]

حتى انتهى إلى قوله:

---

(١) هذا ما رآه أبو الفرج. وقد ورد في ديوانه ما يدل على أنه كان مسلماً؛ فمن ذلك قوله في قصيدته الرائية:

وتعجِبُني اللذات ثم يَعُوجُني ويسترني عنها من اللَّه ساتر
ويزجرني الإسلام والشيب والتقى وفي الشيب والإسلام للمرء زاجر

(٢) ورد في بعض المصادر «خلتي» بدل «أهله».

(٣) طلح وذو الطلح: موضع دون الطائف لبني محرز، وقيل: موضع في بلاد بني يربوع.

أَزَحتَ عَنّا آلَ الزُّبيرِ وَلَو ... كانوا هُمُ المالكين ما صَلَحوا[١]
إِن تَلقَ بَلوى فأنت مُصطبِرٌ[٢] ... وَإِن تُلاقِ النُعمى فَلا فرحُ
ترمِي بِعَينَي أَقنى عَلى شَرَفٍ ... لَم يُؤذِهِ عائِرٌ وَلا لَحَحُ
وَآلُ أَبي العاصِ أَهلُ مَأثُرَةٍ ... غُرٌّ عِتاقٌ بِالخَيرِ قَد نَفَحوا
خَيرُ قَريشٍ هُمُ أَفاضِلُها ... في الجِدِّ جِدٌّ وَإِن هُمُ مَزَحوا
أَرحَبُها أَذرُعاً وَأَصبَرُها ... صَبراً إِذا القَومُ في الوَغى كَلَحوا[٣]
أَمّا قَريشٌ فَأَنتَ وارِثُها ... تَكُفُّ مِن شَغبِهِم إِذا طَمَحوا
حَفِظتَ ما ضَيَّعوا وَزَندَهُمُ ... أَورَيتَ إِذا أَصلَدوا[٤] وَقَد قَدَحوا
آلَيتُ جَهداً ـ وَصادِقٌ قَسَمي ـ ... بِرَبِّ عَبدٍ تَجُنُّهُ الكُرُحُ[٥]
يَظَلّ يتلو الإنجيلَ يدرسُهُ ... من خشية اللّه قلبُهُ طَفِحُ
لابنُكَ أَولى بِمُلكِ والِدِهِ ... وَنجمُ من قد عصاك مُطَّرِحُ[٦]
داودُ عَدلٌ فَاحكُم بِسيرته ... ثم ابنُ حرب فإنَّهم نَصَحوا[٧]
وهُم خيارٌ فَاعمَل بِسُنَّتِهِم ... وَاحيَ بِخَيرٍ وَاكدَح كَما كَدَحوا

[المنسرح]

---

(١) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
أَزَحتَ عَنّا آلَ الزُّبيرِ وَلَو ... كانَ إِمامٌ سِواكَ ما صَلَحوا

(٢) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:
إِن تَلقَ بَلوى فَصابِرٌ أَنِفٌ

(٣) كلح الرجل كلوحاً: بدت أسنانه من العبوس، ووجه كالح «وهم فيها كالحون» وكلح وجهه: عبّسه، ولكح في وجه الصبيّ والمجنون إذا فزّعه.

(٤) حَجَر صَلدٌ، وجَبينٌ صَلْدٌ أي أملَسُ يابِسٌ. واذا قُلتَ: صَلْتٌ، فهو مُسْتَوٍ. ورجلٌ صَلْدٌ أي بَخيلٌ جِداً، وقد صَلُدَ صَلادةً. ويقال: رجلٌ صَلُودٌ أيضاً، وقال في الجَبين: بَرّاقٌ أَصْلادِ الجَبينِ الأَجْلَهِ.

(٥) الكِرْح، بالكسر: بَيتُ الرَّاهبِ. أَكْراحٌ والكارِحُ وبهاءٍ كالكارِخَة: حَلْقُ الإِنسان أَو بَعضُ ما يكونُ في الحَلْق منه. قال ابنُ دُريد: أَحسب ذلك. والأُكَيْراحُ، بالضّم: بيوتٌ، ومواضِعُ تَخرُجُ إِليها النَّصَارَى في بعضِ أَعيادِهِم، وهو معروف قال:
يا دَيْرَ حَنَّةَ مِنْ ذاتِ الأُكَيراحِ ... مَنْ يَصْحُ عَنْكِ فإِنّي لَسْتُ بالصَّاحِي

(٦) ورد العجز في بعض المصادر على الشكل التالي:
وَعَمُّهُ إِن عَصاكَ مُطَّرَحُ

(٧) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
داودُ عَدلٌ فَاحكُم بِسُنَّتِهِ ... وَآلُ مَروانَ إِنهم نَصَحوا

قال: فتبسّم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإنذار ولا دفع؛ فعلم الناس أنَّ رأيه خلعُ عبد العزيز. وبلغ ذلك من قول النابغة عبدَ العزيز، فقال: لقد أدخل ابنُ النصرانية نفسه مُدْخَلاً ضيِّقاً فأوردها مورداً خطراً؛ وباللَّه عليّ لئن ظفِرتُ به لأخضِبنَّ قدَمه بدمه.

وقال أبو عمرو الشَّيباني: لما قُتل يزيد بن المهلّب دخل النابغة الشَّيباني على يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأنشده قوله في تهنئته بالفتح:

أَلا طـالَ الـتَّـنـظُّـرُ وَالـثَّـواءُ ... وَجاءَ الصَّيفُ وَانكَشَفَ الغِطاءُ
وَلَيسَ يُقيمُ ذو شَجَنٍ مُقيمٍ ... وَلا يَمضي إِذا ابتُغِيَ المَضاءُ
طَوالَ الدَّهرِ إِلّا في كِتابٍ ... وَمِقدارٍ يُوافِقُهُ القَضاءُ
فما يُعطى الحَريصُ غِنًى لِحِرصٍ ... وَقَد يَنمي لِذي الجودِ الثَّراءُ
وكُلُّ شَديدَةٍ نَزَلَت بِحَيٍّ ... سَيَتبعُها إِذا انتهت الرَّخاءُ

[الوافر]

يقول فيها:

أَؤُمُّ بِها مِن الأَعياصِ مَلكاً ... أَغَرَّ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِياءُ
لِأُسمِعَه مِن غَريبِ الشِّعرِ مدحاً[1] ... وَأُثني حَيثُ يتَّصِلُ الثَّناءُ
يَزيدُ الخَيرِ وَهْوَ يَزيدُ خَيراً ... وَيَنمي كُلَّما ابتُغِيَ النَّماءُ
فَضَضتَ كَتائِبَ «الأَزدِيِّ» فَضّاً ... بِكَبشِكَ حين لفهما اللِّقاءُ[2]
سَمَكتَ[3] لَهُم بِإِذنِ اللَّهِ مُلكاً ... كَما سُمِكَت عَلى الأَرضِ السَّماءُ
نُرَجّي أَن يَكونَ لَنا إِماماً ... وَفي مُلكِ الوَليدِ لَنا الرَّجاءُ
«هِشامٌ» وَ«الوَليدُ» وَكُلُّ نَفسٍ ... تُريدُ لَكَ الفَناءَ لَكَ الفِداءُ

[الوافر]

وهي قصيدة طويلة. فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كلْب وأن تُوقَر له بُرًّا وزبيباً، وكساه وأجزل صلته.

---

(١) ورد في بعض المصادر «غُرًّا» بدل «مدحاً».

(٢) ورد العجز في بعض المصادر على الشكل التالي:

بِكَبشِكَ وَهوَ بِغيَتُهُ اللِّقاءُ

(٣) سمك اللَّه السماء و «رفع سمكها». وهو رب المسموكات السبع. واطب لي سماكاً أسمك به الحائط والسقف. وسنام سامك تامك: مرتفع.

قال: ووفَد إلى هشام لمَّا وَلِي الخلافةَ؛ فلمَّا رآه قال له: يا ماصَّ ما أبقتِ المواسي من بَظْر أمّه! ألستَ القائلَ:

«هِشامٌ» وَ«الوَليدُ» وَكُلُّ نَفسٍ تُريدُ لَكَ الفَناءَ لَكَ الفِداءُ

[الوافر]

أخرِجوه عنّي! واللَّه لا يَرزَؤُني[١] شيئاً أبداً وحرَمه. ولم يزل طولَ أيامه طريداً؛ حتى ولي الوليدُ بن يزيد؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة، فأجزل صلته.

[شعره في الخمر]

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: حدّثني عُبيد اللَّه بن محمد الكوفيّ عن العُمريّ الخصَّاف عن الهيثم بن عَدِيّ عن حَمَّاد الراوية أنه أنشده لنابغة بني شَيبان:

أَيُّها الساقي سَقَتك مُزْنَةٌ مِن رَبيعٍ[٢] ذي أَهاضيبَ[٣] وَطَش[٤]
اِمدَحِ الكَأسَ وَمَن أَعمَلَها واهجُ قَوماً قَتَلونا بِالعَطَش
إِنَّما الكَأسُ رَبيعٌ باكِرٌ فَإِذا ما غابَ عَنّا لَم نَعِش
وَكَأَنَّ الشَّربَ قَومٌ مُوِّتوا مَن يَقُم مِنهُم لِأمرٍ يَرتَعِش
خُرُسُ الأَلسُنِ مِمّا نالَهُم[٥] بَينَ مَصروعٍ وَصاحٍ مُنتَعِش
مِن حُمَيّا[٦] قَرقَفٍ[٧] حُصِّيَةٍ[٨] قَهوَةٍ حَولِيَّةٍ لَم تُمتَحَش[٩]
يَنفَعُ المَزكومَ مِنها ريحُها ثُمَّ تَشفي داءَهُ إِن لَم تُنَش[١٠]

(١) لا يرزؤني شيئاً: لا يصيب مني شيئاً.
(٢) الربيع: المطر في أول فصل الربيع.
(٣) الأهاضيب واحدها هضابٌ. وواحد الهِضب هَضْبٌ، وهي حَلَبات القَطرِ بعد القطر.
(٤) الطَّشُّ والطَّشيشُ: المطر الضعيف، وهو فوقَ الرذاذِ. قال رؤبة:

وَلا جَدا وَبْلكَ بالطَّشيشِ

وقد طَشَتِ السماءُ وأطَشَّتْ. وأرض مَطْشوشَةٌ.
(٥) ورد في بعض المصادر «صابهم» بدل «نالهم».
(٦) الحميا: دبيب الشراب.
(٧) القَرْقَفُ: الخَمرُ.
(٨) الحصية: نسبة إلى الحصى وهو الزعفران.
(٩) المَحْشُ: تناولٌ من لَهَب يُحرِق الجلدَ ويُبدي العظمَ، يقال: مَحَشَتْه النارُ مَحْشاً.
(١٠) لم تنتش: لم تشعر بالسكر ونشوته.

كـلُّ مـن يـشـربـهـا يـألـفُـهـا[١] يُـنـفِـقُ الأَمـوالَ فـيـهـا كُـلُّ هَـش

[الرمل]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمَحيّ ـ قال ابن أبي الأزهر: وهو محمد بن سَلّام ـ:

غنّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد:

اِمـدَحِ الـكَـأسَ وَمَـن أَعـمَـلَـهـا واهـجُ قَـومـاً قَـتَـلـونـا بِـالـعَـطَـش

[الرمل]

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل: نابغة بني شيبان؛ فأمر بإحضاره فأُحضِر؛ فاستنشده القصيدةَ فأنشده إياها؛ وظنّ أنّ فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم؛ فقال له الوليد: لو سَعِد جَدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شَيبان، ولسنا نُخليك على ذلك من حظّ؛ ووصله وانصرف. وأول هذه القصيدة قوله:

خَـلَّ[٢] قَـلـبـي مِـن سُـلَـيـمـى نَـبـلُـهـا إِذ رَمَـتـنـي بِـسِـهـام لَـم تَـطِـش

طَـفـلَـةُ[٣] الأَطـرافِ رُودٌ[٤] دُمـيَـةٌ[٥] وَشَـواهـا[٦] بَـخـتَـرِيٌّ لَـم يُـحَـش[٧]

وَكَـأَنَّ الـدُّرَّ فـي أَخـراصِـهـا[٨] بَـيـضُ كَـحـلاءَ[٩] أَقَـرَّتـهُ بِـعُـش

وَلَـهـا عَـيـنـا مَـهـاةٍ[١٠] فـي مَـهـاً تَـرتَـعـي نَـبـتَ خُـزامـى[١١] وَنَـتَـش[١٢]

---

(١) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:

وَهـيَ مَـن يَـطـعَـمُـهـا يَـشـحـذ لَـهـا

(٢) خلَّ: نفذ وثقب.

(٣) أبو عبيد عن الأصمعي: الطَّفَلةُ: الجارية الرَّخصة الناعمة.

(٤) الرُّؤْدُ: الغُصْنُ النّاعِمُ الرَّطْبُ. وامْرأةٌ رُؤْدَةٌ، ورُؤْد شَبَابُها، ورأدة.

(٥) الدمْيَةُ: الصنَمُ، والصُّورَةُ.

(٦) الشوى: الأطراف.

(٧) لم يحش: لم يعق بالإحاطة عليه كما يحوش الصائد الصيد بحبالته.

(٨) الأخراص: جمع خرص وهو القرط.

(٩) الكحلاء: طائر.

(١٠) المهاة: البقرة الوحشية.

(١١) قال أبو حنيفة: الخُزامى: عُشبة طويلة العيدان صغيرة الورقة حمراء الزهر طيِّبة الريح، ولم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من زهرة الخُزامى.

(١٢) النَّتْشُ: النَّتْفُ للَّحْم ونَحْوِه. والمِنْتَاشُ: المِنْقَاش. وأنْتَشَ النَّبَاتُ: وهو حِينَ تَخْرُجُ رُؤوسُه من الأرْضِ قَبْلَ أنْ يُعْرَفَ، واسْمُه النَّتَشُ.

حُـرَّةُ الـحُـسـنِ رَخـيـمٌ صَـوتُـهـا رُطَـبٌ تَـجـنـيـهِ كَـفُّ الـمُـنـتَـقِـش[١]
وَهـيَ فـي الـلـيـل إِذا مـا عـونِـقَـت مُـنـيَـةُ الـبَـعـلِ وَهَـمُّ الـمُـفـتَـرِش

[الرمل]

وفيها يقول مفتخراً:

وَبَـنـو شـيـبـان حَـولـي عُـصَـبٌ مـنـهـمُ غُـلْـبٌ[٢] وَلَـيـسَـت بِـالـقَـمَـش
وَرَدوا الـمَـجـدَ وَكـانـوا أَهـلَـهُ فَـرَوُوا وَالـجـودُ عـافٍ[٣] لَـم يَـنِـش
وَتَـرى الـجُـرْدَ[٤] لَـدى أَبـيـاتِـهِـم أرِنـاتٍ[٥] بـيـن صـلـصـال وجُـشّ
لَـيـسَ فـي الأَلْـوانِ مِـنـهـا هُـجـنَـةٌ[٦] وَضَـح الـبُـلـق[٧] ولا عـيـب الـبَـرَش[٨][٩]
فَـبِـهـا يَـحـوونَ أَمـوالَ الـعِـدا وَيَـصـيـدونَ عَـلَـيـهـا كُـلَّ وَحـش
دَمِـيَـت أَكـفـالُـهـا مِـن طَـعـنِـهِـم بِـالـرُّدَيـنِـيّـاتِ[١٠] وَالـخَـيـلِ الـنُّـجُـش[١١]
نُـنـهِـلُ الـخَـطّـيّ[١٢] مـن أعـدائـنـا ثُـمَّ نَـفـري الـهـامَ إِن لَـم نَـفـتَـرش

(١) انتقش: تخير.
(٢) الغلب: غليظ الرقبة.
(٣) العافي: الوافي.
(٤) ورد في بعض المصادر «الخيل» بدل «الجرد».
(٥) الأرنات: النشيطات.
(٦) جمل وناقة هجان وإبل هجان: بيض كرام. ورجل وفرس هجين إذا لم تكن الأم عربية. والأصل في الهجنة: بياض الروم الصّقالبة.
(٧) البَلَقُ: سوادٌ وبياضٌ، وكذلك البُلْقَةُ بالضم. وفرسٌ أَبْلَقُ وفرسٌ بلقاءُ، وقد ابْلَقَّ ابْلِقاقاً.
(٨) البرش: البرص.
(٩) ورد العجز في بعض المصادر على الشكل التالي:
بَـلَـقُ الـغُـشـرِ وَلا عَـيـبُ بَـرَش
(١٠) الردينيات: الرماح نسبة إلى ردينة وهي امرأة كانت تقومّها.
(١١) النَّجش: المستثارة المسرعة.
(١٢) وقال أَبو حنيفة: الخَطِّيُّ الرِّماح، وهو نِسْبةٌ قد جرَى مَجْرى الاسم العلم، ونِسْبته إِلى الخَطّ خَطِّ البحرين وإِليه ترفأُ السفن إذا جاءَت من أَرض الهند، وليس الخَطِّيّ الذي هو الرماح من نبات أَرض العرب، وقد كثر مجيئه في أَشْعارها؛ قال الشاعر في نباته:
وهَـل يُـنْـبِـتُ الـخَـطِّـيَّ إِلّا وشِـيـجـهُ وتُـغْـرَسُ، إِلَّا فـي مَـنـابِـتِـهـا، الـنَّـخْـلُ؟
وفي حديث أُمِّ زَرْع: فأَخذ خَطِّيًّا؛ الخَطِّيّ، بالفتح: الرمح المنسوب إِلى الخَطّ.

فَـإذا الـعـيـسُ مِـنَ الـمَـحـلِ غَـدَت ... وَهـيَ فـي أَعـيُـنِـهـا مِـثـلُ الـعَـمَـش[١]
حُـسَّـرَ الأَبـصـارِ مَـمّـا لَـقِـيَـت ... مِـن سَـحـابٍ صـافَ عَـنـهـا لَـم يُـرِش[٢]
خُـسَّـفَ الأَعـيُـنِ[٣] تَـرعـى جُـوفَـةً[٤] ... هَـمَـدَت أَبـوارُهـا لَـم تَـنـتَـفِـش
نَـنـعِـشُ الـعـافـي وَمَـن لاذَ بِـنـا ... بِـسِـجـالِ الـخـيـر مِـن أَيـدٍ نُـعُـش[٥]
ذاكَ قَـولـي وَثَـنـائـي وَهُـمُ ... أَهـلُ وُدّي خـالِـصٌ فـي غَـيـرِ غِـش
فَـسَـلـوا شـيـبـانَ إِن فـارَقـتُـهـا ... يَـومَ يَـمـشـونَ إِلـى قَـبـري بِـنَـعـش
هَـل غَـشِـيـنـا مَـحـرَمـاً مِـن قَـومِـنـا ... أَو جَـزَيـنـا جـازِيـاً فُـحـشـاً بِـفُـحـش

[الرمل]

ومما يغنّى فيه من شعر نابغة بني شيبان:

صـوت

ذَرَفَـت عَـيـنـي دُمـوعـاً ... مِـن رُسـومٍ بِـحَـفـيـرِ[٦]
مـوحِـشـاتٍ طـامِـسـاتٍ ... مِـثـلِ آيـاتِ الـزَّبـورِ
وزِقـاقٍ مُـتـرَعـاتٍ ... مِـنْ سُـلافـاتِ الـعَـصـيـرِ
مُـجـلَـخِـدَّات[٧] مِـلاء ... بـطَّـنـوهـنَّ بِـقِـيـرِ[٨]
فـإذا صَـارَتْ إلـيـهـم ... صُـيِّـرَت خـيـرَ مَـصِـيـر
مـن شـبـابٍ وكـهـولٍ ... حَـكَّـمـوا كـأسَ الـمُـديـرِ
كـم تـرى فـيـهـم نـديـمـاً ... مـن رئـيـسٍ وأمـيـر

[مجزوء الرمل]

ذكر يونس أنّ فيه لمالك لحناً ولابن عائشة آخر، ولم يذكر طريقتهما؛ وفيه خفيفُ رملٍ معروف لا أدري لحن أيّهما هو.

---

(١) العَمَشُ في العين: ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها. والرجل أعْمَشُ، وقد عَمِشَ، والمرأةُ عَمْشاءُ، بيِّنا العَمَش.
(٢) أرشت السماء: جاءت بالمطر.
(٣) خسف الأعين: غائر الأعين.
(٤) الجوفة: النبتة الفارغة الجوف.
(٥) أيد نعش: تنتعش لفعل الكرم والخير.
(٦) حفير: موضع بين مكة والمدينة.
(٧) مجلخدات: مستلقيات.
(٨) القير: الزفت.

صـــوت

من المائة المختارة

يـا عَـمـر حُـمَّ فِـراقُـكُـم عَـمـرا وَعَـزَمـتِ مِـنّـا الـنَّـأيَ وَالـهَـجـرا
إِحـدى بَـنـي أَودٍ[1] كَـلِـفـتُ بِـهـا حَـمَـلَـت بِـلا تِـرَةٍ لَـنـا وِتـرا
وَتَـرى لَـهـا دَلاً إِذا نَـطَـقَـت تَـرَكَـت بَـنـاتِ فُـؤادِهِ صُـعـرا[2]
كَـتَـسـاقُـطِ الـرُّطَـبِ الـجَـنِـيِّ مِـنَ الأَفـنـا ن لا بَـثـراً[3] وَلا نَـزرا

[الكامل]

الشعر لأبي دَهبَل الجُمَحِي. والغناء لفَزار المَكيّ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ.

(١) بنو أود: قبيلة عربية.
(٢) الصعرا: المائلة.
(٣) البثر: الكثير.

أخبار أبي دهبل ونسبه

نسبه ـ فيما ذكر الزُّبير بن بَكَّار وغيره ـ وَهْب بن زَمْعة بن أُسَيد بن أُحَيحَةَ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب. ولخلف بن وَهْب يقول عبد اللَّه بن الزِّبَعْرى[١] أو غيرُه:

خَـلَـفُ بـنُ وَهـبٍ كُـلَّ آخِـرِ لَـيـلَـةٍ أَبـدَاً يُـكَـثِّـرُ أَهـلَـهُ بِـعـيـالِ
سَـقـيـاً لِـوَهـبٍ كَـهـلِـهـا وَوَلـيـدِهـا مـا دامَ فـي أَبـيـاتِـهـا الـذَّيّـالُ
نِـعـمَ الـشَّـبـابُ شَـبـابُـهُـم وَكُـهـولُـهُـم صُـيّـابَـةٌ[٢] لَـيـسـوا مِـنَ الـجُـهّـالِ

[الكامل]

وأمّ أبي دَهبل امرأة من هُذَيل. وإيَّاها يَعني بقوله:

أَنـا ابـنُ الـفُـروعِ الـكِـرامِ الَّـتـي هُـذَيـلٌ لِأَبـيـاتِـهـا سـابِـلَـه
هُـمُ وَلَـدونـي وَأَشـبَـهـتُـهُـم كَـمـا تُـشـبِـهُ الـلَّـيـلَـةُ الـقـابِـلَـه

[المتقارب]

واسمها، فيما ذكر ابن الأعرابيّ، هذيلة بنت سَلَمة.

[جميل عفيف]

قال المدائنيّ: كان أبو دهبل رجلاً جميلاً شاعراً، وكانت له جُمَّة يُرسلها

(١) عبد اللَّه بن الزبعرى السهمي القرشي، وأمه عاتكة الجمحية بنت عبد اللَّه بن عمير. شاعر قريش في الجاهلية، وكان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال حسان فيه أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي ﷺ، فأمر له بحلة. وقد سجل في شعره حادثة الفيل وحرمة مكة ومنعتها وتحدث عن حرب الفجار وبلاء بني المغيرة فيها، ومن الأحداث التي أثرت في نفسه وسجلها في شعره أن أناساً من قصي دخلوا دار الندوة لبعض أمره فأراد عبد اللَّه أن يدخل معهم فيسمع مشورتهم فمنعوه فكتب شعراً في باب الندوة. فلما أصبح الناس وقرؤوا شعره أنكروه وقالوا: (ما قالها إلا ابن الزبعرى) فضربوه وحلقوا شعره وربطوه إلى صخرة بالحجون حتى أطلقه بنو عبد مناف. وروى كعب بن مالك في شعره يتهم الزبعرى أنه هجا الرسول ﷺ، غير أنه لم يرد في شعره ما يدل على ذلك.

(٢) الصُّيَّابُ والصُّيَّابَةُ بِضَمِّهِما ويُخَفَّفَانِ: الخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْء.

فتضرِب مَنكِبيه، وكان عفيفاً، وقال الشعر في آخر خلافة عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، ومدَح معاويةَ، وعبدَ اللَّه بن الزبير، وقد كان ابنُ الزبير ولاه بعضَ أعمال اليمن.

[رأي راهب في شعره]

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا الخليل بن أسد قال: حدّثنا العُمَريّ عن الكَلْبيّ عن أبي مِسكين، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حدّثني أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال: حدَّثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مِسكين:

أنّ قوماً مرّوا براهب، فقالوا له: يا راهب، من أشعرُ الناس؟ قال: مكانَكم حتى أنظرَ في كتاب عندي، فنظر في رَقّ له عَتيق ثم قال: وَهْبٌ من وَهْبين، من جُمَح أو جُمحين.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدَّثنا عليّ بن صالح عن عبد اللَّه بن عُرْوة قال:

قال أبو دهبل يفخر بقومه:

قَومي بَنو جُمَحٍ يَوماً إِذا انحَدرَتْ ... شَهباءُ[١] تُبصِرُ في حافاتِها الزَّغَفا[٢]
أَهلُ الخِلافَةِ وَالموفونَ إِن عَقَدوا ... وَالشاهِدو الرَّوعَ[٣] لا عُزلا[٤] وَلا كُشُفا[٥]

[البسيط]

قال الزبير: وأنشدني عمي قال: أنشدني مصعَب لأبي دَهبل يفخر بقومه بقوله:

أَنا أَبو دَهبَلَ وَهبٌ لِوَهب ... مِن جُمَحٍ في العِزِّ مِنها الحَسَب
وَالأُسرَةِ الخَضراءِ وَالعيصِ[٦] الأَشِب[٧] ... وَمِن هُذَيلٍ والِدي عالي النَّسَب
أَورَثَني المَجدَ أَبٌ مِن بَعدِ أَب ... رُمحي رُدَينِيٌّ وَسَيفي المُستَلِب

(١) الشهباء: الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح، والكتيبة شَهباءُ، لما فيها من بياض السلاح في حال السواد.
(٢) الزَّغْف، والزَّغفة: الدِّرع الواسعة الطويلة. والجمع زَغْف، على لفظ الواحد، وقد تُحرّك الغين من كل ذلك.
(٣) الروع: الحرب.
(٤) العزل: الذي لا يملك السلاح.
(٥) الكشف: من لا ترس معه في الحرب.
(٦) العيص: الأصل.
(٧) الأشب: الملتف.

وَبَـيـضَـتـي قَـونَـسُـهـا مِـنَ الـذَّهَـب دِرعـي دِلاصٌ[١] سَـردُهـا سَـردٌ عَـجَـب
وَالـقَـوسُ فَـجّـاءُ[٢] لَـهـا نَـبـلٌ ذَرِب مَـحـشـورَةٌ أُحـكِـمَ مِـنـهُـنَّ الـقُـطَـب[٣]
لِـيَـومِ هَـيـجـاءَ أُعِـدَّت لِـلـرَّهَـب

[الرجز]

[محبوبة تتنكر]

أخبرني محمد بن خَلَف قال: حدّثنا محمد بن زُهَير قال: حدّثنا المدائنيّ: أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة، وكانت امرأةً جَزْلة[٤] يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشادِ الشعر والأخبار، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسَها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً مُحبّة له. وكان أبو دهبل رجلاً سيّداً من أشراف بني جمح، وكان يحمل الحَمالات[٥] ويُعطي الفقراء ويقري الضيف. وزعمتْ بنو جمح أنه تزوّج عمرةَ هذه بعد ذلك، وزعم غيرُهم أنه لم يصل إليها. وكانت عمرة تُوصِيه بحفظ ما بينهما وكتمانه، فضمِن لها ذلك واتصل ما بينهما. فوقفت عليه زوجتُه فدسّتْ إلى عمرة امرأةً داهيةً من عجائز أهلها؛ فجاءتها فحادثتها طويلاً ثمّ قالت لها في عُرْض حديثها: إني لأَعجبُ لك كيف لا تتزوجين أبا دهبل مع ما بينكما! قالت: وأيُّ شيء يكون بيني وبين أبي دهبل! قال: فتضاحكت وقالت: أتستُرين عنّي شيئاً قد تحدَّثتْ به أشراف قريش في مجالسها وسُوقةُ أهل الحجاز في أسواقها والسُّقاةُ في مواردها! فما يتدافع اثنان أنه يهواكِ وتَهوَينه، فوثبتْ عن مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير إليها. وجاء أبو دهبل على عادته فحجبته وأرسلت إليه بما كرِه. ففي ذلك يقول:

صـوت

تَـطـاوَلَ هـذا الـلَّـيـلُ مـا يَـتَـبَـلَّـجُ وَأَعـيَـت غَـواشـي عَـبـرَتـي مـا تَـفَـرَّجُ
أَبـيـتُ كَـئـيـبـاً مـا أنـام كَـأَنَّـمـا خِـلالَ ضُـلـوعـي جَـمـرَةٌ تَـتَـوَهَّـجُ
فَـطَـوراً أُمَـنّـي الـنَّـفـسَ مِـن تَـكـتـمِ الـمُـنـى وَطَـوراً إِذا مـا لَـجَّ بـي الـحُـزنُ أَنـشِـجُ[٦]

(١) دِرْعٌ دِلاصٌ، ودُرُوعٌ دُلُص، ويجيء الدِّلاصُ بمعنى الجمع وهي اللّينةُ المَلْساءُ.
(٢) قوس فجاء: ارتفعت سيتها فبان وترها عن مقبضها.
(٣) القطب: النصال. (٤) الجزلة: الأصيلة الرأي.
(٥) الحمالة: الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم.
(٦) النشيج: صوت معه توجع وبكاء.

لَـقَـد قَـطَـعَ الـواشـونَ مـا كـانَ بَـيـنَـنـا وَنَـحـنُ إِلـى أَن يُـوصَـلَ الـحـبـلُ أَحـوَجُ
[الطويل]

ـ الغناء في البيت الأول وبعده بيت في آخر القصيدة:

أُخَـطِّـط فـي ظَـهـرِ الـحَـصـيـرِ كَـأَنَّـنـي أَسـيـرٌ يَـخـافُ الـقَـتـلَ وَلـهـانُ مُـلـفَـجُ
[الطويل]

لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى. وذكر حمَّاد عن أبيه في أخبار مالك أنه لحائد بن جَرهَد وأنّ مالكاً أخذه عنه فنسَبه الناس إليه، فكان إذا غنَّاه وسئل عنه يقول: هذا واللَّه لحائد بن جَرهَد لا لي. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش. وفي «لقد قطع الواشون» وقبله «فطوراً أُمَنّي النفس» لمالك ثقيلٌ أول بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لمعبد خفيفُ ثقيل بالوسطى عن حبش ـ.

رَأَوا غِـرَّةً فَـاسـتَـقـبَـلـوهـا بِـأَلـبِـهِـم[1] فَـراحـوا عَـلـى مـا لا نُـحِـبُّ وَأَدلَـجـوا
وَكـانـوا أُنـاسـاً كُـنـتُ آمَـنُ غَـيْـبَـهُـم فَـلَـم يَـنـهَـهُـم حِـلـمٌ وَلَـم يَـتَـحَـرَّجـوا
فَـلَـيْـتَ كـوانِـيـنـاً[2] مِـنَ ٱهـلـي وأهـلـهـا بـأجـمـعِـهـم فـي قـعـر دِجْـلـة لَـجَّـجـوا
هـمُ مـنـعـونـا مـا نُـحِـبُّ وأوقـدوا عـلـيـنـا وشَـبّـوا نـار صُـرم تـأجّـجُ
ولـو تـركـونـا لا هـدى الـلَّـه سـعـيَـهـم ولـم يُـلـحِـمـوا قـولاً مـن الـشـرّ يُـنْـسَـجُ
لَأَوشَـكَ صَـرفُ الـدَّهـرِ تَـفـريـقَ بَـيـنَـنـا وَلا يَـسـتَـقـيـمُ الـدَّهـرُ وَالـدَّهـرُ أَعـوَجُ
عَـسَـى كُـربَـةٌ أَمـسَـيـتُ فـيـهـا مُـقـيـمَـةٌ يَـكـونُ لَـنـا مِـنـهـا نـجـاةٌ وَمَـخـرَجُ
فَـيُـكـبَـتَ أَعـداءُ وَيَـجـذَلَ آلِـفٌ لَـهُ كَـبِـدٌ مِـن لَـوعَـةِ الـحُـزنِ تُـلـعَـجُ
وَقُـلـتُ لِـعَـبّـادٍ وَجـاءَ كِـتـابُـهـا لِـهـذا وَرَبّـي كـانَـتِ الـعَـيـنُ تَـخـلِـجُ
وَإِنّـي لَـمَـحـزونٌ عَـشِـيَّـةَ زُرتُـهـا وَكُـنـتُ إِذا مـا جـئـتُـهـا لا أُعَـرَّجُ
أُخَـطِّـط فـي ظَـهـرِ الـحَـصـيـرِ كَـأَنَّـنـي أَسـيـرٌ يَـخـافُ الـقَـتـلَ وَلـهـانُ مُـلـفَـجُ

---

(١) ألبهم: جمعهم.

(٢) الكانونُ: الثَّقيلُ الوَخِم. ابن الأَعرابي: الكانون الثقيل من الناس؛ وأَنشد للحطيئة:

أَغِـرْبـالاً إذا اسْـتُـودِعْـتَ سِـرًّا وكـانـونـاً عـلـى الـمُـتَـحـدِّثِـيـنـا؟

أَبو عمرو: الكَوانِينُ الثُّقلاء من الناس. قال ابن بري: وقيل: الكانون الذي يجلس حتى يَتحَرى الأَخبارَ والأَحاديث ليَنقُلها؛ قال أَبو دَهْبل:

وقد قَـطَـعَ الـواشـون بـيـنـي وبـيـنـهـا ونـحـنُ إِلـى أَن يُـوصَـل الـحـبْـلُ أَحـوَجُ
فَـلـيْـتَ كـوانِـيـنـاً مـن اهْـلـي وأَهـلـهـا بـأَجْـمَـعِـهـم فـي لُـجَّـة الـبـحـرِ لَـجَّـجـوا

الملفج: الفقير المحتاج.

وأشفَقَ قلبي من فراق خليلةٍ ... لها نَسَبٌ في فرع فِهرٍ مُتَوَّجُ
وكفٌّ كهُدَّاب الدِّمَقْسِ لطيفةٌ ... بها دَوْسُ[١] حِنَّاء حديثٌ مُضَرَّجُ[٢]
يَجولُ وشاحاها ويَغتَصّ[٣] حجلها ... ويَشْبَع منها وَقْفُ[٤] عاج ودُمْلج
فلما التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَج

[الطويل]

[شعره في عمرة]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بَكّار قال: أنشدني عمي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه محمد بن خَشرم ومن شئتَ من قريش لأبي دهبل في عَمْرة:

يا عَمرَ حُمَّ فِراقُكُم عَمرا ... وَعَزَمتِ مِنّا النَّأيَ وَالهَجرا
يا عَمرَ شَيخُكِ وَهوَ ذو كَرَمٍ ... يَحمي الذِّمارَ وَيُكرِمُ الصِّهرا
إِن كانَ هذا السِّحْرَ مِنكِ فَلا ... تَرعَي[٥] عَلَيَّ وَجَدِّدي السِّحرا
إِحدى بَني أَودٍ كَلِفتُ بِها ... حَمَلَت بِلا وِترٍ لَنا وِترا
وَتَرى لَها دَلاًّ إِذا نَطَقَت ... تَرَكَت بَناتِ فُؤادِهِ صُعْرا
كَتَساقُطِ الرُّطَبِ الجَنِيِّ مِن الـ ... أَفنانِ لا بَثراً وَلا نَزْرا
أَقسَمتُ ما أَحبَبتُ حُبَّكُم ... لا ثَيِّباً خُلِقَت وَلا بِكرا
وَمَقالَةٍ فيكُم عَرَكتُ بِها ... جَنبي أُريدُ بِها لَكِ العُذرا
وَمُريدُ سِرِّكُمُ عَدَلتُ بِهِ ... فيما يُحاوِلُ مَعدِلاً وَعرا
قالَت يُقيمُ لَنا لِنَجزِيَهُ ... يَوماً فَخَيَّمَ عِندَها شَهرا
ما إِن أُقيمُ لِحاجَةٍ عَرَضَت ... إِلّا لِأُبلِيَ فيكُمُ عُذرا

[الكامل]

---

(١) الدوس وهو تسوية الحلية وتزيينها، كما يصقل السيف ويجلى بالدياس.
(٢) المضرج: المصبوغ.
(٣) يغتص: يمتلىء.
(٤) الوَقْفُ: المسك الذي يجعل للأيدي، عاجاً كان أو قرناً مثل السوار، والجميع: الوُقُوف.
(٥) الإرعاء: الإبقاء على أخيك.

قالوا: وفيها يقول:

صوت

يَلومونَني في غَيرِ ذَنبٍ جَنَيتُهُ وَغَيرِيَ في الذَّنبِ الَّذي كانَ أَلوَمُ
أَمِنّا أُناساً كُنتِ تَأتَمِنينَهُم فَزادوا عَلَينا في الحَديثِ وَأَوهَموا[1]
وَقالوا لَنا ما لَم نَقُل ثُمَّ كَثَّروا عَلَينا وَباحوا بِالَّذي كُنتُ أَكتُمُ

[الطويل]

ـ غنّى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالبنصر ـ :

وَقَد مُنِحَت عَيني القَذى لِفِراقِهِم وَعادَ لَها تَهتانُها فَهيَ تَسجُمُ
وَصافَيتُ نَشواناً فَلَم أَرَ فيهِمُ هَوايَ وَلا الوُدَّ الَّذي كُنتُ أَعلَمُ
أَلَيسَ عَظيماً أَن نَكونَ بِبَلدَةٍ كِلانا بِها ثاوٍ وَلا نَتَكَلَّمُ

[الطويل]

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثني أبو غسَّان قال: سمع أبو السائب المخزوميّ رجلاً ينشد قول أبي دهبل:

أَلَيسَ عَجيباً أَن نَكونَ بِبَلدَةٍ كِلانا بِها ثاوٍ وَلا نَتَكَلَّمُ

[الطويل]

فقال له أبو السائب: قف يا حبيبي فوقف؛ فصاح بجارية: يا سلامة اخرجي فخرجت؛ فقال له: أعِدْ بأبي أنتَ البيت فأعاده؛ فقال: بلى واللَّه إنه لعجيبٌ عظيم وإلا فسلامة حرّة لوجه اللَّه! اذهب فدَيتُك مُصاحَباً. ثم دخل ودخلت الجاريةُ تقول له: ما لَقِيتُ منك! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني!

وحدّثني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: كنا نختلف إلى أبي العباس المبرّد ونحن أحداثٌ نكتب عن الرُّواة ما يروُونه من الآداب والأخبار، وكان يصحبنا فتًى من أحسن الناس وجهاً وأنظفِهم ثوباً وأجملهم زِيًّا ولا نعرف باطنَ أمره؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العبَّاس المبرّد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحِّح المجلس الذي شهدناه؛ فإذا بجارية قد اطّلعتْ فطرحتْ في حِجر الفتى رقعةً ما رأيتُ أحسن من شكلها مختومةً بعنبر؛ فقرأها منفرداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية. فلم نلبَثْ أن خرج خادم من الدار في يده كَرِش[2]، فدخل إلينا فصفع الفتى به حتى

(١) أوهموا: نقصوا.
(٢) الكرش: وعاء الطيب.

رحمناه وخلّصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً. فلمّا تباعدنا سألناه عن الرقعة، فإذا فيها مكتوب:

كـفـى حُـزنـاً أَنّـا جـمـيـعـاً بِـبَـلـدَةٍ كِـلانـا بِـهـا ثـاوٍ وَلا نَـتَـكَـلَّـمُ

[الطويل]

فقلنا له: هذا ابتداءٌ ظريف، فبأيّ شيء أجبتَ أنت؟ قال: هذا صوت سمعتُه يُغنّي فيه، فلما قرأته في الرقعة أجبتُ عنه بصوت مثله. فسألناه ما هو؟ فقال: كتبتُ في الجواب:

أراعـك بـالـخـابـور[1] نُـوقٌ وأجـمـال

فقلنا له: ما وفَّاك القومُ حقك قط، وقد كان ينبغي أن يُدْخلونا معك في القصَّة لدخولك في جُملتنا، ولكنَّا نحن نُوفّيك حقّك؛ ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يَدْرِ أيَّ طريق يأخذ؛ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا.

رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دهبل

أخبرني عمي قال: حدّثني الكُرانيّ قال: حدَّثني العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ قال: حدَّثنا صالح بن حَسّان قال، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حدَّثني محمد بن عمر قال: حدَّثني محمد بن السَّرِيّ قال: حدَّثني هشام بن الكلبيّ عن أبيه، يزيد أحدُهما على الآخر في خبره، واللفظُ لصالح بن حسان وخبرُه أتمّ، قال:

حجَّتْ عاتكةُ بنت معاوية بن أبي سفيان، فنزلت من مكة بذي طُوًى. فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحر وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ أمرت جواريها فرفعن السِّترَ وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شُفوفٌ لها تنظر إلى الطريق، إذ مرّ بها أبو دهبل الجمحيّ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً، فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه؛ فلمَّا فطِنت له سترتْ وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتَمتْه. فقال أبو دهبل:

إنّـي دَعـانـي الـحـيـنُ فَـاقـتـادَنـي حَـتّـى رَأَيـتُ الـظَّـبـيَ بِـالـبـابِ

يـا حُـسـنَـهُ إذ سَـبَّـنـي مُـدبِـراً مُـسـتَـتِـراً عَـنّـي بِـجِـلـبـابِ

(١) الخابور: نهر يمر بديار ربيعة حتى يصب في الفرات بعد مره على وسط مدينة قرقيسيا، ويسمى الهرماس.

سُبحانَ مِن وُقوفِها حَسرَةً ... صَبَّت عَلى القَلبِ بِأَوصابِ
يَذودُ عَنها إِن تَطَلَّبتُها ... أَبٌ لَها لَيسَ بِوهّابِ
أَحَلَّها قَصراً مَنيعَ الذُّرى ... يُحمى بِأَبوابٍ وَحُجَّابِ
[السريع]

[مع ابنة معاوية]

قال: وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه، فشاعت بمكَّة وشُهرتْ وغنّى فيها المُغنّون، حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناء؛ فضحكت وأعجبتها وبعثتْ إليه بكُسوةٍ، وجَرَتِ الرسل بينهما. فلما صدَرت عن مكة خرج معها إلى الشأم ونزل قريباً منها، فكانت تَعاهَدُه بالبرّ واللَّطَفِ[١] حتى وردت دمشقَ وورد معها، فانقطعتْ عن لقائه وبَعُد من أن يراها، ومرِض بدمشق مرضاً طويلاً. فقال في ذلك:

طالَ ليلي وبتُّ كالمحزونِ ... ومَلَلْتُ الثواءَ[٢] في جيرونِ
وأطلْتُ المقامَ بالشام حتى ... ظَنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظنونِ
فَبَكَتْ خشيةَ التفرّقِ جُمْلٌ ... كبكاءِ القَرينِ إثْرَ القَرينِ
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغوْ ... واصِ مِيزَتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا ما نسبْتَها لم تَجِدْها ... في سناءٍ من المكارم دونِ
ثم خاصرتُها إلى القبّة الخضـ ... ـراءِ تمشي في مرمرٍ مسنونِ[٣]
قبّةٌ من مراجلٍ[٤] ضربوها ... عند بَرْدِ الشتاءِ في قيطونِ[٥]
عن يساري إذا دخلتُ من البا ... بِ وإن كُنْتُ خارجاً عن يميني
ولقد قُلْتُ إذا تطاول سُقمي[٦] ... وتقلّبتُ ليلتي في فنونِ
ليت شعري أمِنْ هوًى طار نومي ... أم براني الباري قصيرَ الجفونِ
[الخفيف]

---

(١) اللطف: الهدايا.
(٢) ورد في بعض المصادر «المقام» بدل «الثواء».
(٣) سَنَنْتُ الترابَ: صببتُه على وجه الأرض صَبًّا سهلاً حتَّى صار كالمُسَنَّاة. وسَنَّ عليه الدرعَ يَسُنُّها سَنًّا، إذا صبّها عليه.
(٤) المَراجلُ: ضرب من بُرود اليمن. وثوب مُمَرجَل: على صنعة المراجل من البرود.
(٥) القَيْطُون، كحَيْزُوم، قَرْيَتَان بمِصْرَ، إحداهُمَا: بالشَرْقِيَّة، والثّانِيَةُ: بجَزِيرَةِ قُويسنا. وهو البيت في جوف البيت.
(٦) ورد في بعض المصادر «ليلي» بدل «سقمي».

قال: وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاويةَ فأمسك عنه؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دَخَلَ عليه الناسُ وفيهم أبو دهبل؛ فقال معاوية لحاجبِهِ: إذا أراد أبو دهبل الخروجَ فامنعه واردُده إليّ؛ وجعل الناس يسلِّمون وينصرفون، فقام أبو دهبل لينصرفَ؛ فناداه معاوية: يا أبا دهبل إليّ، فلمّا دنا إليه أجلسه حتى خلا به، ثم قال له: ما كنتُ ظننتُ أنّ في قريش أشعر منك حيث تقول:

ولقد قُلْتُ إذا تطاول سُقمي ... وتقلّبتُ ليلتي في فنونِ
ليت شعري أمِنْ هوًى طار نومي ... أم براني الباري قصيرَ الجفونِ

[الخفيف]

غير أنّك قلتَ:

وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغوْ ... واصِ مِيزَتْ من جوهر مكنونِ
وإذا ما نسبْتَها لم تَجِدْها ... في سناءٍ من المكارم دونِ

[الخفيف]

ووالله إن فتاةً أبوها معاويةُ وجَدُّها أبو سفيان وجدّتها هند بنت عُتبة لكما ذكرتَ، وأيَّ شيء زدتَ في قَدْرها! ولقد أسأتَ في قولك:

ثم خاصرتُها إلى القبّة الخضـ ... ـراءِ تمشي في مرمرٍ مسنونِ

[الخفيف]

فقال: والله يا أمير المؤمنين، ما قلتُ هذا، وإنما قيل على لساني. فقال له: أمّا من جهتي فلا خوف عليك، لأنّي أعلم صيانةَ ابنتي نفسَها، وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلٍّ من لم يَجُز، وإنما أكره لك جِوارَ يزيد، وأخاف عليك وَثَباته، فإن له سَوْرةَ الشباب وأنَفَةَ الملوك. وإنما أراد معاويةُ أن يهرُبَ أبو دهبل فتنقضي المقالةُ عن ابنته؛ فحذر أبو دهبل فخرج إلى مكة هارباً على وجهه، فكان يكاتب عاتكةَ. فبينا معاويةُ ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خَصِيّ له فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب، فلمَّا قرأتْه بكَت ثم أخذتْه فوضعتْه تحت مُصلّاها، وما زالت خاثرَة النفس منذ اليوم. فقال له: اذهب فالطُف لهذا الكتاب حتى تأتيني به. فانطلق الخَصِيّ، فلم يزل يلطُف حتى أصاب منها غِرَّةً فأخذ الكتاب وأقبل به إلى معاوية، فإذا فيه:

أعاتِكَ هلّا إذ بخِلْتِ فلم تَرَيْ ... لذي صَبْوَة زُلْفَى لديكِ ولا حَقّا
رَدَدْتِ فؤاداً قد تولّى به الهوى ... وسكَّنْتِ عيناً لا تَمَلّ ولا تَرْقا

ولكن خَلَعْتِ القلبَ بالوعدِ والمُنى ... ولم أرَ يوماً مِنْكِ جُوداً ولا صدقا
أتَنْسَيْن أيَّامي بربعكِ مُدْنفاً ... صريعاً بأرض الشام ذا سقَم مُلقى
وليس صديقٌ يُرْتَضَى لوصِيَّةٍ ... وأدعو لدائي بالشَّرابِ فما أُسقى
وأكبرُ هَمِّي أن أرى لك مُرْسَلاً ... فطولَ نهاري جالسٌ أرقُبُ الطُّرقا
فوا كَبِدي إذ ليس لي منكِ مجلسٌ ... فأشكو الذي بي من هواكِ وما ألقى
رأيْتُكَ تزدادين لِلصَّبِّ غِلظةً ... ويزدادُ قلبي كلَّ يوم لكم عشقا

[الطويل]

قال: فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية، فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مُطرِقاً، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمرُ الذي شجاك؟ قال: أمر أمرَضَني وأقلقني منذ اليوم، وما أدري ما أعمل في شأنه. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دَهبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة، فلم تزل باكيةً منذ اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه؟ فقال: واللَّه إن الرأي لهينٌ. قال: وما هو؟ قال: عبدٌ من عبيدك يكمُن له في أزِقّة مكة فيريحنا منه. قال معاوية: أفٍّ لك! واللَّه إن امرأً يُريد بك ما يُريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغيرُ ذي رأي، وأنتَ قد ضاق ذَرْعُك بكلمة وقَصُر فيها باعك حتى أردتَ أن تقتل رجلاً من قريش! أو ما تعلم أنك إذا فعلتَ ذلك صدقتَ قوله وجعلتنا أُحدوثةً أبداً! قال: يا أمير المؤمنين، إنه قال قصيدة أخرى تَناشَدَها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتْني على ما أشرتُ به فيه. قال: وما هي؟ قال: قال:

ألا لا تَقُلْ مهلاً فَقَدْ ذَهَبَ المَهْلُ ... وما كلّ مَنْ يَلْحَى محبًّا له عقلُ
لقد كان في حولين ولم أزرْ ... هوايَ وإن خُوِّفْتُ عن حُبِّها شغلُ
حمى الملكُ الجبَّارُ عني لقاءَها ... فَمِنْ دونِها تُخْشَى المتالِفُ والقتلُ
فلا خيرَ في حبٍّ يُخافُ وَبَالُهُ ... ولا في حبيبٍ لا يكونُ له وصلُ
فواكَبِدي إنِّي شُهِرْتُ بِحُبِّها ... ولم يَكُ فيما بيننا ساعةً بَذْلُ
ويا عجباً إنِّي أُكاتِمُ حبَّها ... وقد شاع حتى قُطِّعَتْ دونها السُّبْل

[الطويل]

قال: فقال معاوية: قد واللَّه رفّهتَ عنّي، فما كنتُ آمنُ أنه قد وصل إليها؛ فأما الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير، قُمْ عنّي؛ فقام يزيد فانصرف. وحجّ معاويةُ في تلك السنة؛ فلما انقضت أيام الحجّ كتب أسماء وجوه

قريش وأشرافِهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صِلاتٍ سنيَّةً وأجازهم جوائز كثيرةً. فلما قبَض أبو دهبل جائزته وقام لينصرفَ دعا به معاويةُ فرجع إليه؛ فقال له: يا أبا دهبل، ما لي رأيتُ أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قَوارِصَ[1] تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد نطقتَ به وأنفذتَه إلى خُصمائنا ومواليا، لا تَعرِض لأبي خالد. فجعل يعتذر إليه ويحلِف له أنَّه مكذوب عليه. فقال له معاويةُ: لا بأس عليك، وما يضرّك ذلك عندنا؛ هل تأهّلتَ؟ قال: لا. قال: فأيّ بنات عمك أحب إليك؟ قال: فلانة؛ قال: قد زوّجتُكها وأصدقتُها ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار. فلما قبضها قال: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عمَّا مضى! فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبَق منّي فقد أبحتُ به دمي وفلانة التي زوجتَنيها طالقٌ البتةَ. فسُرَّ بذلك معاويةُ وضمِن له رضا يزيد عنه ووعده بإدرار ما وصله به في كل سنة؛ وانصرف إلى دمشق. ولم يَحجُجْ معاويةُ في تلك السنة إلا من أجل أبي دهبل.

أخبرني الحزَمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمي مصعب قال: حدّثني إبراهيم بن عبد اللَّه قال:

خرج أبو دهبل يريد الغزو، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً. فلما كان بجَيرون جاءته امرأةٌ فأعطتْه كتاباً فقالت: اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها، ثم ذهبتْ فدخلت قصراً ثم خرجتْ إليه فقالت: لو بلغتَ القصر فقرأتَ الكتاب على امرأة كان لك فيه أجرٌ إن شاء اللَّه، فإنه من غائب لها يَعنيها أمرُه؛ فبلغ معها القصر؛ فلمّا دخلا إذا فيه جَوارٍ كثيرة، فأغلقن القصرَ عليه، وإذا فيه امرأة وضيئة، فدعَتْه إلى نفسها فأبَى، فأمرتْ به فحُبس في بيت في القصر وأُطعِم وسُقي قليلاً قليلاً حتى ضَعُف وكاد يموت، ثم دَعتْه إلى نفسها فقال: لا يكون ذلك أبداً، ولكنّي أتزوّجُك، قالت: نعم، فتزوّجها، فأمرتْ به فأُحِسن إليه حتى رَجعتْ إليه نفسُه، فأقام معها زماناً طويلاً لا تَدعُه يخرج، حتى يَئس منه أهلُه وولدُه، وتزوّج بنوه وبناتُه واقتسموا ماله، وأقامت زوجتُه تبكي عليه حتى عَمِشتْ ولم تقاسمهم مالَه. ثم إنه قال لامرأته: إنك قد أثِمْتِ فيّ وفي ولدي وأهلي؛ فأْذَنِي لي أطالعهم وأعود إليك؛ فأخذتْ عليه أيماناً ألا يقيم إلا سنةً حتى يعود إليها. فخرج من عندها يجرّ الدنيا[2] حتى قدِم على أهله، فرأى حالَ زوجته وما صار إليه ولدُه. وجاء إليه ولدُه؛ فقال لهم: لا واللَّه ما بيني وبينكم

(١) القوارص: الكلم التي تؤلم وتنغص.

(٢) يريد: خرج بخير كثير.

عمل، أنتم قد ورِثتموني وأنا حيّ فهو حظُّكم، واللَّه لا يَشرَك زوجتي فيما قَدِمتُ به أحد؛ ثم قال لها: شأنَك به فهو لك كلّه. وقال في الشاميّة:

صاحِ حَيّا الإلٰهُ حيًّا وَدُوراً ... عِندَ أَصلِ القَناةِ مِن جَيرونِ
عَن يَساري إذا دَخَلتُ مِنَ البا ... بِ وَإِن كُنْتُ خارِجاً عن يَميني
فَبِذاكَ اغتَرَبْتُ في الشَّأمِ حَتّى ... ظَنَّ أَهلي مُرَجَّماتِ الظُّنونِ
وَهيَ زَهراءُ مِثلُ لُؤلُؤَةِ الغَوْ ... واصِ ميزَت مِن جَوهَرٍ مَكنونِ
وَإِذا ما نَسَبتَها لَم تجِدها ... في سَناءٍ مِنَ المَكارِمِ دونِ
تَجعَلُ المسك وَاليلنْجُوجَ[1] وَالنّد ... د صِلاءً لَها عَلى الكانونِ
ثُمَّ ماشيتُها إلى القُبَّةِ الخَضراءِ ... تَمشي في مَرمَرٍ مَسنونِ
وَقِبابٍ قَد أُسرِجَتْ وَبُيوتٍ ... نُظِّمَتْ بِالرَّيحانِ وَالزَّرَجونِ[2]
قُبَّةٌ مِن مَراجِلٍ ضَرَبوها ... عِندَ حَدِّ الشِّتاءِ في قَيطونِ
ثُمَّ فارَقتُها عَلى خَيرِ ما كا ... نَ قَرينٌ مُفارِقٌ لِقَرينِ
فَبَكَت خَشيَةَ التَّفَرُّقِ لِلبَي ... نِ بُكاءَ الحَزينِ إثرَ الحَزينِ
وَاسأَلي عَن تَذَكُّري وَاطمئني ... لِأُناسي إِذا هُمُ عَذَلوني

[الخفيف]

فلمّا حلّ الأجلُ أراد الخروج إليها، فجاءه موتها فأقام.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمي مصعب قال:

وفد أبو دهبل الجُمَحيّ على ابن الأزرق عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم، وكان يقال له ابن الأزرق والهِبرِزِيّ[3]، وكان عاملاً لعبد اللَّه بن الزبير على اليمن؛ فأنكره ورأى منه جفوةً، فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم، وهو عامل لعبد اللَّه بن الزبير على حَضرَمَوْت، فقال يمدحه ويعرِّض بابن الأزرق:

(١) ذكر ابن منظورٍ في اللّسان «لنج» وأَورد عن اللّحيانيّ وابن السِّكّيت، اليَلَنْجُوج ولُغاته؛ وهو عود البخور.

(٢) الزَّرَجونُ: الخمر، ويقال الكَرْمُ. قال الأصمعي: وهي فارسيّة معربة، أي لون الذهب. وقال الجرميُّ: هو صِبْغٌ أحمر.

(٣) الهبرزي: الأسوار من أساورة الفرس. وهو أيضاً الدينار الجديد، والسد، والجميل الوسيم من كل شيء.

يـا رَبِّ حَـيِّ بِـخَـيـرٍ مـا حَـيَّـيـتَ إِنـسـانـاً عُـمـارَه
أَعـطـى وَهَـنَّـأَنـا وَلَـم تَـكُ مِـن عَـطِـيَّـتِـهِ الـصَّـغـارَه[1]
وَمِـنَ الـعَـطِـيَّـةِ مـا تُـرى جَـذمـاءَ[2] لَـيـسَ لَـهـا نَـزارَه[3]
حَـجَـراً تُـقَـلِّـبُـهُ وَهَـل تُـعـطـى عَـلـى الـمَـدحِ الـحِـجـارَه
كَـالـبَـغـلِ يُـحـمَـدُ قـائِـمـاً وَتُـذَمُّ سـيـرَتُـهُ الـمُـشـارَه

[مجزوء الكامل]

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدِم؛ فقال له حُنَين مولى ابن الأزرق في السرّ: أرى أنّك عَجِلتَ على ابن عمك وهو أجودُ الناس وأكرمُهم، فعُد إليه فإنه غيرُ تاركك، واعلم أنّا نخاف أن يكون قد عُزل فلازِمْه ولا يفقدك؛ فإني أخاف أن ينساك؛ ففعل وأعطاه وأرضاه. فقال في ذلك:

يـا حُـنَّ إِنّـي لِـمـا حَـدَّثـتَـنـي أُصُـلاً مُـرَنَّـحٌ مِـن ضَـمـيـرِ الـوَجـدِ مَـعـمـودُ
تَـخـافُ عَـزلَ[4] امـرِىءٍ كُـنّـا نَـعـيـشُ بِـهِ مَـعـروفُـهُ إِن طَـلَـبـنـا الـجـودَ[5] مَـوجـودُ
اعـلَـم بِـأَنّـي لِـمَـن عـادَيـتَ مُـضـطَـغِـنٌ ضَـبّـا[6] وَأَنّـي عَـلَـيـكَ الـيَـومَ مَـحـسـودُ
وَإِنَّ شُـكـرَكَ عِـنـدي لا انـقِـضـاءَ لَـهُ مـا دامَ بِـالـهَـضـبِ مِـن لُـبـنـانَ جُـلـمـودُ
أَنـتَ الـمُـمَـدَّحُ وَالـمُـغـلِـي بِـهـا ثَـمَـنـاً إِذ لا تُـمـدَّحُ صُـمُّ الـجَـنـدَلِ الـسُّـودُ
إِن تَـغـدُ مـن مَـنـقَـلَـي[7] نَـجـرانَ مُـرتَـحِـلاً يَـرحَـلْ مِـنَ الـيَـمَـنِ الـمَـعـروفُ وَالـجـودُ
وَمَـا زلـتَ فـي دَفَـعـات الـخـيـر تَـفـعـلُـهـا لَـمّـا اعـتَـرى الـنـاسَ لَأواءٌ[8] وَمَـجـهـودُ[9]

---

(١) الصغارة والصغر: خلاف العظم.

(٢) الأجذم: المقطوع اليد، قال: والجذم والخذم كلاهما القطع. والجذماء: امرأة من بني شيبان كانت ضرَّة للبرشاء، وهي امرأة أخرى، فرمت الجذماء البرشاء بنار فأحرقتها، فسُميت البرشاء، فوثبت عليها البرشاء فقطعت يدها، فسميت الجذماء.

(٣) النزارة: القلة.

(٤) ورد في بعض المصادر «نزع» بدل «عزل».

(٥) ورد في بعض المصادر «عرف» بدل «الجود».

(٦) الضب: الحقد والغيظ.

(٧) المَنْقَلُ: الطريقُ في الجبل. والمَنْقَلَةُ: المرحلةُ من مراحل السفر.

(٨) اللأواء: الشدّة والضيق.

(٩) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

وَلَـم تَـزَل فـي اصـطِـنـاعِ الـحَـمـدِ تَـبـذُلُـهُ لَـمّـا اعـتَـرى الـنـاسَ لَأواءٌ وَمَـجـهـودُ

حَتّى الَّذي بَينَ عُسفانٍ إلى عَدَنٍ لَحبٌّ[١] لِمَن يَطلُبُ المَعروفَ أُخدودُ[٢]

[البسيط]

قال: وأنشدنيها محمد بن الضحَّاك بن عثمان قال: سمعتُها من أبي.

[حكاية نظم بيت]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: أخبرني الزبير بن بكَّار، وحدّثني حمزة بن عُتْبة قال: قال أبو دهبل الجُمَحيّ: لما قلت أبياتي التي قلت فيها:

اعلَم بِأَنّي لِمَن عادَيتَ مُضطَغِنٌ ضَبًّا وَأَنّي عَلَيكَ اليَومَ مَحسودُ

[البسيط]

قلت فيها نصف بيت ـ وأنّ شكرك عندي لا انقضاءَ له ـ ثم أُرتِجَ عليّ، فأقمتُ حولين لا أقعُ على تمامه، حتى سمعتُ رجلاً من الحاجّ في الموسم يذكر لبنان، فقلت: ما لُبنان؟ فقال: جبل بالشام؛ فأتممتُ نصف البيت:

ما دامَ بِالهَضْبِ مِن لُبنانَ جُلمودُ

[تفضيله على نصيب]

قال الزبير: وحدّثني محمد بن حَبش المخزوميّ قال:

دخل نُصيبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها؛ فقال إبراهيم بن هشام: ما هذا بشيء، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال:

إن تَغدُ من مَنقَلَي نَجْرانَ مُرتَحِلاً يَرحَلْ مِنَ اليَمَنِ المَعروفُ وَالجودُ

[البسيط]

فغضِب نُصيبٌ فحَمِي فنزع عمامته وطرَحها وبرَك عليها، ثم قال: إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتِكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل.

قال الزبير: وحدّثني عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن عبد العزيز الزّهريّ قال: حدّثني إسماعيل بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيميّ قال:

كان إبراهيم بن هشام جبَّاراً وكان يُقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهَر. فإذا

---

(١) اللحْبُ: الطريق الواضح، واللاحب مثله، وهو فاعل بمعنى مفعول، أي مَلْحوب. تقول منه: لَحَبَهُ يَلْحَبُهُ لَحْباً، إذا وطئه ومرَّ فيه. ويقال أيضاً: لَحَبَ، إذا مرَّ مرًّا مستقيماً.

(٢) الأخدود: الشق في الأرض.

أذِن للناس أذِن معهم لشاعر، فيُنشد قصيدةَ مديح لهشام بن عبد الملك وقصيدةَ مديح لإبراهيم بن هشام. فأذِن لهم يوماً، وكان الشاعرُ الذي أذِن له معهم نُصيباً وعليه جُبَّةُ وَشْيٍ؛ فاستأذنه في الإنشاد فأذِن له؛ فأنشده قصيدةً لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشَد قصيدةَ مديح لإبراهيم بن هشام، وقصيدةُ هشام أشعرُ، فأراد الناسُ مُمالحةَ نُصيب فقالوا: ما أحسنَ هذا يا أبا مِحجَن! أعِدْ هذا البيت. فقال إبراهيم: أكثرتم، إنه لشاعرٌ، وأشعرُ منه الذي يقول في ابن الأزرق:

إن تُمسِ من مَنقَلَي نَجْرانَ مُرتَحِلاً ... يَبن مِنَ اليَمَنِ المَعروفُ وَالجودُ
وَمَا زلتَ في دَفَعات الخير تَفعلُها ... لَمّا اعتَرى الناسَ لَأواءٌ وَمَجهودُ

[البسيط]

وحَمِي نصيبٌ فقال: إنَّا واللَّه ما نصنع المديحَ إلا على قَدْر الرجال، كما يكون الرجلُ يُمدح. فعمّ الناسَ الضَّحِكَ وحَلُم عنه، وقال الحاجب: ارتفعوا، فلما صاروا في السّقيفة ضَحِكوا وقالوا: أرأيتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجبَّار! وحَلُم من غير حلم.

قال الزبير: وحدّثني عمي مصعب قال:

خرج أبو دهبل يريد ابن الأزرق فلَقِيه معزولاً، فشقّ ذلك عليه واسترجَع، فقال له ابن الأزرق: هوِّن عليك! لم يَفُتك شيءٌ، فأعطاه مائتي دينار. فقال في ذلك أبو دهبل:

أَعطى أَميراً وَمَنزوعاً وَما نَزَعَتْ ... عَنهُ المَكارِمُ تَغشاهُ وَما نُزِعا

[البسيط]

وحدّثني محمد بن الضحَّاك مثل ذلك وأنشدني البيت.

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حدّثني أبو توبة صالح بن محمد بن دُرَّاج قال: حدّثنا أبو عمرو الشيبانيّ قال:

ولّى عبدُ اللَّه بن الزبير ابناً لسعد بن أبي وقّاص يقال له إبراهيم مكانَ الثَّبَت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق، فخرج حتى نزل بزبِيد[1]، فقال لابن الأزرق: هَلُمّ حسابَك، فقال. ما لك عندي حساب ولا بيني وبينَك عملٌ، وخرج متوجِّهاً إلى مكة. فاستأذنه أبو دهبل في صحبة الوقّاصي فأذن له فرجع معه، حتى إذا

(١) زبيد: اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به. وهي مدينة مشهورة باليمن.

دخلوا صنعاء لَقِيَهم بَحِير بن رَيسان في نفرٍ كثير من الفُرْس وغيرِهم، ومضى ابن الأزرق ومعه ما احتمله من أموال اليمن، فسار يوماً ثم نزل فضرب رِواقَه ودعا الناسَ فأعطاهم ذلك المالَ حتى لم يبق منه درهم. فقال أبو دهبل:

أَعطى أَميراً وَمَنزوعاً وَما نَزَعَتْ عَنهُ المَكارِمُ تَغشاهُ وَما نُزِعا

[البسيط]

وأقام أبو دهبل مع الوَقَّاصيّ، فلم يَصنع به خيراً. فقال أبو دهبل:

ماذا رُزِئنا غَداةَ الخَلِّ[١] مِن رِمَعٍ[٢] عِندَ التَّفَرُّقِ مِن خِيرٍ وَمِن كَرَمِ
ظَلَّ لَنا واقِفاً يُعطى فَأَكثَرُ ما سَمّى وَقالَ لَنا في قَولِهِ نَعَمِ

[البسيط]

ـ نعم حرف موقوف فإذا حُرّك أُجريتْ حركتُه إلى الخَفْض لأنه أولى بالساكن ـ:

ثُمَّ انتَحى غَيرَ مَذمومٍ وَأَعيُنُنا لَمّا تَوَلّى بِدَمعٍ واكِفٍ سَجِمِ[٣]
تَحمِلُهُ الناقَةُ الأَدماءُ مُعتَجِزاً بِالبُردِ كَالبَدرِ جَلَّى لَيلَةَ الظُّلَمِ
وَكَيفَ أَنساكَ لا أَيديكَ واحِدَةٌ عِندي وَلا بِالَّذي أَسدَيتَ مِن قِدَمِ
حَتّى لَقينا بَحيراً عِندَ مَقدَمِنا في مَوكِبٍ كَضِباعِ الجزعِ[٤] مُرْتَكِمِ[٥][٦]
فَلَو رَأَيتَ مَقامي عِندَ بابِهِمُ أَحبَبتَ أَنّي بِذاكَ البابِ لَم أُقِمِ

[البسيط]

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهبل:

صوت

بَحيرُ بنُ رَيسانَ الَّذي سَكَنَ الجَندَ[٧] يَقولُ لَهُ الناسُ الجَوادُ وَمَن وَلَد

(١) الخل: موضع باليمن في وادي رمع.
(٢) رمع: موضع باليمن وقيل هو جبل باليمن.
(٣) السَّجَمَ: ماء السماء.
(٤) جزع الوادي: قطعه عرضاً. وقيل: هو رمل لا نبات فيه.
(٥) المرتكم: المجتمع.
(٦) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
حَتّى لَقينا بَحيراً عِندَ مَقدَمِنا في مَوكِبٍ كَضِباعِ الحَزنِ مُزدَحِمِ
(٧) الجند: موضع باليمن يمتاز بخصبه وطيب مناخه، فهو أجود كور اليمن.

لَـهُ نَـفَـحـاتٌ حـيـنَ يُـذكَـرُ فَـضـلُـهُ كَسَيلِ رَبيعٍ في ضَحاضِحَةِ[١] السَّنَد[٢]

[الطويل]

في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانة أنه ليمان، وذَكر الهشاميّ أنّه لابن جامع.

[مدائحه في ابن الأزرق]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيبانيّ قال: كان ابن الزبير بعث عبد اللّه بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن، فمدّ يدَه إلى أموالها وأعطى أعطيةً سنيَّة وبثّ في قريش منها أشياء جزيلةً فأثنَت عليه قريش ووفدوا إليه فأسنى لهم العطايا. وبلغ ذلك عبدَ اللّه بن الزبير فحسَده وعزَله بإبراهيم بن سعد بن أبي وَقَّاص. فلما قدِم عليه أراد أن يحاسبَه، فقال له: ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل، وقدِم مكةَ، فخافت قريشٌ ابن الزبير عليه أن يفتِّشه أو يكشِفَه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه؛ فلما لَقِيَهم نزلتْ إليه قريشٌ فسلَّمتْ عليه وبسَطت له أردِيتَها وتلقَّتْه إماؤهم وولائدهم بمجامر الألوّة[٣] والعود المَندَليّ يبخِّرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت، ثم جاء إلى ابن الزبير فسلَّم عليه وهم معه مُطِيفون به. فعلم ابن الزبير أنّه لا سبيل له إليه فما عرّض ولا صرّح له بشيء. ومَضى إلى منزله. فقال أبو دهبل:

فَـمَـن يَـكُـن شـانَ الـعَـزلُ أَو هَـدَّ رُكـنَـهُ لِأَعـدائِـهِ يَـومـاً فَـمـا شـانَـكَ الـعَـزلُ

وَمـا أَصـبَـحَـت مِـن نِـعـمَـةٍ مُـسـتَـفـادَةٍ وَلا رَحِـمٍ إِلّا عَـلَـيـكَ لَـهـا الـفَـضـلُ

[الطويل]

وقال أبو دهبل أيضاً فيه ـ أخبرني بذلك ابن المَرزُبان عن أبي تَوبة عن أبي عمرو الشيبانيّ، وأخبرني به الحرميّ عن الزبير عن عمه ـ :

---

(١) الضَّحْضَاح: الماءُ اليَسير يكون في الغَدِير وغيرِه، والضَّحْلُ مثْلُه، «كالضَّحْضَحِ». وأَنشد شَمِرٌ لساعِدة:

واسْـتَـدْبَـروا كُـلَّ ضَـحْـضَـاحٍ مُـدَفِّـئَـةٍ والـمُـحْـصَـنَـاتِ وأَوْزَاعـاً مـن الـصِّـرَمِ

«أَو» هو الماءُ «إشلى الكَعْبَيْنِ، أَو «إلى أَنْصَافِ السُّوقِ»، أَو «هو ما لا غَرَقَ فيه» ولا له غَمْرٌ. الضَّحْضَاح: «الكثِير، بلُغة هُذَيْلٍ»، لا يَعرفها غيرُهم؛ قاله خالدُ بن كُلثوم، يقال: عنده إِبلٌ ضَحْضاحٌ، قال الأَصمعيّ: غَنَمٌ ضَحْضَاحٌ، وإِبلٌ ضَحْضاحٌ: كثيرةٌ.

(٢) السَّنَدُ: ما ارتَفَعَ من الارض في قُبُل جَبَلٍ أو وادٍ.

(٣) الألوّة: العود يتبخر به.

عُـقِـمَ الـنِّـسـاءُ فَـمـا يَـلِـدنَ شَـبـيـهَـهُ إِنَّ الـنِّـسـاءَ بِـمِـثـلِـهِ عُـقـمُ
مُـتَـهـلِّـلٌ بِـنَـعَـمْ بِـلا مُـتَـبـاعِـدٌ سِـيّـانِ مِـنـهُ الـوَفـرُ وَالـعُـدمُ
نَـزْرُ الـكَـلامِ مِـنَ الـحَـيـاءِ تَـخـالُـهُ ضَـمِـنـاً[1] وَلَـيـسَ بِـجِـسـمِـهِ سُـقـمُ
[الكامل]

[وفود على سليمان الخليفة]

أخبرني محمد بن خلف قال: حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال:

قال أبو دهبل يمدح ابن الأزرق:

بِـأَبـي وَأُمّـي غَـيـرَ قَـولِ الـبـاطِـلِ الـكـامِـلُ ابـنُ الـكـامِـلِ ابـنِ الـكـامِـلِ
وَالـحـازِمُ الأَمـرُ الـكَـريـمُ بِـرَأيِـهِ وَالـواصِـلُ الأَرحـامَ وَابـنُ الـواصِـلِ
جَـمَـعَ الـرِّئـاسَـةَ وَالـسَّـمـاحَ كِـلَـيـهِـمـا جَـمـعَ الـجَـفـيـرِ[2] قِـداحَ نَـبـلِ الـنـابِـلِ
[الكامل]

أخبرني محمد بن خلف قال: حدّثني محمد بن عمر قال: حدّثني سليمان بن عَبّاد قال: حدّثني أبو جعفر الشُّوَيفِعي (رجل من أهل مكة) قال:

قدِم سليمان بن عبد الملك مكة في حرّ شديدٍ، فكان يُنقَّلُ سريره بِفناء الكعبة وأعطى الناسَ العطاء. فلما بلغ بني جُمَح نُودي بأبي دهبل، فقال سليمان: أين أبو دهبل الشاعر؟ عليّ به، فأُتِي به؛ فقال سليمان: أنت أبو دهبل الشاعر؟ قال: نعم؛ قال: فأنت القائل:

فِـتـنَـةٌ يُـشـعـلُـهـا وُرَّادُهـا حَـطَـبُ الـنـارِ فَـدَعـهـا تَـشـتَـعِـل
فَـإِذا مـا كـانَ أَمـنٌ فَـأْتِـهِـمْ وَإِذا مـا كـانَ خَـوفٌ فَـاعـتَـزِل
[الرمل]

قال: نعم. قال: وأنت القائل:

يَـدعـونَ مَـروانَ كَـيـمـا يَـستَـجـيـبَ لَـهُـم وَعِـنـدَ مَـروانَ خـارَ الـقَـومُ أَو رَقَـدوا
قَـد كـانَ فـي قَـومِ مـوسـى قَـبـلَـهُـم جَـسَـدٌ[3] عِـجـلٌ إِذا خـارَ فـيـهِـم خَـورَةً سَـجَـدوا
[البسيط]

---

(١) الضمن: المريض.

(٢) الجفِيرُ: جَعْبَةٌ من جُلُودٍ لا خَشبَ فيها، أو من خَشَبٍ لا جُلُودَ فيها، وفي بعض الأُصول الجيِّدة: لا جِلْد فيها، وهي من جُلُودٍ مَشْقُوقَة في جنْبها، يُفْعل ذلك بها ليَدْخُلَها الرِّيحُ، فلا يأْتكل الرِّيشُ.

(٣) الجسد: الجَسَدُ للإنسان، ولا يقال لغير الإنسان جَسَدٌ من خلق الأرض. وكل خلقٍ لا يأكلُ ولا

قال: نعم. قال: أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا، لا واللَّه ولا كرامةَ! فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً فُتِنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورَجْلهم ثم أدالكم اللَّهُ منهم فعفوتم عنهم، وإنما فُتِنتُ فقلت بلساني، فلِمَ لا يُعفى عنّي؟! فقال سليمان: قد عفونا عنك وأقطعه قطيعةً بحاذان باليمن. فقيل لسليمان: كيف أقطعتَه هذه القطيعةَ؟ قال: أردتُ أن أُميته وأميتَ ذِكرَه بها.

أخبرني محمد بن خلف قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا المدائنيّ عن جماعة من الرّواة:

أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة وكان امرأةً جَزْلةً يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً مُحبةً له. وكان أبو دهبل من أشراف بني جُمَح، وكان يحمل الحَمالة وكان مُسوَّداً، وزعمت بنو جمح أنه تزوّجها بعد، وزعم غيرُهم من الرّواة أنه لم يصل إليها ولم يَجْرِ بينهما حلال ولا حرام. قال: وكانت عمرة تتقدّم إلى أبي دهبل في حفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن ذلك لها. فجاء نسوةٌ كنّ يتحدّثنّ إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهبل وَقلنَ: قد علِق امرأةً، قالت: وما ذاك؟ قلن: ذكر أنه عاشق لكِ وأنّك عاشقة له. فرفعت مجلسَها ومُجالسةَ الرجال ظاهرةً وضربتْ حجاباً بينهم وبينها، وكتبت إلى أبي دهبل تَعذُله وتُخبره بما بلغها من سوء صَنيعه. فعند ذلك يقول:

تَطاوَلَ هذا اللَّيلُ ما يَتَبَلَّجُ ... وَأَعيَت غَواشي عَبرَتي ما تَفَرَّجُ
وَبِتُّ كَئيباً ما أنامُ كَأَنَّما ... خِلالَ ضُلوعي جَمرَةٌ تَتَوَهَّجُ
فَطَوراً أُمَنّي النَّفسَ مِن عَمْرة المُنى ... وَطَوراً إِذا ما لَجَّ بي الحُزنُ أَنشِجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أحوجُ
رأوْا غِرَّةً فاستقبلوها بألبهم ... فراحوا على ما لا نحبّ وأدلجوا
وكانوا أناساً كُنْتُ آمنُ غَيبَهُم ... فلم يَنْهَهُم حلم ولم يتحرَّجوا
همُ منعونا ما نُحِبُّ وأوقدوا ... علينا وشَبُّوا نارَ صَرْم تأجّجُ
ولو تركونا لا هَدَى اللَّهُ سعيَهُم ... ولم يُلْحِمُوا قولاً من الشرِّ يُنْسَجُ

= يشرب من نحو الملائكة والجنِّ مما يَعقِل فهو جَسَدٌ. وكان عِجلُ بني إسرائيل جَسَداً لا يأكل ولا يشرب ويصيح، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ أي ما جعلناهم خلقاً مستغنين عن الطّعام.

لأوشكَ صرفُ الدهرِ يفرُقَ بيننا ... وَهَلْ يَستقيم الدهرُ والدهرُ أعوجُ
عسى كُرْبَةٌ أمسيتِ فيها مُقِيمَةً ... يكونُ لنا منها نجاة ومَخْرَجُ
فيُكبَت أعداءٌ ويَجذَلُ آلِفٌ ... له كبد من لوعة الحبِّ تنضَجُ
وَقُلْتُ لِعَبَّادٍ وجاءَ كِتَابُها ... لِهَذا وربِّي كانت العين تَخْلُجُ
وخطَّطتُ في ظهرِ الحصير كأَنَّنِي ... أسيرٌ يَخَافُ القتلَ ولهان مُلْفَجُ
فلما التقينا لَجْلَجَتْ في حديثِها ... ومن آية الصُّرمِ الحديثُ المُلَجْلَجُ
وإني لمحجوب عشيَّةَ زرتُها ... وكنتُ إذا ما جئتها لا أُعَرِّجُ
وأعيا عليّ القولُ والقولُ واسِعٌ ... وفي القول مُسْتَنٌّ[1] كثيرٌ ومَخرَجُ

[الطويل]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني الزبير بن بكّار قال: حدّثني خالد بن بكر الصوَّاف قال:

أتيتُ ابن أبي العراقيب فسألتُه أن يُدْخِلني على جاريةٍ مُغنِّية لم ير أحدٌ مثلها قط؛ فقال لي: إنّ في البيت واللَّه شيخين كريمين عليّ، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما، فلو أقمتَ حتى أطّلِعَ رأيَهما في ذلك، فدخل ثم خرج إليّ فقال: ادخل فدخلتُ، فإذا أبو السائب المخزوميّ وأبو جُندَب الهُذَليّ؛ وخرجتْ علينا الجاريةُ قاطبةً عابسةً؛ فلما وُضع العودُ في حِجرها اندفعتْ تغنّي وتقول:

عسى كُرْبَةٌ أمسيتِ فيها مُقِيمَةً ... يكونُ لنا منها نجاة ومَخْرَجُ
وإني لمحجوب عشيَّةَ زرتُها ... وكنتُ إذا ما جئتها لا أُعَرِّجُ

[الطويل]

قال: ثم بكت؛ فوثبا عليه جميعاً فقالا له: لعلّك أرَبْتها[2] بشيءٍ، عليك وعلينا إن لم تَقُمْ إليها حتى تقبِّل رأسَها وتترضَّاها، ففعل.

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

تَطاوَلَ هذا اللَّيلُ ما يَتَبَلَّجُ ... وَأَعيَت غَواشي عَبرَتي ما تَفَرَّجُ

(١) المستن: الطريق الذي يسلك.
(٢) أربتها: أقلقتها وأزعجتها.

أُخـطِّـطُ فـي ظـهـرِ الـحـصـيـر كـأنَّـنِـي أسـيـرٌ يَـخَـافُ الـقـتـلَ ولـهـان مُـلْـفَـجُ
[الطويل]

الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لمالك ذكره حماد عن أبيه في أخبار مالك ولم يجنِّسه. وحُكِي أن مالكاً كان إذا سُئِلَ عنه يذكر أنه أخذه من حائد بن جَرْهَد فقوَّمه وأصلحه. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش والهشاميّ.

صـوت

لـقـد قـطـع الـواشـون مـا كـان بـيـنـنـا ونـحـن إلـى أن يُـوصَـلَ الـحـبـلُ أحـوجُ
فَـطَـوراً أُمَـنّـي الـنَّـفـسَ مِـن عَـمْـرة الـمُـنـى وَطَـوراً إذا مـا لَـجَّ بـي الـحُـزنُ أَنـشِـجُ
[الطويل]

الغناء لمالك ثقيل أول بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَش أن فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى.

[رثاؤه الحسين]

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي مُصعَب قال:

قال أبو دهبل في قتل الحسين بن عليّ صلوات اللّه عليه وزكواتُه:

تَـبـيـتُ سَـكـارى مِـن أُمَـيَّـةَ نُـوَّمـاً وَبِـالـطَّـفِّ قَـتـلـى مـا يَـنـامُ حَـمـيـمُـهـا
وَمـا أَفـسَـدَ الإِسـلامَ إلّا عـصـابَـةٌ تَـأَمَّـرَ نَـوكـاهـا وَدامَ نَـعـيـمُـهـا
فَـصـارَت قَـنـاةُ الـديـنِ فـي كَـفِّ ظـالِـمٍ إذا اعـوَجَّ مِـنـهـا جـانِـبٌ لا يُـقـيـمُـهـا
[الطويل]

[قصيدته الدالية]

قال الزبير: وحدّثني يحيى بن مِقداد بن عِمران بن يعقوب الزَّمْعي قال: حدَّثني عمي موسى بن يعقوب قال: أنشدني أبو دهبل قصيدته التي يقول فيها:

سَـقـى الـلَّـهُ جـازانـاً(١) فَـمَـن حَـلَّ وَلـيَـهُ(٢) فَـكُـلَّ مَـسـيـلٍ وَمِـن سَـهـامِ(٣) وَسُـردَدِ(٤)

(١) جازان: موضع في طريق حاج صنعاء. (٢) الولي: البلد، ووَلِيَ الرجلُ البَيْعَ، وِلايَةً فيهما.
(٣) سهام: اسم موضع في اليمامة.
(٤) سردد: واد مشهور متسع بتهامة اليمن مشتمل على قرى ومدن وضياع.

وَمَحصولَةَ الدارِ الَّتي خَيَّمَت بِهِ سَقاها فَأَروى كُلَّ ريعٍ وَفَدفَدِ[١]
فَأَنتِ الَّتي كَلَّفتني البِركَ[٢] شاتِياً وَأَورَدتِنيهِ فَانظُري أَينَ مَوردي
[الطويل]

صوت

فَوا نَدَمي إِذ لَم أَعجُ إِذ تَقولُ لي تَقَدَّم فَشَيِّعنا إِلى ضَحوَةِ الغَدِ
تَكُن سَكَناً أَو تَقدُرِ العَينَ إِنَّها سَتَبكي مِراراً فَاسلُ مِن بَعدُ واحمَدِ
فَأَصبَحتُ مِمّا كانَ بَيني وَبَينَها سِوى ذِكرِها كَالقابِضِ الماءَ بِاليَدِ
[الطويل]

وَما جَعَلَت ما بَينَ مَكَّةَ ناقَتي إِلى المِركِ إِلّا نَومَةَ المُتَهَجِّدِ
وَكادَت قُبَيلَ الصُّبحِ تَنبِذُ رَحلَها بِذَروَةَ مِن لَغطِ القَطا المُتَبَدِّدِ
[الطويل]

الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لبَذْل الكبير رمل عن الهشاميّ ـ :

لَعَلَّكَ أَن تَلقى مُحِبًّا فَتَشتَفي بِرُؤيَةِ رِئمٍ بَضَّةِ المُتَجَرَّدِ
بِلادَ العِدا لَم تَأتِها غَيرَ أَنَّها بِها هَمُّ نَفسي مِن تَهامٍ[٣] وَمُنجِدِ
وَما جَعَلَت ما بَينَ مَكَّةَ ناقَتي إِلى المِركِ إِلّا نَومَةَ المُتَهَجِّدِ
وَكادَت قُبَيلَ الصُّبحِ تَنبِذُ رَحلَها بِدُومَةَ[٤] مِن لَغطِ القَطا المُتَبَدِّدِ
[الطويل]

قال: فقلت: يا عمي فما يمنعك أن تكتري دابّةً بدرهمين فتشيِّعها وتصبحُ معك؟ فضحك وقال: نفَع اللَّه بك يا بن أخي، أما علمتَ أن النَّدم توبةٌ، وعمك كان أشغل مما تحسب.

قال الزبير: وحدّثني عمّي مُصعب بن عبد اللَّه قال:

أنشد رجل أبا السائب المخزوميّ قصيدةَ أبي دهبل:

---

(١) الفَدْفَدُ: الأرضُ المستويةُ.
(٢) البرك: أرض باليمن في نصف الطريق بين حلى ومكة.
(٣) التهام: المنسوبة إلى تهامة.
(٤) هي دومة الجندل وهي ما بين برك الغماد ومكة.

سَـقـى الـلَّـهُ جـازانـاً فَـمَـن حَـلَّ وَلـيَـهُ فَـكُـلَّ مَـسـيـلٍ وَمِـن سَـهـامِ وَسُـرْدَدِ
[الطويل]

فلما بلغ قوله:

فَـوا نَـدَمـي إِذ لَـم أَعـجُ إِذ تَـقـولُ لـي تَـقَـدَّم فَـشَـيِّـعـنـا إِلـى ضَـحـوَةِ الـغَـدِ
[الطويل]

قال أبو السائب: ما صنع شيئاً! ألا أكتري حماراً بدرهمين فشيَّعهم ولم يقل «فوا ندمي» أو اعتذر! وإني أظنّ أنه قد كان له عذرٌ. قال: وما هو؟ قال: أظنه كان مثلي لا يجد شيئاً.

[قصيدته الميمية]

فقال الزبير: وحدَّثني ابنُ مِقداد قال: حدَّثني عمي موسى بن يعقوب قال: أنشدني أبو دهبل قوله:

صـوت

أَلا عُـلِّـقَ الـقَـلـبُ الـمُـتَـيَّـمُ كُـلـثُـمـا لَـجـاجـاً وَلَـم يَـلـزَم مِـنَ الـحُـبِّ مَـلـزَمـا
خَـرَجـتُ بَـهـا مِـن بَـطـنِ مَـكَّـةَ بَـعـدَمـا أَصـاتَ الـمُـنـادي بِـالـصَّـلاةِ فَـأَعـتَـمـا(١)
فَـمـا نـامَ مِـن راعٍ وَلا ارتَـدَّ سـامِـرٌ مِـنَ الـلَّـيـلِ حَـتّـى جاوَزَت بي يَـلَـمـلَـمـا(٢)
وَمَـرَّت بِـبَـطـنِ الـلَّـيـثِ(٣) تَـهـوى كَـأَنَّـهـا تُـبـادِر بِـالإِصـبـاحِ نَـهـبـاً مُـقَـسَّـمـا
[الطويل]

ـ غنّى في هذه الأبيات ابنُ سريج خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ. قال: وفيه هزجٌ يمانٍ بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أن خفيفَ الثقيل هو اليمانيّ. وفيه لِفيل مولى العَبَلات رَمَلٌ صحيح عن حمَّاد عن أبيه عن الهشاميّ. وقال الهشاميّ: فيه لحَكَم ثقيلٌ أول. وذكر أبو أيّوب المَدِينيّ في أغاني ابن جامع أنّ فيه لحناً ولم يجنِّسه:

وجـازَتْ عـلـى الـبَـزْواءِ(٤) والـلـيـلُ كـاسِـرٌ جَـنـاحَـيْـن بـالـبَـزْواء وَرْداً وأَدْهَـمـا

(١) أعتم: دخل في الظلام والعتمة.
(٢) يلملم: موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن.
(٣) الليث: موضع بالحجاز بين السرّين ومكة.
(٤) البزواء: موضع بين مكة والمدينة، قرب الجحفة.

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى تبَيَّنتْ ... بِعُلْيَبَ[١] نَخْلاً مُشْرِفاً أو مُخَيِّمَا
ومَرَّتْ على أشْطانِ رَوْقَةَ بالضُّحَى ... فما خزّرتْ[٢] للماءِ عَيْناً ولا فَمَا
وما شرِبَتْ حتى ثَنَيْتُ زِمامَها ... وخِفْتُ عليها أن تُجَرَّ وتُكْلَمَا
فقلتُ لها: قد بنتِ غيرَ ذَميمةٍ ... وأصْبح وادي البِرْكِ غَيْثاً مُدَيِّمَا

[الطويل]

قال: فقلتُ له: ما كنتَ إلا على الريح؛ فقال: يا بن أخي، إن عمَّك كان إذا همَّ فعل، وهي الحاجةُ. أمَا سمعتَ قولَ أخي[٣] بني مُرّة[٤]:

وَإِن أَقبلَتْ قُلتَ مَشحونَةٌ ... أَطاعَتْ لَها الرِّيحُ قِلْعاً جَفولا
وَإِن أَدبَرَتْ قُلتَ مَذعورةٌ ... من الرُّبد[٥] تتبع هَيْقاً ذَمُولا[٦]
وَإِن أَعرَضَت خال فيها البَصيـ ... ـرُ ما لا تُكَلِّفُهُ أَن يَميلا
يَدا سُرُحٍ[٧] مائِلٍ ضَبعُها[٨] ... تَسومُ[٩] وَتَقدُمُ رِجلاً زَحولا
فَمَرَّت عَلى خُشُبٍ غُدوَةً ... وَمَرَّت فُوَيق أرَيك[١٠] أَصيلا
تَخبِّط بالليل حُزَّانَه[١١] ... كَوَطءِ القَوِيِّ العَزيزِ الذَّليلا

[المتقارب]

---

(١) عليب: وادٍ بتهامة.
(٢) الخَزَرُ: جيل خُزْرُ العيون. والخُزْرةُ: انقلاب الحَدَقة نحو اللحاظ. وهو أقبح الحول.
(٣) هو بشامة بن الغدير.
(٤) بشامة بن الغدير العُذري أبو بشامة بن عمرو بن معاوية بن الغدير بن هلال المري. من شعراء المفضليات، أورد الخطيب التبريزي نسبته هذين الوجهين، والأول عن أبي عكرمة. وسماه الجمحي بشامة بن الغدير المري. وعده من الإسلاميين، مع أن المشهور كما في السمط أنه خال زهير أو أبي زهير، وفيه النص على أنه جاهلي (نهشلي)، وكان كثير المال حتى فقأ عين بعير، ومن عادتهم إذا ملك الرجل ألف بعير فقأ عين فحلها، توفي سنة ١٤ق.هـ.
(٥) الربد: أبو عبيد عن أبي عمرو: يقال لِلظَّليم: الأرْبَدُ للونه، والرُّبْدَةُ الرُّمْدَةُ شبه الورقة تضرب إلى السواد.
(٦) الهيق: الظليم أي ولد النعام. والذمول: السريع.
(٧) ناقةٌ سُرُحٌ: مُنسَرِحة في سيرها، أي سريعة.
(٨) ضَبَعَتْ تَضْبَعُ ضَبْعاً، وضبّعت تضبيعاً، وهي شدّة سيرها، وضَبَعانها اهتزازها، واشتقاقها من أنّها تمدّ ضَبْعَيْها في السَّير، والضَّبْعُ وسط العضُد بلحمه.
(٩) تسوم: تمر بسرعة.
(١٠) أريك: واد في بلاد مرة
(١١) حزان: جمع حزين، وهو ما غلظ وصلب من الأرض مع إشراف قليل.

وأخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني جعفر بن الحسن اللّهبيّ قال: أنشدت ريَّان السوّاق قولَ أبي دهبل:

أَلَيسَ عَجيباً أَن نَكونَ بِبَلدَةٍ ... كِلانا بِها ثاوٍ وَلا نَتَكَلَّمُ
وَلا تَصرِميني إِن تَرَيني أُحِبُّكُم ... أَبوءُ بِذَنبٍ إِنَّني أَنا أُظلَمُ

[الطويل]

فقال: أَحسن، أحسن اللَّهُ إليه؛ ما بعد هذا شيءٌ.

وفي هذه القصيدة يقول:

صـوت

أَمِنّا أُناساً كُنتِ تَأمَنينَهُم ... فَزادوا عَلَينا في الحَديثِ وَأَوهَموا
وَقالوا لَنا ما لَم يُقَل ثُمَّ كَثَّروا ... عَلَينا وَباحوا بِالَّذي كُنتُ أَكتُمُ
لَقَد كُحلَت عَيني القَذى لِفِراقِكُم ... وَعاوَدَها تَهتانُها فَهيَ تَسجُمُ
وَأَنكَرتُ طيبَ العَيشِ مِنّي وَكُدِّرَت ... عَلَيَّ حَياتي وَالهَوى مُتَقَسِّمُ

[الطويل]

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن زُرْزور الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيفا رملٍ أحدُهما بالوسطى لمتيّم والآخر بالبنصر لعَريب.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمّي قال: حدّثني القاسِم بن المعتمِر الزُّهريّ قال:

قلت لأبي السائب المخزوميّ: يا أبا السائب، أمَا أحسن أبو دهبل حيث يقول:

صـوت

أَأَترُكُ لَيلى لَيسَ بَيني وَبَينَها ... سِوى لَيلَةٍ إِنّي إِذاً لَصَبورُ
هَبوني اِمْرأً مِنكُم أَضَلَّ بَعيرَهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمامَ كَبيرُ
وَلِلصّاحِبُ المَتروكُ أَعظَمُ حُرمَةً ... عَلى صاحِبٍ مِن أَن يَضِلَّ بَعِيرُ

[الطويل]

قال: فقال لي: وبأبي أنت! كنتُ واللَّه لا أحبُّك وتَثقُل عليّ، فأنا الآن أُحبُّك وتخِفّ عليّ.

وفي هذه الأبيات غناءٌ لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لعَلّويه رملٌ بالوسطى من جامع أغانِيه. وفيه للمازنيّ خفيفُ ثقيلٍ آخر من رواية الهشاميّ وذُكاء وغيرِهما. وأوَّل هذا الصوت بيت لم يُذكر في الخبر، وهو:

عَفا اللَّهُ عن ليلى الغَداةَ فإنَّها إذا وَلِيت حُكْماً عليّ تجورُ

[الطويل]

أخبرني الحرميّ قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمّي مصعب ومحمد بن الضحَّاك عن أبيه: أنّ أبا ريحانة عمَّ أبي دهبل كان شديدَ الخلاف على عبد اللَّه بن الزبير، فتوعّده عبد اللَّه بن صفوان، فلحِق بعبد الملك بن مروان، فاستمدّه الحَجَّاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف؛ فأشرف أبو رَيحانة على أبي قُبَيس فصاح أبو ريحانة: أليس قد أخزاكم اللَّه يا أهل مكة! فقال له ابن أبي عتِيق: بلى واللَّه قد أخزانا اللَّه. فقال له ابن الزبير: مهلاً يا بن أخي! فقال: قلنا لك ائذَنْ لنا فيهم وهم قليل فأبيتَ حتى صاروا إلى ما ترى من الكثرة. قال: وقال أبو دهبل في وعيد عبد اللَّه بن صفوان عمَّه أبا ريحانة ـ واسمه عليّ بن أسيد بن أُحَيحَة ـ:

وَلا توعِد لِتَقتُلَهُ عَلِيًّا فَإِنَّ وَعيدَهُ كَلأٌ وَبيلُ
وَنَحنُ بِبَطنِ مَكَّةَ إِن تَداعى لِرَهطِكَ مِن بَني عَمروٍ رَعيل[1]
أولو الجَمعِ المُقَدَّمِ حينَ تابوا إِلَيكَ وَمَن يُوَزِّعُهُم قَليلُ
فَلَمّا أَن تَفانَينا وَأَودى بِثَروَتِنا التَّرَحُّلُ وَالنُّزولُ
جَعَلتَ لُحومَنا غَرَضاً لَدَيهِم لِتُهلِكَنا عُرَينَةُ أَو سَلولُ

[الوافر]

[رثاؤه ابن الأزرق]

أخبرني محمد بن خَلَف قال: حدَّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيبانيّ قال:

مات ابنُ الأزرق وأبو دهبل حيّ فدُفن بعُلَيْب، فلما احتُضِر أبو دهبل أيضاً أوصى أن يُدْفن عنده. وفيه يقول أبو دهبل يَرثيه ـ عن أبي عمرو الشيبانيّ ـ:

لَقَد غالَ لِهذا اللَّحدُ مِن بَطنِ عُليَبٍ فَتًى كانَ مِن أَهلِ النَّدى وَالتَّكَرُّمِ
فَتًى كانَ فيما نابَ يَوماً هُوَ الفَتى وَنِعمَ مَحَلُّ الطارِقِ المُتَيَمِّمِ
أَأَلحَقُّ أَنّي لا أَزالُ عَلى مِنًى إِذا نَزَلَ الحُجّاجُ في كُلِّ مَوسِمِ

(١) الرَّعيلُ: القطيعُ من الخيل.

سَـقـى الـلَّـهُ أَرضـاً أَنـتَ سـاكِـنُ بَـطـنِـهـا سِـجـالَ الـعَـوادي مِـن سَـحـيـلٍ[١] مُـزَمـزَم
[الطويل]

[يطلب ميراثه]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني عمي قال: حدّثني إبراهيم بن أبي عبد اللَّه قال:

وقع لأبي دهبل مِيراثٌ بمصر فخرج يُريده؛ ثم رجع من الطريق فقال:

اِسـلِـمـي أمَّ دَهـبَـلٍ قَـبـلَ هَـجـرِ وَتَـقَـضٍّ مِـنَ الـزَّمـانِ وَعَـصـرِ
وَاذكُـري كَـرّيَ الـمَـطِـيَّ إِلَـيـكُـم بَـعـدَمـا قَـد تَـوَجَّـهَـت نَـحـوَ مِـصـرِ
وَلا تَـخـالـي أَنّـي نَـسـيـتُـكِ لَـمّـا حـالَ بـيـشٌ[٢] وَمَـن بِـهِ خَـلـفَ ظَـهـري
إِن تَـكـونـي أَنـتِ الـمُـقَـدَّمَ قَـبـلـي وَأُطِـعْ يَـثـوِ عِـنـدَ قَـبـرِكِ قَـبـري
[الوافر]

قال إبراهيم: فوقفتُ على قبره إلى جانب قبرها بعُلَيب.

صـوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

ألا أيُّـهـا الـشـادنُ الأكـحـلُ إلـى كـم تـقـول ولا تـفـعـلُ
إلـى كـم تـجـود بـمـا لا نـريـ ـد مِـنْـكَ وتـمـنـع مـا نَـسْـأَلُ
[المتقارب]

الشعر للحسين بن الضحَّاك. والغناء لأبي زَكَّارٍ الأعمى، ولحنُه المختار هَزَجٌ بالبنصر.

(١) أبو نصر: السَّحيلُ: الخيطُ غير مفتولٍ. والسَّحيلُ من الثياب: ما كان غَزْلُها طاقاً واحداً.
(٢) بيش: موضع من بلاد اليمن قرب دهلك.

أخبار حسين بن الضحّاك ونسبه

الحسين بن الضحَّاك باهليٌّ صَلِيبةٌ[١]، فيما ذكر محمد بن داود بن الجَرَّاح؛ والصحيح أنه مولى لباهِلة. وهو بَصريّ المولد والمنشأ، من شعراء الدولة العباسية، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم. ويقال: إنّه أوّل من جالس منهم محمدٌ الأمين. شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرُّف في الشعر حلو المَذهب، لشعره قبول ورونق صافٍ. وكان أبو نُواس يأخذ معانيَه في الخمر فيُغير عليها. وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس إلى أبي نواس. وله معانٍ في صفتها أبدع فيها وسبَق إليها، فاستعارها أبو نواس، وأخبارُهما في هذا المعنى وغيرِه وتُذكر في أماكنها. وكان يلقّب الخليعَ والأشقرَ، وهاجى مُسلِمَ بن الوليد فانتصف منه. وله غزل كثير جيِّد. وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارُهم ومذاهبهم جملةً من التكلف. وعُمِّرَ عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة، ومات في خلافة المُستعين أو المنتصر.

وحدّثني جعفر بن قُدامة قال: حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال:

كان حسين بن الضحَّاك بن ياسِر مولى لباهلة، وأَصلُه من خُراسان؛ فكان ربما اعترف بهذا الولاء وربما جَحَده، وكان يلقَّب بالأشقر، وهو ومحمد بن حازم الباهليّ ابنا خالة.

وحدّثني الصُّوليّ عن إبراهيم بن المعلَّى الباهليّ: أنه سأله عن نسب حسين بن الضحَّاك فقال: هو حسين بن الضحَّاك بن ياسر، من موالي سليمان بن ربيعة الباهليّ. قال الصوليّ: وسألتُ الطيِّبَ بن محمد الباهليّ عنه فقال لي: هو الحسين بن الضحَّاك بن فلان بن فلان بن ياسر، قديم الولاء؛ ودارُه في بني مُجاشِع وفيها وُلِد الحسين، أرانِيها صاحبُنا سعيد بن مسلم.

[قصيدته الخمرية]

أخبرني عليّ بن العبَّاس بن أبي طَلحة الكاتب ومحمد بن يحيى الصُّوليّ قالا: حدّثنا المُغيرة بن محمد المهلّبيّ قال: حدّثنا حسين بن الضحَّاك قال:

(١) صليبة: خالص النسب.

أنشدتُ أبا نواس لمَّا حَجَجْت قصيدتي التي قلتُها في الخمر وهي:

بُـدِّلَـتْ مـن نَـفَـحـات الـورد بـالآءِ[١] ومـن صَـبُـوحـك دَرَّ الإبـلِ والـشـاءِ

فلما انتهَيْتُ منها إلى قولي:

حتَّى إذا أُسْنِدَتْ في البيت واحتُضِرَتْ عـنـد الـصَّـبـوح بـبـسَّـامـيـن أكـفـاءِ

فُـضَّـت خـواتـمُـهـا فـي نـعـتِ واصـفـهـا عـن مـثـل رَقْـراقـةٍ[٢] فـي جـفـن مَـرْهـاءِ[٣]

[البسيط]

قال: فصَعِق صعقةً أفزعني، وقال: أحسنتَ واللَّه يا أَشقر! فقلتُ: ويلك يا حسن! إنك أفزعتني واللَّه! فقال: بلى واللَّه أفزعتني ورُعتَني، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بدّ أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبَقْتَني إليه واختلستَه منّي، وستعلم لمن يُروى ألي أم لك؛ فكان واللَّه كما قال، سمعتُ من لا يعلم يَرويها له.

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني محمد بن عبد اللَّه مولى بني هاشم أبو جعفر قال:

سمعت الحسينَ بن الضحَّاك يقول: لما قلت قصيدتي:

بُـدِّلَـتْ مـن نَـفَـحـات الـورد بـالآءِ

أنشدتُها أبا نواس؛ فقال: ستعلم لمن يَرويها الناس أَلِي أم لك؛ فكان الأمرُ كما قال، رأيتُها في دفاتر الناس في أول أشعاره.

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أحمد بن أبي طاهر بن صالح عن الحسين بن الضحَّاك، فذكروا نحواً منه.

[ازورار المأمون عنه]

أخبرني الصوليّ قال: حدّثني عبد اللَّه بن محمد الفارسيّ عن ثُمامة بن أشرس، قال الصوليّ: وحدّثينه عَون بن محمد عن عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع قال:

(١) الآء: شجر الدفلى، وهو نبت مر زهره أحمر كالورد.

(٢) الرَّقْراقَةُ: المَرْأةُ الّتِي كأنَّ الماءَ يَجْرِي في وجْهِها. وقالَ غَيْرُه: جارِيَةٌ رَقْراقَةُ البَشَرَةِ: بَرّاقَةُ البَياضِ.

(٣) المَرْهاءُ: خِلافُ الكَحْلاءِ. وشَرَابٌ أمْرَهُ: ليس فيه من السَّوَادِ شَيْءٌ. ورَجُلٌ مَرِهُ الفُؤادِ: أي سَقِيمُه ذاهِبُه. والمَرْهَةُ: حَفِيرةٌ يَجْتَمِع فيها ماءُ السَّمَاء.

لمَّا قدِم المأمونُ من خُراسان وصار إلى بغداد، أمر بأن يُسمَّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذُكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضحَّاك، وكان من جلساء محمد المخلوع؛ فقرأ أسماءهم حتى بلغَ إلى اسم حسين، فقال: أليس هو الذي يقول في محمد:

هـلَّا بَـقِـيـتَ لِـسَـدٍّ فـاقَـتِـنـا أبـداً وكـان لـغـيـرك الـتَّـلَـفُ
فَـلَـقَـد خَـلَـفـت خَـلائِـفـاً سَـلَـفـوا ولـسـوف يُـعـوِز بـعـدك الـخَـلَـفُ

[الكامل]

لا حاجةَ لي فيه، واللَّه لا يراني أبداً إلا في الطريق. ولم يعاقب الحسين على ما كان من هِجائه له وتعريضه به. قال: وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طولَ أيام المأمون.

أخبرني عمي والكوكبيّ بهذا قالا: حدّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدّثنا عبد اللَّه بن الحارث المَروَزِيّ عن إبراهيم بن عبد اللَّه ابن أخي السِّنديّ بن شاهك، فذكر مثلَه سواء.

قال ابن أبي طاهر: فحدّثني محمد بن عبد اللَّه صاحب المراكب قال: أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال:

دخلتُ يوماً على المأمون ومعي بيتانِ للحسين بن الضحَّاك، فقلت: يا أمير المؤمنين، أُحبّ أن تسمع مني بيتين؛ فقال: أنشِدْهما فأنشدتُه:

حَـمِـدْنـا الـلَّـه شُـكْـراً إذ حـبـانـا بـنـصـرك يـا أمـيـر الـمـؤمـنـيـنـا
فـأنـتَ خـلـيـفـةُ الـرحـمـن حـقًّـا جَـمَـعْـتَ سـمـاحـةً وجَـمَـعْـتَ دِيـنـا

[الوافر]

فقال: لمن هذان البيتان يا صالح؟ فقلتُ: لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحَّاك، قال: قد أحسن. فقلتُ: وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا؛ فقال: وما هو؟ فأنشدتُه قوله:

صـوت

أَيَـبْـخَـلُ فَـرْدُ الـحـسـن فَـرْدُ صـفـاتـه عـلـيَّ وقـد أفـردْتُـهُ بـهـوًى فَـرْدِ
رأى الـلَّـهُ عـبـدَ الـلَّـه خـيـرَ عِـبَـاده فـمـلـكـه والـلَّـهُ أعـلـمُ بـالـعـبـدِ

[الطويل]

قال: فأطرق ساعةً ثم قال: ما تَطِيبُ نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمد وقال.

قال أبو الفرج: وهذه الأبيات تُروى لابن البوَّاب، وستُذكر في أبوابه إن شاء اللَّهُ تعالى، وعلى أن الذي رواها غلِط في روايته غلَطاً بَيِّناً، لأنها مشهورةٌ من شعر حسين بن الضحَّاك. وقد رُوي أيضاً في أخباره أنه دفعها إلى ابن البوَّاب فأوصلها إلى ابن المأمون، وكان له صديقاً. ولعلّ الغَلَط وقع من هذه الجهة.

الغناء في الأبيات المذكورةِ المنسوبةِ إلى حسين بن الضحَّاك وإلى ابن البوَّاب الدَّاليَّة لإبراهيم بن المهديّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر. وفيها لعبيد اللَّه بن موسى الطائفيّ رمل بالبنصر.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا أحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أبيه عن عمرو بن بانة أنّهم كانوا عند صالح بن الرشيد، فقال: لستَ تطرَح على جَواريّ وغِلماني ما أستجيده! فقال له: ويلك! ما أبغضك ابعث إلى منزلي فجئْ بالدفاتر واخْتَرْ منها ما شئتَ حتى أُلقيَه عليهم؛ فبعث إلى منزلي فجِيء إليه بدفاترِ الغناء فأخذ منها دفتراً ليتخيّر مما فيه، فمرّ به شعر الحسين بن الضحَّاك يرثي الأمينَ ويهجو المأمون وهو:

أطِلْ حَزناً وابكِ الإمامَ مُحَمَّداً ... بحزن وإن خِفْتَ الحُسامَ المُهَنَّدَا
فلا تَمّتِ الأشياءُ بعد محمدٍ ... ولا زال شَمْل الملك منها مُبَدَّدا
ولا فَرِحَ المأمونُ بالملك بعده ... ولا زال في الدنيا طريداً مُشَرَّدا

[الطويل]

فقال لي صالح: أنت تعلم أنّ المأمون يَجيء إليَّ في كل ساعة، فإذا قرأَ هذا ما تُراه يكون فاعلاً! ثم دعا بسِكِّين فجعل يحُكُّه؛ وصعد المأمونُ من الدَّرَجَة ورمى صالح الدفترَ. فقال المأمون: يا غلام الدفترَ، فأُتِي به، فنظرَ فيه ووقف على الحَكّ فقال: إن قلت لكم: ما كنتم فيه تَصدُقُوني؟ قلنا: نعم. قال: ينبغي أن يكون أخي قال لك: ابعث فجِئْ بدفاترك ليتخيّر ما تطرح، فوقف على هذا الشعر فكرِه أن أراه فأمر بحكّه، قلنا: كذا كان. فقال: غنِّه يا عمرو؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، الشعر لحسين بن الضحَّاك والغناء لسعيد بن جابر؛ فقال: وما يكون! غنِّه فغنَّيتُه، فقال: ارْدُدْه فرددتُه ثلاث مرات؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: حتى تعلم أنه لم يَضرُرْك عندي.

قال: وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحَّاك، وكان نديمَه وصديقَه:

يـا سَـعـيـد وأيـن مـنِّـي سـعـيـد

[مراثيه في الأمين]

ولحسين بن الضحَّاك في محمد الأمين مَراثٍ كثيرةٌ جِياد، وكان كثيرَ التحقُّق به والمُوالاةِ له لكثرة أفضاله عليه وميْله إليه وتقديمه إيَّاه. وبلغ من جَزعه عليه أنّه خُولِط؛ فكان يُنكر قتله لمّا بلغه ويدفعه ويقول: إنّه مُستتِر وإنه قد وقف على تفرّق دُعاته في الأمصار يدعون إلى مُراجَعة أمره والوفاء ببيْعته ضنًّا به وشفقةً عليه. ومن جيّد مراثيه إياه قولُه:

صـوت

سـألـونـا أن كـيـف نـحـن فـقـلـنـا مَـنْ هَـوَى نـجـمُـهُ فـكـيـف يـكـونُ
نَـحْـنُ قـومٌ أصـابـنـا حَـدَثُ الـدهـر فَـظَـلْـنـا لِـرَيْـبِـهِ نَـسْـتَـكِـيـنُ
نـتـمـنَّـى مـن الأمـيـن إيـابـاً لَـهْـفَ نـفـسـي وأيـن مـنِّـي الأمـيـن

[الخفيف]

وفي هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقيل بالوسطى. وفيها لعَريبَ خفيف ثقيلٍ.

ومن جيّد قوله في مراثيه إيّاه:

أعـزِّي يـا مـحـمـد عـنـك نـفـسـي مَـعـاذَ الـلَّـه والأيـدي الـجـسـامِ
فـهـلَّا مـات قـومٌ لـم يـمـوتـوا ودُوفـع عـنـك لـي يـوم الـحِـمـامِ
كـأنَّ الـمـوتَ صـادفَ مِـنْـكَ غُـنْـمـاً أو اسـتـشـفـى بِـقُـربِـكَ مـن سَـقـامِ

[الوافر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثنا علي بن محمد النَّوفليّ قال: قال لي محمد بن عبَّاد: قال لي المأمون وقد قدِمت من البصرة: كيف ظريف شعرائكم وواحد مِصْركم؟ قلتُ: ما أعرفه؛ قال: ذاك الحسين بن الضحَّاك، أشعرُ شعرائكم وأظرفُ ظرفائكم. أليس هو الذي قال:

رأى الـلَّـهُ عـبـدَ الـلَّـه خـيـرَ عِـبَـاده فـمـلـكـه والـلَّـهُ أعـلـمُ بـالـعـبـدِ

[الطويل]

قال: ثم قال لي المأمون: ما قال فيّ أحد من شعراء زماننا بيتاً أبلغَ من بيته هذا؛ فاكتب إليه فاستقدِمْه، وكان حسين عليلاً وكان يَخاف بوادرَ المأمون لما فرَط منه؛ فقلت للمأمون: إنه عليل يا أمير المؤمنين، علَّتُه تمنعه من الحركة والسفر. قال: فَخُذْ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيَه ثلاثين ألف درهم؛ فأخذتُ الكتاب بذلك وأنفذتُه إليه فقبض المال.

حدّثنا عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: سمعتُ أبا العباس محمد بن يزيد الأزديّ يقول: حسين بن الضحّاك أشعر المُحدّثين حيث يقول:

أيُّ ديـــبـــاجـــةِ حُـــسْـــنِ هَـــيَّـــجَـــتْ لـــوعـــة حُـــزْنِـــي
إذ رمـــانـــي الـــقـــمـــر الـــزا هـــر عـــن فُـــتـــرة جـــفـــن
بـــأبـــي شـــمـــسُ نـــهـــارٍ بَـــرَزَتْ فـــي يـــوم دَجـــن
قـــرَّبـــتـــنـــي بـــالـــمُـــنـــى حـــتْـــ ـــتَـــى إذا مـــا أخـــلـــفَـــتْـــنِـــي
تـــركـــتـــنـــي بـــيـــن مـــيـــعـــا د وخُـــلْـــفٍ وتَـــجَـــنِّـــي
مـــا أرانـــي لـــي مـــن الـــصـــبـــ ـــوة إلَّا حـــســـنُ ظَـــنِّـــي
إنـــمـــا دامـــت عـــلـــى الـــغـــد ر لـــمـــا تـــعـــرف مـــنـــي
أســـتـــعـــيـــذ الـــلَّـــهَ مـــن إعـــ ـــراض مـــن أعـــرض عَـــنِّـــي

[مجزوء الرَّمَل]

[عند المعتصم]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال: حدّثني سوادةُ بن الفَيض المخزوميّ قال: حدّثني أبو الفيض بن سوادة عن جدّي قال:

لمّا ولي المعتصمُ الخلافةَ سألني عن حسين بن الضحّاك، فأخبرتُه بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه؛ فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدِم. فلما دخل وسلَّم استأذن في الإنشاد فأذِن له؛ فأنشده قولَه:

هَـلَّا ســألـت تـلـذُّذَ الـمُـشـتـاقِ وَمَـنَـنـت قـبـل فِـراقـه بِـتَـلاقِ
إنَّ الـرقـيـبَ لَـيَـسـتـريـبُ تَـنَـفُّـسـاً صُـعُـداً إلـيـك وظـاهـرَ الإقـلاقِ
ولـئـن أرَبْـتُ[1] لَـقَـد نَـظَـرْتُ بِـمُـقـلـةٍ عـبـرى عـلـيـك سـخـيـنـةِ الآمـاق[2]

(١) أراب الرجل: كان ذا شك وريب.
(٢) الآماق: النواحي.

نفسي الفِداءُ لَخَائِفٍ مُتَرقّب جعل الوداع إشارةً بِعِناقِ
إذ لا جوابَ لمفحَمٍ متحيّرٍ إلا الدموعُ تُصان بالإطراق

حتى انتهى إلى قوله:

خيرُ الوفود مُبَشِّرٌ بخلافةٍ خَصَّتْ ببهجتها أبا إسحاق
وافته في الشهر الحرام سليمةً مِنْ كُلِّ مُشكلة وكلّ شِقاقِ
أعطته صفقتَها الضمائرُ طاعةً قبل الأكُفّ بأوكَدِ الميثاقِ
سَكَنَ الأنامُ إلى إمامِ سلامةٍ عفٍّ الضمير مُهَذَّبِ الأخلاقِ
فَحمى رَعِيَّتَهُ ودافع دونها وأجار مُملِقَها من الإملاقِ

[الكامل]

حتى أتمّها. فقال له المعتصم: أُدْن منّي فدنا منه؛ فملأَ فَمه جواهرَ من جوهر بين يديه، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه، وأمر بأن يُنظَم ويُدفَع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعلَه. فكان أحسنَ ما مُدح به يومئذٍ.

ومما قدّمه أهلُ العلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضحَّاك حيث قال:

قُلْ للأُلى صَرَفوا الوجوه عن الهدى مُتَعَسِّفين تَعَسُّفَ المُرَّاقِ
إنِّي أُحَذِّركم بوادرَ ضَيْغَمٍ دَرْبٍ بِحَطْمِ مَوائِلِ الأعناقِ
مُتَأهّبٍ لا يستفِزّ جَنانَهُ زَجَلُ الرُّعود ولامعُ الإبراقِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُتَعَرِّمين[1] توثّبوا بالشام غَيْرُ جماجمٍ أفلاقِ
من بين مُنْجَدِلٍ تَمُجّ عروقُهُ عَلَقَ[2] الأخادعِ[3] أو أسيرٍ وثاق
وثَنى الخيولَ إلى مَعاقِلِ قيصرٍ تَخْتَالُ بين أحزَّةٍ[4] ورِقاقِ[5]

(١) المتعرّمون: ذوو العرامة وهي الشراسة والحدّة في الخلق.
(٢) العَلَقُ: الدّم الجامدُ قبل أن يَيْبَسَ، والقِطعةُ عَلَقَةٌ.
(٣) الأَخْدَعَانِ: عِرقانِ في اللَّبَّتين لأنَّهُما خَفِيا وبَطَنا ويُجمَعُ على أخادع.
(٤) الأحزة: جمع حزيز وهو الغليظ من الأرض.
(٥) الرقاق: الأرض اللينة التراب الرقيقة. وزرعوا في الرقة وهي الأرض إلى جنب الوادي ينبسط عليها الماء أيام المدّ ثم يحسر عنها فتكون مكرمة للنبات، وجمعها الرقاق، وبها سميت الرقة.

يَحْمِلْنَ كلَّ مشمِّر[١] مُتَغَشِّم[٢] ... ليثٍ هِزَبْرٍ[٣] أهرَت الأشداق[٤]
حتى إذا أمَّ الحصونَ مَنَازلاً ... والموتُ بين ترائبٍ وتَراق[٥]
هَرَّت[٦] بطارقُها هريرَ قَساوِرٍ[٧] ... بُدِهَتْ[٨] بأكرَهِ منظر ومَذَاقِ
ثم استكانت لِلْحِصارِ ملوكُها ... ذُلاً وناط حلوقَها بِخِنَاقِ[٩]
هرَبَت وأسلمتِ الصليبَ عشِيَّةً ... لم يبْقَ غيرُ حشاشة الأرماق

[الكامل]

قال: فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم، وقال له: أنت تعلم يا حسين أنّ هذا أكثر ما مدحني به مادحٌ في دولتنا. فقبَّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه.

حدّثني عليّ قال: حدّثني عثمان بن عمر الآجُرِيّ قال: سمعت الرِّياشيّ ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جداً وهما:

إذا ما الماءُ أمكنني ... وصفوُ سُلافةِ العِنَبِ
صَبَبْتُ الفِضَّةَ البيضا ... ءَ فوقَ قُراضةِ الذهبِ

[مجزوء الوافر]

فقلت له: من يقولهما يا أبا الفضل؟ قال: أرَقّ الناس طبعاً وأكثرهم مُلَحاً وأكملهم ظَرْفاً حسين بن الضحَّاك.

[مصالحته أبي نواس]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال: حدّثني أبي عن حسين بن الضحَّاك قال: أنشدتُ أبا نُوّاس قصيدتي:

---

(١) ورد في بعض المصادر «غشمشم» بدل «مشمِّر».
(٢) المتغشم: الغضوب. (٣) هِزبر: أسد.
(٤) هرت الأشداق: سعتها.
(٥) الترائب والتّريبةُ: ما فوقَ الثَّندُوتَيْنِ إلى التَّرْقُوتَيْنِ، وقيلَ: كلُّ عظم منه تَربية، وتجمع التَّرائب. التَّرْقَوَةُ: العظم الذي بين ثُغرة النحر والعاتق، ولا تقلْ تُرْقوَةٌ بالضمّ. وحكى أبو يوسف: تَرْقَيْتُ الرجل تَرْقاةً، أي أصبت تَرْقَوَتَه.
(٦) هرَّت: صوتت.
(٧) القَسْوَرَةُ: الشَّدِيدُ من الرِّجال. والقَسْوَرَةُ: الشُّجَاعُ. والقَيْسَرِيُّ: الرجلُ القَوِيُّ.
(٨) بدهت: بغتت.
(٩) الخناق: ما يخنق به من حبل أو وتر أو نحوه.

وَشاطِريّ[١] اللسان مختلق التكـ ـريه شاب المجون بالنُّسُك
[المنسرح]

حتى بلغتُ إلى قولي :

كأنما نصب كاسه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك
[المنسرح]

قال: فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه:

إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلْتَه يُقبِّلُ في داجٍ من الليل كوكبا
[المنسرح]

قال: فقلت له: يا أبا عليّ هذه مُصالَتةٌ[٢]. فقال لي: أتظن أنه يُروى لك في الخمر معنى جيّد وأنا حيّ! أخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن محمد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحَّاك فذكر مثله.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال:

أنشدتُ إبراهيم بن المدبّر قول حسين بن الضحَّاك:

كأنَّما نُصْبَ كأسِهِ قَمَرٌ حاسده بعض أَنْجُمِ الفلكِ
حتى إذا رَنَّحَتْهُ سَوْرتها وأبدلته السكونَ بالحَرَكِ
كَشَفْتُ عَنْ وَزَّةٍ مُسَنَّمَة في لين صِينيَّة[٣] من الفَلَك[٤]
[المنسرح]

فقال لي إبراهيم بن المدبّر: إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرَق منه هذا المعنى حين يقول: ـ يقبل في داج من الليل كوكبا ـ فإن كان سرَقه منه فهو أحقُّ به لأنه قد برَّز عليه، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصّر عنه.

[مع الواثق]

أخبرني محمد بن يحيى الخُراسانيّ قال: حدّثني محمد بن مُخارِق قال: لما

---

(١) شاطريّ: نسبة إلى الشاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً. وكان هذا الاسم يطلق في الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد.

(٢) المصالتة عند الشعراء هي أن يأخذ الشاعر بيتاً لغيره لفظاً ومعنى، وهي من أقبح السرقات الشعرية، من الصلت بمعنى اللص.

(٣) الصينية: الإناء المعروف.

(٤) الفلك: التل من الرمل.

بُويع الواثقُ بالخلافة ودخل عليه الحسين بن الضحَّاك فأنشده قصيدتَه التي أوَّلها:

صـوت

أَلَـمْ يَـرُعِ الإسـلامَ مـوتُ نَـصـيـرِه ... بَـلَـى حَـقّ أنْ يـرتـاعَ مـن مـات نـاصـرُهْ
سَـيُـسْـلِـيـكَ عـمَّـا فـاتَ دولـةُ مُـفْـضِـلٍ ... أوائـلُـهُ مـحـمـودةٌ وأواخـرُه
ثـنـى الـلَّـه عِـطـفَـيـه وألَّـف شـخـصَـه ... عـلـى الـبِـرِّ مُـذْ شُـدَّت عـلـيـه مـآزِرُه
يَـصَـبُّ بـبـذل الـمـال حـتـى كـأنَّـمـا ... يـرى بـذلَـهُ لـلـمـال نَـهـبـاً يُـبـادرُه
ومـا قـدَّمَ الـرحـمـنُ إلا مـقـدَّمـاً ... مـوارِدُهُ مـحـمـودةٌ ومـصـادرُهُ

[الطويل]

فقال الواثق: إن كان الحسين لَينطِق عن حسن طويّة ويمدح بخُلوص نيَّة. ثم أمر بأن يُعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم. فأعجبته الأبيات، حتى أمر فصُنعت فيها عدّة ألحان، منها لعَريبَ في طريقة الثقيل الأول.

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني عَوْن بن محمد قال: حدّثني محمد بن عمرو الرّوميّ قال: لمّا ولي الواثقُ الخلافةَ أنشده حسين بن الضحَّاك قصيدةً منها:

يَـصَـبُّ بـبـذل الـمـال حـتـى كـأنَّـمـا ... يـرى بـذلَـهُ لـلـمـال نَـهـبـاً يُـبـادرُه
ومـا قـدَّمَ الـرحـمـنُ إلا مـقـدَّمـاً ... مـوارِدُهُ مـحـمـودةٌ ومـصـادرُه

[الطويل]

قال: فأنشدتُ إسحاقَ الموصليّ هذا الشعر؛ فقال لي: نقل حسين كلامَ أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول:

جَـرى لَـكَ مِـن هـارونَ بِـالـسَّـعـدِ طـائِـرُه ... إِمـامُ اعـتِـزامٍ لا تُـخـافُ بَـوادِرُه
إِمـامٌ لَـهُ رَأيٌ حَـمـيـدٌ وَرَحـمَـةٌ ... مَـوارِدُهُ مَـحـمـودَةٌ وَمَـصـادِرُه

[الطويل]

قال: فعجبتُ من رواية إسحاق شعرَ المُحدَثين، وإنّما كان يروي للأوائل ويتعصَّب على المحدَثين وعلى أبي العتاهية خاصّةً.

في هذين الشعرين أغاني نسبتها:

صـوت

جَـرى لَـكَ مِـن هـارونَ بِـالـسَّـعـدِ طـائِـرُه ... إِمـامُ اعـتِـزامٍ لا تُـخـافُ بَـوادِرُه

إمـامٌ لَـهُ رَأيٌ حَـمـيـدٌ وَرَحـمَـةٌ مَـوارِدُهُ مَـحـمـودَةٌ وَمَـصـادِرُه
هُوَ المَلِكُ المَجبولُ نَفساً عَلى التُّقى مُـسَـلَّـمَـةٌ مِـن كُـلِّ سـوءٍ عَـسـاكِـرُه
لِتُغمَد سُيوفُ الحَربِ فَاللَّهُ وَحدَهُ وَلِـيُّ أَمـيـرِ الـمُـؤمِـنـيـنَ وَنـاصِـرُه

[الطويل]

الشعر لأبي العتاهية، على ما ذكره الصُّوليّ. وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسَلْم الخاسِر. والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ.

صـوت

سَيُسْلِيكَ عَمَّا فاتَ دولةُ مُفْضِلٍ أوائِـلُـهُ مـحـمـودةٌ وأواخِـرُه
ثَـنـى الـلَّـه عِـطـفَـيـه وألَّـف شـخـصَـه عَـلـى الـبِـرِّ مُـذْ شُـدَّت عَـلـيـه مـآزِرُه

[الطويل]

الشعر لحسين بن الضحَّاك. والغناء لعَريبَ ثقيل أول مطلق. وفيه لقَلَم[1] الصالحيَّة خفيفُ رمل، وهو أغرب اللحنين ولحن عَريبَ المشهور.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني محمد بن يحيى قال: حدّثني علي بن الصبَّاح قال: حدّثني عليّ بن صالح كاتب الحسن بن رَجاء قال: حدّثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال:

كنّا مع الواثِق بالقاطُولِ[2] وهو يتصيَّد؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزوّ[3] من الإوَزّ والدُّرّاج وطيرِ الماء وغير ذلك؛ ثم رجع فتغدّى، ودعا بالجلساء والمغنّين

(١) هي جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات.

(٢) القاطول: بين الجزيرة والموصل، فاعول من القطل، وهو القطع. وقد ذكره البحتري في قصيدته التي يرثي بها المتوكل فقال:

مـحـلّ عـلـى الـقـاطـول أَخْـلَـقَ داثِـرُهْ

وكان المعتصم لما ارتاد موضعاً مرَّ بالقاطول فقال: هذا أصلح المواضع، فصير الدير المعروف بالقاطول وسط المدينة، وجعل البناء على دجلة وعلى القاطول، وابتدأ البناء وأقطع القواد والكتّاب والناس، فبنوا حتى ارتفع البناء، واختطت الأسواق على القاطول وعلى دجلة، وسكن هو في بعض ما بني له، ثم قال: أرض القاطول غير طائلة والبناء بها صعب، ثم ركب يتصيد فمرَّ في سيره إلى سرَّ من رأى، وهي صحراء لا عمارة بها ولا أنيس إلا ديراً للنصارى، فبنى فيه مدينة سر من رأى على ما مرَّ في موضعه، والقاطول على خمسة فراسخ من سامرّا.

(٣) الزوّ: نوع من السفن كان منتشراً في العصر العباسي.

وطرِب، وقال: من يُنشدنا؟ فقام الحسين بن الضحَّاك فأنشده:

سَقَى اللَّـهُ بـالـقَـاطُـولِ مَـطْـرَحَ طَـرْفِـكَـا وخَـصَّ بـسُـقْـيَـاهُ مَـنَـاكِـبَ قَـصْـرِكَـا

حتى انتهى إلى قوله:

تـحـيَّـن لـلـدُّرَّاجِ فـي جَـنَـبـاتِـهِ ولـلـغُـرِّ آجَـالاً قُـدِرْنَ بـكَـفِّـكَـا
حُـتُـوفـاً إِذَا وجَّـهـتَـهـنّ قَـوَاضِـبـاً عِـجَـالاً إِذا أَغْـرَيْـتَـهـنّ بـزَجْـرِكَـا
أَبَـحْـتَ حَـمـامـاً مُـصـعِـدا ومُـصـوِّبـاً وما رِمْتُ[1] في حاليك مَجْلِسَ لهوكا
تـصـرَّفُ فـيـه بـيـن نـايٍ ومـسـمـع ومشمولةٍ[2] من كفِّ ظبي لِسَقْيكا
قَـضَـيْـتُ لُـبـانـاتٍ وأنـت مُـخَـيِّـمٌ مُـرِيـحٌ وإنْ شَـطَّـتْ مـسـافـةُ عَـزْمـكـا
ومـا نـال طِـيـبَ الـعـيـش إلَّا مُـودَّعٌ[3] ومـا طـاب عـيـشٌ نـالَ مـجـهـودَ كـدِّكـا

[الطويل]

فقال الواثق: ما يعدِل الراحةَ ولذّةَ الدَّعَة شيء. فلما انتهى إلى قوله:

خُـلِـقْـتَ أمـيـنَ الـلَّـه لِـلْـخَـلْـقِ عِـصْـمَـةً وأمْـنـاً فـكـلٌّ فـي ذَراك وظِـلِّـكـا
وَثِـقْـتَ بِـمَـنْ سـمَّـاكَ بـالـغـيـب واثِـقـاً وَثَـبَّـت بـالـتـأيـيـد أركـانَ مُـلـكـكـا
فَـأعـطـاك مُـعْـطِـيـكَ الـخـلافـةَ شُـكْـرَهـا وأسـعـد بـالـتـقـوى سـريـرةَ قـلـبـكـا
وزادَكَ مـن أعـمـارنـا، غـيـرَ مِـنَّـةٍ عَـلَـيْـكَ بِـهَـا، أضـعـافَ أضـعـافِ عـمـركـا
ولا زالَـتِ الأقـدارُ فـي كـلِّ حَـالـةٍ عُـداةً لِـمَـنْ عـاداك سِـلـمـاً لـسـلـمـكـا
إذا كُـنْـتُ مـن جَـدْواك فـي كـلِّ نـعـمـةٍ فـلا كُـنْـتُ إن لـم أُفـنِ عـمـري بـشـكـركـا

[الطويل]

فطرِب الواثق فضرب الأرضَ بِمخْصَرةٍ كانت في يده، وقال: للَّه درّك يا حسين! ما أقرب قلبَك من لسانك! فقال: يا أمير المؤمنين، جودُك يُنطِق المُفحَمَ بالشعر والجاحدَ بالشكر. فقال له: لن تنصرف إلا مسروراً؛ ثم أمر له بخمسين ألف درهم.

حدّثنا عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال: حدّثنا أبو العبّاس الرّياشيّ قال: حدّثنا الحسين بن الضحّاك قال:

دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لَطِخ[4] غيم، فقال لي: ما الرأي في

(١) رام المكان: زال عنه وفارقه.
(٢) الشمولة: الخمرة الباردة.
(٣) المودع: السهل الجانب والمرفه.
(٤) لطخ غيم: قليل غيم.

هذا اليوم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما حكَم به وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف؛ فإنه أشار بصواب لا يردّ وجعله في شعرٍ لا يُعارَض. فقال: وما قال؟ فقلت: قال:

أرى غيماً تُؤلِّفُهُ جَنوبٌ ... بلا شكٍّ سيأتينا بهَطْلِ
فعينُ[1] الرأيِ أن تدعو برِطْلٍ ... فتشربُهُ وتدعو[2] لي برطلِ

[الوافر]

فقال: أصبتما؛ ودعا بالطعام وبالشراب والمغنّين والجلساء واصطبحنا.

أخبرني عليّ بن العبّاس قال: حدّثني الحسين بن عُلوان قال: حدّثني العبَّاس بن عبيد اللَّه الكاتب قال:

كان حسين بن الضحَّاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثُلثٌ من الليل، فأمر بأن يبيتَ مكانَه. فلمّا أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون، قال لحسين: هل وصفتَ ليلتنا الماضية وطيبَها؟ فقال: لم يمضِ شيء وأنا أقول الساعة؛ وفكّر هنيهةً ثم قال:

حَثَّتْ صَبوحي فكاهةُ اللَّاهي ... وطابَ يومي بقربِ أشباهِي
فَآثَرَ اللَّهوَ في مكامنِهِ ... مِنْ قَبْلِ يومٍ مُنَغِّصٍ ناهي
بابنةِ كَرْمٍ من كَفٍّ مُنْتَطِقٍ[3] ... مؤزَّرٍ بالمُجُونِ تَيَّاه
يَسقِيكَ من طرفه ومن يده ... سقيَ لَطِيفٍ مُجَرِّبٍ داهي
كأساً وكأساً كأنَّ شاربها ... حيرانُ بين الذَّكور والساهي

[المنسرح]

قال: فأمر الواثق بردّ مجلسه كهيئته، واصطبح يومَه ذلك معهم؛ وقال: نحقِّق قولك يا حسين ونقضي لك كلَّ أرَب وحاجة.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن مُغِيرة المهلَّبي قال: حدّثنا حُسين بن الضحَّاك قال:

كانت لي نَوبةٌ في دار الواثق أحضُرها جَلَس أو لم يجلس. فبينا أنا نائم ذات ليلة في حجرتي، إذ جاء خادم من خَدَم الحُرَم فقال: قُمْ فإنّ أمير المؤمنين يدعوك. فقلت له: وما الخبر؟ قال: كان نائماً وإلى جانبه حَظِيَّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمةً، فألمّ

(١) ورد في بعض المصادر «فحزم» بدل «فعين».
(٢) ورد في بعض المصادر «وتأمر» بدل «وتدعو».
(٣) المنتطق: اللابس المنطقة وهي كلّ ما شددت به وسطك.

بجارية له أخرى ولم تكن ليلةَ نوبتها وعاد إلى فراشه؛ فغضِبتْ حَظِيَّتُه وتركتْه حتى نام، ثم قامت ودخلت حجرتَها؛ فانتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها، فقال: اختُلِستْ عزيزتي، ويحكم أين هي! فأخبِر أنها قامت غَضْبى ومضت إلى حجرتها، فدعا بك. فقلت في طريقي:

غَضِبَتْ أنْ زُرْتُ أخرى خِلْسَةً ... فَلها العُتْبى لَدَيْنا والرِّضا
يا فَدَتك النفسُ كانَتْ هفوةً ... فاغفريها واصفَحِي عمَّا مَضَى
واتركي العذلَ على من قاله ... وانسُبِي جَوْرِي إلى حكم القضا
فَلَقَدْ نَبَّهَتْنِي مِنْ رَقْدتي ... وعلى قلبي كنيرانِ الغَضا

[الرمل]

قال: فلما جئتُه خبّرني القصّة وقال لي: قُلْ في هذا شيئاً، ففكّرتُ هنيهةً كأنّي أقول شعراً ثم أنشدتُه الأبيات.

فقال: أحسنتَ وحياتي! أعِدْها يا حسين؛ فأعدتُها عليه حتى حِفظها، وأمر لي بخمسمائة دينار، وقام فمضى إلى الجارية وخرجتُ أنا إلى حجرتي.

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال: حدّثني الغَلابيّ قال: حدّثني مهديّ بن سابِق قال: قال لي حسين بن الضحّاك:

كان الواثق يتحظَّى جاريةً له فماتت فجزع عليها وترك الشرب أياماً ثم سَلاها وعاد إلى حاله؛ فدعاني ليلة فقال لي: يا حسين، رأيتُ فلانة في النوم؛ فليت نومي كان طال قليلاً لأتمتَّعَ بلقائها؛ فقل في هذا شيئاً. فقلت:

لَيْتَ عينَ الدهرِ عنّا غَفَلَتْ ... وَرقيبَ الليل عنّا رَقَدا
وأقامَ النومُ في مدته ... كالذي كان وكنّا أبدا
بأبي زَوْرٌ[1] تَلَفَّتُّ له ... فَتَنَفَّستُ إليه الصُّعَدا
بينما أضحك مسروراً بِهِ ... إذ تَقَطَّعَتْ عليه كَمَدا

[الرمل]

قال: فقال لي الواثق: أحسنتَ! ولكنَّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ لليل وإنما رأيتُ الرؤيا نهاراً. ثم عاد إلى منامه فرقَد.

أخبرني جَحظة قال: حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال: حدّثني حسين بن

(١) الزور: الخيال يرى في النوم.

الضحَّاك، وأخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى عن حسين بن الضحَّاك قال:

لقيني أبو نُواس ذات يوم عند باب أم جعفر من الجانب الغربيّ، فأنشدته:

أَخَوَيَّ حَيَّ[1] عَلى الصَّبوحِ صَباحا هُبّا وَلا تَعِدا النَّديمَ رَواحا
هَذا الشَّميطُ[2] كَأَنَّهُ مُتَحَيِّرٌ في الأُفْقِ سُدَّ طَريقُهُ فَأَلاحا
ما تأمرانِ بِسَكرة قَرَويَّة قَرَنَتْ إلى درجِ النجاحِ نَجَاحا

[الكامل]

هكذا قال جَحظة. والذي أحفظه:

مَا تأمران بقهوة قَرَوِيّة

قال: فلمّا كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول:

ذَكَرَ الصَّبُوح بِسُحرة فارتاحا وأمَلّه ديكُ الصَّباح صِياحا

[الكامل]

فقلت له: حسنٌ يا بن الزانية! أفعلتها؟ فقال: دع هذا عنك، فواللَّه لا قلتَ في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلا نسب لي.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن سعيد قال: حدّثني أبو أمامة الباهليّ عن الحسين بن الضحَّاك، قال محمد بن يحيى: وحدَّثني المغيرة بن محمد المهلَّبيّ:

أنّ الحسين بن الضحَّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهديّ، فجرت بينهما مُلاحاةٌ في أمر الدِّين والمذهب؛ فدعا له إبراهيمُ بِنطع وسيف وقد أخذ منه الشرابُ؛ فانصرف وهو غضبان. فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه. فكتب إليه:

نَديمي غَيرُ مَنسوبٍ إلى شَيءٍ مِنَ الحَيفِ
سَقاني مِثلَ ما يشرِ ب فِعلَ الضَّيفِ بِالضَّيفِ
فَلَمّا دارَتِ الكَأسُ دَعا بِالنِّطعِ وَالسَّيفِ
كَذا مَن يَشرَبُ الراح مَعَ التِّنّينِ في الصَّيفِ[3]

[الهزج]

(١) حيّ: مثقلة يندب بها ويدعى بها، يقال: حيّ على الصلاة، أي هلموا.
(٢) الشميط: من المجاز بمعنى الصباح.
(٣) تنسب هذه الأبيات للحلاج، وهو الحسين بن منصور الحلاج. وهو من المتصوفة المعروفين،

قال: ولم يعد إلى منادمته مدة. ثم إن إبراهيم تحمَّل عليه ووصله فعاد إلى منادمته.

حدّثني عمّي قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: حدّثني حسين بن الضحَّاك قال: كنت أنا وأبو نواس ترْبين، نشأنا في مكان واحد وتأدّبنا بالبصرة، وكنّا نحضُر مجالسَ الأدباء متصاحبَين، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدّة، واتّصل بي ما آل إليه أمرُه، وبلغني إيثارُ السلطان وخاصّتِه له، فخرجتُ عن البصرة إلى بغداد ولقيتُ الناس ومدحتُهم وأخذتُ جوائزَهم وعُدِدْتُ في الشعراء، وهذا كلُّه في أيام الرشيد، إلا أنّي لم أصِلْ إليه واتّصلتُ بابنه صالح فكنتُ في خدمته. فغُنّي يوماً بهذا الصوت:

أأن زُمَّ[1] أجمالٌ وفارقَ جيرةٌ وصاحَ غُرابُ البين أنْتَ حَزِينُ[2]

[الطويل]

فقال لي صالح: قل أنت في هذا المعنى شيئاً؛ فقلت:

أأن دَبَّ حُسَّادٌ ومَلَّ حبيبُ وأورق عودُ الهجر أنت حبيبُ
لِيَبْلُغْ بنا هجرُ الحبيب مرامَه هلِ الحبُّ إلَّا عَبْرةٌ ونحيبُ
كأنَّكَ لم تسمع بفرقة أُلْفةٍ وَغَيبَةِ وصل لا تراه يؤوبُ

[الطويل]

فأمر بأن يُغنّى فيه. واتصلتُ بمحمّد[3] ابن زُبيدة في أيام أبيه وخدمتُه، ثم اتَّصلَتْ خدمتي له في أيام خلافته.

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدّثني أبو العَيناء عن الحسين بن الضحَّاك قال: كنت يوماً عند صالح بن الرشيد، فجرى بيننا كلامٌ على النَّبيذ وقد أخذ منّي الشرابُ مأخذاً قويًّا، فرَددْتُ عليه رداً أنكره وتأوّله على غير ما أردتُ، فهاجَرني، فكتبتُ إليه:

= أصله من بيضاء فارس، نشأ بواسط العراق، وظهر أمره سنة ٢٩٩هـ، فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان. كثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه فسجن وعذب وضرب وقطعت أطرافه الأربعة، ثم قتل وحزّ رأسه وأحرقت جثته، وألقي رمادها في نهر دجلة، ونصب رأسه على جسر بغداد في سنة ٣٠٩هـ.

(١) زمّ البعير: خطمه وعلق عليه الزمام.

(٢) ينسب البيت لكثير عزّة.

(٣) هو محمد الأمين الخليفة العباسي.

صـــوت

يـــابـــنَ الإمـــام تَـــرَكْـــتَـــنِـــي هَـــمَـــلا ... أبـــكـــي الـــحـــيـــاةَ وأنـــدُبُ الأمَـــلا
مـــا بـــالُ عَـــيـــنِـــك حـــيـــن تَـــلْـــحَـــظُـــنِـــي ... مـــا إنْ تُـــقِـــلُّ جُـــفـــونَـــهـــا ثِـــقَـــلا
لـــو كـــان لـــي ذنـــبٌ لَـــبُـــحْـــتُ بـــه ... كـــي لا يُـــقـــالَ هـــجـــرتَـــنِـــي مَـــلَـــلا
إنْ كُـــنْـــتُ أعـــرفُ زَلَّـــةً سَـــلَـــفَـــتْ ... فَـــرَأَيْـــتُ مِـــيـــتَـــةَ واحـــدي عـــجـــلا[1]

[الكامل]

ـ فيه خفيفُ ثقيل يُنسب إلى عبد اللَّه بن العلاء وإلى عبد اللَّه بن العبَّاس الربيعيّ ـ قال: فكتب إليّ: قد تلافى لسانُك بشعرك، ما جناه في وقت سكرك. وقد رضيتُ عنك رِضاً صحيحاً، فصِرْ إليّ على أتمّ نشاطِك، وأكمل بِساطك. فعُدتُ إلى خدمته فما سكرتُ عنده بعدها. قال: وكانت في حسين عربدةٌ.

وأخبرني ببعضه محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمد بن خَلَف بن المَرزُبان، وألفاظهما تزيد وتنقص. وأخبرني ببعضه محمد بن خَلَف وَكيع عن آخره وقصَّةِ وصوله إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك. قال: وحدَّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه ـ ولم يقل وَكيع: عن أبيه ـ واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثُه أتمّ، قال:

كنت بين يدي المأمون واقفاً، فأدخل إليه ابنُ البوَّاب، رقعةً فيها أبيات وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لي في إنشادها؛ فظنّها له فقال: هاتِ؛ فأنشده:

أَجِـرْنـي فـإنِّـي قَـدْ ظَـمِـئْـتُ إلـى الـوعـد ... مـتـى تُـنْـجِـزُ الـوعـدَ الـمـؤكَّـدَ بـالـعـهـدِ
أُعِـيـذُكَ مـن خُـلْـف مـلـولٍ وقـد بـدا ... تـقـطُّـع أنـفـاسـي عـلـيـك مـن الـوجـدِ
أيـبـخَـلُ فَـرْدُ الـحـسـن عـنِّـي بـنـائـلٍ ... قـلـيـلٍ وقـد أفـردتُـهُ بـهـوًى فـردِ

إلى أن بلغ إلى قوله:

رَأَى الـلَّـهُ عـبـدَ الـلَّـه خـيـرَ عـبـاده ... فـمـلـكـه والـلَّـه أعـلـمُ بَـالـعَـبْـدِ
ألا إنَّـمـا الـمـأمـونُ لـلـنـاسِ عِـصْـمَـةٌ ... مـمـيِّـزةٌ بـيـن الـضَّـلالـةِ والـرشـدِ

[الطويل]

فقال المأمون: أحسنتَ يا عبد اللَّه! فقال: يا أمير المؤمنين، أحسن قائلها؛ قال: ومن هو؟ فقال: عبدُك حسين بن الضحَّاك، فغضِب ثم قال: لا حيَّا اللَّه من ذكرتَ ولا بَيّاه ولا قرّبه ولا أنعَم به عيناً! أليس القائلَ:

(١) يعني هذا البيت أنه يدعو على ولده الواحد بالموت عاجلاً إذا كان يعرف له زلة سلفت.

أعـيـنـيَّ جُـودا وابـكـيـا لـي مـحـمـداً ولا تَـذْخَـرا دمـعـاً عـلـيـه وأسـعِـدَا
فـلا تَـمَّـتِ الأشـيـاءُ بـعـد مـحـمـد ولا زالَ شـمـلُ الـمـلـكِ فـيـه مـبـدَّدا
ولا فَـرِحَ الـمـأمـونُ بـالـمُـلـكِ بـعـده ولا زال فـي الـدّنـيـا طـريـداً مـشـردا

[الطويل]

هذا بذاك؛ ولا شيء له عندنا. فقال له ابن البوّاب: فأين فضلُ إحسان أمير المؤمنين وَسَعةُ حلمه وعادتُه في العفو! فأمره بإحضاره. فلما حضَر سلَّم، فردّ عليه السلام ردًّا جافياً؛ ثم أقبل عليه فقال: أخبِرني عنك: هل عرفتَ يومَ قُتل أخي محمد هاشميَّة قُتلت أو هُتكت؟ قال: لا. قال: فما معنى قولك:

وسِـرب ظِـبَـاء مـن ذُؤابـةِ هـاشـم هَـتَـفْـنَ بِـدَعَـوى خـيـر حـيٍّ ومَـيِّـتِ
أرُدّ يـداً مِـنِّـي إذا مـا ذَكَـرْتُـهُ عـلـى كـبـدٍ حَـرَّى وقـلـبٍ مُـفَـتَّـتِ
فـلا بـات لـيـلُ الـشـامـتـيـن بِـغِـبْـطَـةٍ ولا بَـلَـغَـتْ آمـالُـهـم مـا تـمـنَّـت

[الطويل]

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعةٌ غلبتني، وروعةٌ فاجأتني، ونعمةٌ فقدتُها بعد أن غمرتْني، وإحسانٌ شكرتُه فأنطقني، وسيّد فقدتُه فأقلقني، فإن عاقبتَ فبحقك، وإن عفوتَ فبفضلك. فدَمَعت عينا المأمون وقال: قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أبي قال:

لمّا أعيتْ حسين بنَ الضحَّاك الحيلةُ في رضا المأمون عنه، رمَى بأمره إلى عمرو بن مَسعَدة وكتب إليه:

أنْـتَ طَـودِي مـن بـيـن هـذي الـهِـضـابِ وشـهـابـي مـن دون كـلِّ شِـهـابِ
أنـت يـا عـمـرو قُـوَّتـي وحـيـاتـي ولـسـانـي وأنـت ظُـفْـري ونـابـي
أتُـرانـي أنْـسـى أيـاديَـكَ الـبـيـ ـضَ إذا اسـودّ نـائـلُ الأصـحـابِ
أيـن عـطـف الـكـرام فـي مـأقِـطِ[1] الـحـا جـة يَـحـمُـمـون حَـوْزَةَ الآدابِ
أيـن أخـلاقُـك الـرضـيَّـة حـالـت فـيّ أم أيـن رِقَّـةُ الـكُـتَّـابِ

(١) المأقط ـ بكسر القاف ـ : المضيق في الحرب، وقال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة:

نَـجِـيـحٌ مَـلـيـحٌ أخُـو مـأقـطٍ نِـقَـابٌ يـحـدّثُ بـالـغـائـبِ

أنا في ذمَّة السَّحاب وأظمأ! إنَّ هذا لوصمةٌ في السَّحاب
قُمْ إلى سيِّدِ البرية عَنِّي قومةً تَسْتَجِرُّ حسنَ خِطابِ
فلعلَّ الإلٰهَ يُطْفِئُ عَنِّي بِكَ ناراً عليَّ ذاتَ التِهابِ
[الخفيف]

قال: فلم يزل عمرو يَلطُف للمأمون حتى أوصله إليه وأدرّ أرزاقَه.

حدَّثني الصُّوليّ قال: حدّثني عَوْن بن محمّد قال: حدّثني الحسين بن الضحَّاك قال:

غضب المعتصم عليّ في شيء جرى على النبيذ، فقال: واللَّه لأؤدِّبنّه وحجبني أياماً. فكتبت إليه:

غَضَبُ الإمام أشَدُّ من أدَبِه وقد استَجَرْتُ وعُذْتُ مِنْ غَضَبِه
أصبَحْتُ مُعْتَصِماً بِمُعْتَصِم أثنى الإلٰهُ عليه في كُتُبِه
لا والذي لم يُبْقِ لي سبباً أرجو النجاةَ به سوى سببه
ما لي شفيع غير حرمته ولكلِّ من أشفى على عَطَبه
[الكامل]

قال: فلمَّا قُرِىء عليه التفت إلى الواثق ثم قال: بمثل هذا الكلام، يُستَعطَف الكرام؛ ما هو إلا أن سمعتُ أبياتَ حسين هذه حتى أزالتْ ما في نفسي عليه. فقال له الواثق: هو حقيقٌ بأن يُوهَب له ذنبه ويُتجاوزَ عنه. فرضي عنّي وأمر بإحضاري.

[هجا العباس ابن المأمون]

قال الصوليّ: فحدّثني الحسين بن يحيى أنّ هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم؛ لأنه بلَغه عنه أنه مدَح العبَّاسَ بن المأمون وتمنَّى له الخلافةَ، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يَدَي الواثق فأوصلها وشفَع له فرضِي عنه وأَمّنه فظهر إليه، وهجا العبّاسَ بن المأمون فقال:

خَلِّ اللَّعينَ وما اكتَسَبْ لا زال مُنْقَطِعَ السَّبَبْ
يا عُرَّةَ الثَّقَلَيْن لا دِيناً رَعَيْتَ ولا حَسَب
حَسَدُ الإمامِ مكانَه جهلاً حَذاكَ[1] على العَطَب
وأبوك قَدَّمَه لها لما تَخَيَّر وانتخب

(١) حذاك على العطب: جعلك محاذياً له يريد أنه قادك إليه وأوقعك فيه.

مـا تـسـتـطـيـع سـوى الـتـنـفـ ـفُـس والـتـجـرُّع لـلـكـرب
مـا زِلْـتَ عـنـد أبـيـك مُـنْـ ـتَـقَـصَ الـمـروءةِ والأدبِ
[مجزوء الكامل]

[مع صالح بن الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات وابن مهرويه قالا:

كنّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضحَّاك وذلك في خلافة المأمون، وكان صالح يهوَى خادماً له؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنحَّى عنه، وكان جالساً في صَحنٍ حوله نَرجِس في قمر طالع حسنٍ؛ فقال للحسين: قُل في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنّي فيها عمرو بن بانة. فقال الحسين:

صـوت

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أني وما أراك أراكا
وإذا ما تنفس النرجس الغضْـ ـضُ توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللني فيك بإشراق ذا ونفحة ذاكا
لأدومن يا حبيبي على العهـ ـد لهذا وذاك إذ حكياكا[1]
[الخفيف]

قال عمرو: فقال لي صالح: تغنَّ فيها، فتغنَّيتُ فيها من ساعتي.

لحنُ عمرو في هذه الأبيات ثقيلٌ بالبنصر من روايته.

وقد حدّثني بهذا الخبر عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال: حدّثني عبيد اللَّه بن زكريا الضرير قال: حدّثنا الجَمّاز عن أبي نُواس قال:

(١) تنسب هذه الأبيات للأمين العباسي، وهو محمد بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. خليفة عباسي، ولد في رصافة بغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (١٩٣ هـ) بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة (١٩٥ هـ) أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشاً، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصاراً طويلاً انتهى بقتل الأمين. وقد كان الأمين، أبيض طويلاً سميناً، جميل الصورة، شجاعاً أديباً رقيق الشعر مكثراً من إنفاق الأموال، سيئ التدبير، يؤخذ عليه انصرافه إلى اللَّهو ومجالسة الندماء.

كنت أَتعشَّق ابناً للعلاء يقال له محمد، وكان حسين يتعشَّق خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يُسْر؛ فزارني يوماً فسألتُه عنه فقال: قد كاد قلبي أن يسلُوَ عنه وعن حبّه. قال: وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليّ وفي يده نرجسٌ، فجلسنا نشرب وطلع القمر؛ فقلت له: يا حسين أيّما أحسن القمر أم محمد؟ فأطرق ساعةً ثم قال: اسمع جوابَ الذي سألتَ عنه:

وصَفَ البدرُ حُسنَ وَجهكَ حتَّى ... خِلتُ أنِّي وما أراكَ أراكا
وإذا ما تَنَفَّسَ النَّرجِسُ ... الغَضُّ تَوَهَّمتُه نسِيمَ شَذاكا
وأخال الذي لَثَمتَ أنيسي ... وجليسي ما باشرتْه يداك
فإذا ما لثَمتُ لَثْمَكَ فيه ... فكأني بذاك قبَّلْتُ فَاكَ
خُدَعٌ لِلمُنى تُعَلِّلني فيـ ... ـكَ بإِشراقِ ذا ونفحةِ ذاكا
لأُقيمنَّ يا حَبيبي على العهـ ... ـدِ لهذا وذاك إذ حَكَياكَا

[الخفيف]

قال: فقلت له: أحسنتَ واللَّه ما شئتَ! ولكنّك يا كَشْخان[1] هو ذا تقدِر أن تقطع الطريق في عملي! فقال: يا كشخان أَوَ شعري الذي سمعتَه في حاضرٍ أم بذكر غائبٍ! واللَّهِ للنّعْلُ التي يطأ عليها يُسْرٌ أحسنُ عندي من صاحبك ومن القمر ومن كلّ ما أنتم فيه.

[مدح المتوكل]

أخبرني عليّ بن العباس قال: حدّثني أحمد بن سعيد بن عَنبَسة القُرَشِيّ الأُمويّ قال: حدّثني عليّ بن الجَهم قال:

دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس في صحن خُلْده[2] وفي يده غصنُ آسٍ وهو يتمثَّل بهذا الشعر:

بالشَّطِّ لي سَكَنٌ أفدِيه من سَكَنِ ... أهدى من الآسِ لي غُصْنَين في غُصُن
فَقُلْتُ إذ نُظِما إلفين والتَبسا ... سَقْياً ورَعْياً لفألٍ فيكما حَسَن
فالآسُ لا شَكَّ آسٍ من تشوّقنا ... شافٍ وآسٍ لنا يبقى على الزمن
أبشرتُماني بأسبابٍ ستَجْمَعُنا ... إنْ شاء ربي ومهما يَقضِه يَكُن

[البسيط]

---

(١) الكشخان (بالفتح وبكسر): الديوث، وهو دخيل في كلام العرب.
(٢) الخلد: قصر للمنصور العباسي على شاطئ دجلة توارثه أبناؤه من بعده.

قال: فلما فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أنشقّ حسداً: لمن هذا الشعر يا عليّ؟ فقلت: للحسين بن الضحَّاك يا سيّدي. فقال لي: هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحُهم مذهباً وأظرفُهم نَمَطاً. فقلت وقد زاد غيظي: في الغزل يا مولاي. قال: وفي غيره وإن رَغِم أنفُك ومتَّ حسداً. وكنتُ قد مدحتُه بقصيدة وأردت إنشادَها يومئذٍ فلم أفعل، وعلمتُ أنّي لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة، فأخّرتُها إلى وقت آخر.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبي قال: حدّثني أبي قال:

أحبّ المتوكل على اللّه أن يُنادمه حسينُ بن الضحَّاك وأن يرى ما بَقِي من شهوته لما كان عليه؛ فأحضره وقد كبِر وضَعُف، فسقاه حتى سكِر، وقال لخادمه شَفيع: اسقِه، فسقاه وحيَّاه بوردةٍ، وكانت على شفيع ثيابٌ مورَّدة؛ فمدّ الحسينُ يدَه إلى ذراع شَفيع. فقال له المتوكل: يا حسين، أَتُجَمِّشُ[1] أخصَّ خَدَمي عندي بحضْرتي! فكيف لو خلوتَ! ما أحوجك إلى أدب وقد كان المتوكل غمَز شفيعاً على العبث به. فقال الحسين: يا سيّدي، أريد دواةً وقرطاساً، فأمر له بذلك؛ فكتب بخطِّه:

وَكَالوَرْدَةِ الحمراء حيَّا بِأَحمَرٍ ... مِنَ الوردِ يمشي في قَراطِقَ[2] كالورد
له عَبَثَاتٌ عند كلِّ تحيَّةٍ ... بعينيه تَسْتَدعي الحليمَ إلى الوَجد
تَمَنَّيتُ أن أُسقى بكفَّيه شَرْبَةً ... تذكِّرُني ما قد نَسِيتُ من العهد
سقى اللَّه دهراً لم أبِتْ فيه ليلةً ... خَلِيًّا ولكن من حبيب على وعد

[الطويل]

ثم دفع الرقعةَ إلى شفيع وقال له: ادفَعها إلى مولاك. فلما قرأها استملحها وقال: أحسنتَ واللّه يا حُسين لو كان شفيع ممن تجوز هبتُه لوهبتُه لك، ولكن بحياتي إلا كنتَ ساقيه باقيَ يومه هذا واخدُمْه كما تخدُمني؛ وأمر له بمال كثير حُمِل معه لما انصرف. قال أحمد بن يزيد: فحدّثني أبي قال: صِرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام، فقلت له: وَيلك! أتدري ما صنعتَ؟ قال: نعم أدري، وما كنتُ لأدَعَ عادتي بشيء؛ وقد قلتُ بعدك:

---

(١) الجمش والتجميش: ضرب من المغازلة والملاعبة.
(٢) القرطق: قباء ذو طاق واحد.

صوت

لا رَأى عَطفَةَ الأحِبْبَةِ مَنْ لا يُصَرِّحُ ... أَصْغَرُ الساقَيْنِ أَشكَلُ عِنْدي وأَمْلَحُ
لو تراه كالظبي يَسْنح حيناً ويَبْرَح ... خِلْتَ غُصْناً على كثيبٍ بِنَوْرٍ يُرشّحُ

[مجزوء الخفيف]

غنّى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر.

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ وقال: حدّثني محمد بن أبي عَون قال: حضرتُ المتوكل وعنده محمد بن عبد اللَّه بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضحَّاك للمنادمة، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه، فسقاه وحيَّاه بتفَّاحة عنبر. وقال لحسين: قل في هذا شيئاً؛ فقال:

وَكالدُّرة البيضاءِ حيَّا بِعنبرٍ ... وكالوردِ يمشي في قَراطِقَ[1] كالورد
له عَبَثَاتٌ عند كلِّ تحيَّةٍ ... بعينيه تَسْتَدعي الحليمَ إلى الوَجد
تَمَنَّيتُ أن أُسقى بكفَّيه شَرْبَةً ... تذكِّرُني ما قد نَسِيتُ من العهد
سقى اللَّه دهراً لم أبِتْ فيه ليلةً ... خَلِيًّا إلا من حبيب على وعد

[الطويل]

فقال المتوكل: يُحمل إلى حسين لكل بيت مائةُ دينار. فالتفتَ إليه محمد بن عبد اللَّه بن طاهر كالمتعجِّب وقال: لم ذاك يا أمير المؤمنين! فواللَّه لقد أجاب فأسرع، وذكّر فأوجع، وأطرَب فأمتع؛ ولولا أنّ يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاءَ ولو أحاط بالطارف والتالد. فخجِل المتوكل وقال: يُعطى حسين بكلّ بيت ألفَ دينار. وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكوكَبيّ قال: حدّثنا بِشْر بن محمد قال: وحدّثني علي بن الجَهْم: أنه حضر المتوكّل وقد أمر شفيعاً أن يسقيَ حسينَ بن الضحَّاك؛ وذكر باقيَ الخبر نحوَ ما مضى من رواية غيره.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدَّثني محمد بن يزيد المبرّد، وحدّثني عمي قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: أخبرني محمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرومي قال: اجتمع حسين بن الضحَّاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف

(١) القرطق: قباء ذو طاق واحد.

الهاشميّ فاحتبسهما عنده. وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مُقحم، وكان عمرو بن بانة يتعشَّقه ويُسِرّ ذلك من ابنِ شغوف. فلمّا أكلوا ووُضع النبيذُ قال عمرو بن بانة للحسين: قل في مُقحمٍ أبياتاً أُغنِّ فيها الساعةَ. فقال الحسين:

وا بـأبـي مُـقـحَـمٌ لـعـزَّتـه قـلـتُ لـه إذا خـلـوتُ مُـكـتـتِـمـا
تُـحِـبُّ بـالـلَّـه مـن يَـخـصُّـكَ بـالـ ودٍّ فـمـا قـال لا ولا نـعـمـا[1]

[المنسرح]

وغنّى فيه عمرو. قال: فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال: إسحاق الموصليّ بالباب؛ فقال له عمرو: أَعفِنا من دخوله ولا تنغِّص علينا ببُغضه وصَلَفه وثِقَلِه ففعل؛ وخرج الحاجب فاعتلّ على إسحاق حتى انصرف، وأقاموا يومَهم وباتوا ليلتَهم عند ابن شغوف. فلما أصبحوا مضى الحسينُ بن الضحَّاك إلى إسحاق فحدّثه الحديثَ بنصّه. فقال إسحاق:

يـابـن شَـغـوفٍ أمـا سـمـعـتَ بـمـا قـد صـارَ فـي الـنـاس كـلِّـهـم عَـلـمَـا
دعـوتَ عـمـراً فـبـاتَ لـيـلَـتَـهُ فـى كـلِّ مـا يـشـتـهـي كـمـا زَعَـمـا
حـتـى إذا مـا الـظـلامُ ألـبـسـهُ سـرَى دَبِـيـبـاً فـجـامَـعَ الـخَـدَمـا
ثـمّـتَ لـم يَـرضَ أن يُـضـاجـعـهـم سـرًّا ولـكـن أبـدَى الـذي كَـتَـمـا
ثـم تـغـنَّـى لـفـرط صَـبْـوتـه صـوتـاً شـفـى مـن غَـلـيـلِـهِ الـسَّـقَـمـا
«وا بـأبـي مُـقـحـم لـعـزَّتِـهِ قُـلْـتُ لـه إذ خـلـوت مُـكْـتَـتِـمـا
تـحـبّ بـالـلَّـه مـن يـخـصّـك بـالـ ـودِّ فـمـا قـال لا ولا نـعـمـا[2]

[المنسرح]

قال: وشاعت الأبياتُ في الناس وغنّى فيها إسحاق أيضاً فيما أظن، فبلغت ابنَ شغوف فحلفَ ألا يُدخلَ عمراً دارَه أبداً ولا يكلِّمه، وقال: فضَحني وشهَرني وعرّضني للسان إسحاق، فمات مهاجراً له. وقال ابن أبي سعد في خبره: إن إسحاق غنّى فيها للمعتصم، فسأله عن خبرها فحدّثه بالحديث، فضحك وطرِبَ وصفَّق؛ ولم يزل يَستعيد الصوتَ والحديثَ وابنُ شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام.

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مُقحم من الثقيل الثاني بالوسطى.

---

(١) هذه الأبيات تنسب إلى إسحاق الموصليّ.
(٢) هذه الأبيات تنسب إلى إسحاق الموصليّ.

[أشعر الناس في الغزل]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلحة قال: حدّثني محمد بن موسى بن حَمَّاد قال: سمعت مَهدِيّ بن سابِق يقول:

التقى أبو نُوَاس وحسين بن الضحَّاك، فقال أبو نواس: أنت أشعر أهل زمانك في الغزل؛ قال: وفي أيّ ذلك؟ قال: ألا تعلم يا حسين؟ قال: لا؛ قال: في قولك:

وا بأبي مُقحم لعزَّتِهِ ... قُلْتُ له إذ خلوت مُكْتَتِما
تُحِبُّ باللَّه من يَخصُّكَ بالـ ... ـودِّ فما قال لا ولا نعما
ثم تولَّى بمقلتَي خَجِلٍ ... أراد رَجْعَ الجوابِ فاحتشما
فَكُنْتُ كالمبتغِي بِحِيلَتِهِ ... بُرءاً من السُّقْم فابتدا سَقَما

[المنسرح]

فقال الحسين: ويحك يا أبا نُوَاس! فأنت لا تفارق مذهَبك في الخمر البتَّةَ، قال: لا واللَّه، وبذلك فضَلْتُك وفضَلْتُ الناسَ جميعاً.

أخبرني عليّ بن العباس قال: أنشدنا أبو العباس ثَعلَب قال: أنشدني حَمَّاد بن المبارَك صاحبُ حسين بن الضحَّاك قال: أنشدني حسين لنفسه:

لا وحُبِّيكَ لا أصا ... ح بالدَّمْعِ مَدْمَعَا
مَنْ بَكَى شَجْوَه استرا ... ح وإن كان مُوجَعا
كَبِدي من هواكَ أسـ ... ـقمُ من أن تَقَطَّعا
لم تَدَعْ سورةُ الضَّنى ... فيَّ للسُّقمِ مَوْضِعا

[مجزوء الخفيف]

قال: ثم قال لنا ثَعلب: ما بَقي من يُحسن أن يقول مثل هذا.

أخبرني عليّ قال: حدّثني محمد بن الفَضل الأهوازيّ قال: سمعت عليّ بن العباس الروميّ يقول: حسين بن الضحَّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم. فقلت: حين يقول ماذا؟ فقال: حين يقول:

يا مُسْتَعِير سوالِف الخِشـ ... ـفِ اسمَعْ لحَلْفة صادقِ الحَلْفِ
إنْ لم أصِح ليلي: ويا حَربي ... ومن وجنتيكِ وفَترةِ الطَّرْفِ

فَـجَـحِـدْتُ ربـي فـضـلَ نِـعْـمَـتِـهِ وعـبـدتُـهُ أبـداً عـلـى حَـرْف[1]

[الكامل]

محبوبته فتن

أخبرني عليّ بن العباس الروميّ قال: حدّثني قتيبة عن عمرو السّكونيّ بالكوفة قال: حدَّثني أبي قال: حدّثني حسين بن الضحَّاك قال: كانت تألفني مغنّية، وتجيئني دائماً، وكنت أميل إليها وأستملحها، وكان يقال لها فِتَنُ. فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمَّى نُجْحاً، وكان بغيضاً شَرِسَ الخُلُق، فإذا جاء معها توقيتُه، فمرض، فجاءتني ومعها غيره، فبلغتُ منها مُرادي وتفرَّجتُ يومي وليلتي؛ فقلت:

لا تَـلُـمـنـي عـلـى فِـتَـنْ إنَّـهـا كـاسـمِـهـا فِـتَـنْ
فـإذا لـم أهِـمْ بـهـا فَـبِـمَـنْ! لا بـمـن إذَن
أيـن ـ لا أيـن ـ مـثـلُـهـا فـي جـمـيـع الـوَرى سَـكَـن!
طِـيـبُ نَـشـرٍ إذا لَـثَـمْـ ـتَ وغُـنْـج ومُـحْـتَـضَـن
والِ عَـشْـراً مـن الـصَّـبُـو حِ عـلـى وجـهِـهـا الـحـسـن
وعـلـى لَـفْـظِـهـا الـمُـنـوْ وِن لـلَّام بـالـغُـنَـن
لَـسـت أنـسـى مـن الـغَـريـ ـرة إذ بُـحْـت بـالـشَّـجَـن
قـولَـهـا إذ سـلـبـتُـهـا عـن كَـثـيـبٍ وعـن عُـكَـن:
لـيـس يُـرضـيـكَ يـا فـتـى مـن هـوًى دون أن تَـهِـن
فـامـتـزجـنـا مـعـاً مُـمـا زَجَـةَ الـرُّوحِ لـلـبـدن
وكُـفـيـنـا مـن أن نُـرا قِـبَ نُـجْـحـاً إذا فَـطَـن
وأمِـنَّـاه أن يـنـمْـ ـمَ ومـا كـان مـؤتَـمَـن
كـلّ مـا كـان مـن حـبـيـ ـبـك مُـسْـتَـظـرَفٌ حـسـن

[مجزوء الخفيف]

حدّثني جَحظة قال: حدَّثني أبو عبد اللَّه الهشاميّ:

أنّ مُخارقاً وحسين بن الضحّاك تَلَاحياً في أبي العتاهية، وأبي نُواس أيُّهما أشعر؛ فاتّفقا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخايرانِ فيه، فاختار الحسينُ بن الضحَّاك

(١) على حرف: مثل لمن يكون على قلق واضطراب في دينه لا على سكون وطمأنينة: كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر غنيمة فرّ واطمأن وإلا فرّ وطار على وجهه.

شيئاً من شعر أبي نواس جيّداً قويًّا لمعرفته بذلك، واختار مخارقٌ شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزَلاً كان يُغنّي فيه لا لشيء عرَفه منه إلا لأنه استملحه وغنّى فيه، فخايَر به لقلَّة علمه ولما كان بينه وبين أبي العتاهية من المودّة؛ وتخاطَرا[1] على مالٍ، وتحاكَما إلى من يَرتضيه الواثقُ باللَّه ويختاره لهما؛ فاختار الواثقُ لذلك أبا مُحَلِّم؛ وبعث فأحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكَم لحسين بن الضحَّاك. فتلكّأ مخارق وقال: لم أُحسِن الاختيارَ للشعر ولَحُسَينٌ أعلم منّي بذلك، ولأبي العتاهية خيرٌ مما اخترتُ، وقد اختار حسينٌ أجودَ ما قدَر عليه لأبي نُوَاس لأنه أعلم منّي بالشعر، ولكنَّا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدالُ؛ فتحاكما فحَكَم لأبي نُواس، وقال: هو أشعرُ وأذهبُ في فنون الشعر وأكثرُ إحساناً في جميع تصرّفه. فأمر الواثقُ بدفع الخطَر إلى حسين، وانكسر مخارق فما انتُفِع به بقيَّةَ يومه.

أخبرني ابنُ أبي طَلحَة قال: حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض قال: حدَّثني أبي قال: لمَّا اطرح المأمونُ حسينَ بن الضحَّاك لهواه ـ كان ـ في أخيه محمد وجفاه، لاذ الحسينُ بن الضحَّاك بالحسن بن سَهْل وطمع أن يُصلحه له؛ فقال يمدحه:

أَرَى الآمالَ غيرَ مُعَرِّجاتٍ ... على أحدٍ سوى الحسن بن سَهلِ
يُبارِي يومَهُ غَدُهُ سَماحاً ... كِلا اليومين بانَ بكلِّ فضلِ
أرى حَسَناً تَقَدَّم مُسْتَبِدًّا ... ببعدٍ من رياسته وقَبْل
فإنْ حَضَرتْك مُشْكِلَةٌ بِشَكٍّ ... شفاك بِحِكمةٍ وخطابِ فَصْلِ
سليلُ مَرازبٍ بَرَعوا حلوماً ... وراح صغيرُهم بسداد كهل
ملوكٌ إنْ جريتَ بهم أبرّوا ... وعَزّوا أن تُوازِنَهم بِعَدْلِ[2]
لَيَهنِك أن ما أرجأت رشدٌ ... وما أمضَيْتَ من قولٍ وفعل
وأنك مؤثِرٌ للحقّ فينا ... أراك اللَّه في قطعٍ ووصل
وأنَّك للجميع حيا ربيعٍ ... يصوب على قَرارة كلِّ مَحْل

[الوافر]

قال: فاستحسنها الحسن بن سهل، ودعا بالحسين فقرّبه وآنسه ووَصله وخلَع عليه ووَعده إصلاحَ المأمون له، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه ولِما عاجل الحسنَ من العلَّة.

(١) تخاطرا: تراهنا.
(٢) العدل: النظير.

قال عليّ بن العباس بن أبي طَلحة: وحدّثني أبو العباس أحمد بن الفضل المَروَزِيّ قال: سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضحَّاك: ما عَنَيتَ بقولك:

يا خَليّ الذَّرْعِ من شَجَني إنَّما أشكو لِتَرْحَمَني
[المديد]

قال: قد بينتُه؛ قال: بأي شيء؟ قال: قلت:

مَنْعُكَ الميسورَ يُؤيِسُني وقليلُ اليأسِ يَقْتُلُني
[المديد]

فقال له أبو محمد: إنك لتُضِيع بالخلاعة، ما أُعطِيتَه من البراعة.

[غلمانياته]

أخبرني عليّ بن العباس قال: حدَّثني أحمد بن القاسم المُرّيّ قال: حدّثنا أبو هفَّان قال: سألت حسينَ بن الضحَّاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه وبات عنده وكيف كان ابتداؤه، فقلت له: إني أشتهي أن أسمَعه منك. فقال لي: دخلتُ على الحسن بن سهل في فصل الخريف وقد جاء وَسْمِيٌّ من المطر فرَشّ رشًّا حسناً، واليومُ في أحسن منظَر وأطيبِه، وهو جالس على سرير آبِنُوس وعليه قُبّةٌ فوقها طارِمةٌ[1] ديباجٍ أصفر وهو يُشرِف على بستان في داره، وبين يديه وصائفُ يتردّدن في خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدّينار، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام، ونظر إليّ كالمستنطِق، فأنشأتُ أقول:

ألستَ ترى ديمةً تَهْطِلُ وهذا صباحُك مُسْتَقبَلُ
[المتقارب]

فقال: بَلى. فقلت:

وتلك المُدامُ وقد شاقنا برؤيتِهِ الشادنُ الأكحلُ
[المتقارب]

فقال: صدقت فمَهْ؛ فقلتُ:

فعادَ به وبنا سَكْرَةٌ تُهوِّن مكروهَ ما نَسْأَلُ
[المتقارب]

---

(١) الطارمة في الأصل: بيت من خشب كالقبة، وهو دخيل أعجميّ معرّب. والمراد به هنا ستر رقيق من الديباج مظلل به الكرسي.

فسكت. فقلت:

فإنِّي رأيْتُ لَه نظرةً تُخْبِّرُني أنَّه يفعلُ

[المتقارب]

ثم قال: مَهْ، فقلت:

وَقَد أشكلَ العيشُ في يومِنا فيا حبَّذا عيشُنا المُشكِلُ

[المتقارب]

فقال: العيش مشكِل، فما ترى؟ فقلت: مبادَرَةُ القَصْف وتقريبُ الإلف. قال: على أن تقيم معنا وتبيتَ عندنا. فقلت: له: لك الوفاء وعليك مثله لي من الشرط. قال: وما هو؟ قلت: يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني. فضحك ثم قال: ذلك لك على ما فيه. ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحاً. ولم أرَ الغلامَ، فسألتُ عنه فقال لي: الساعةَ يجيء، فلم نلبث أن وافاني؛ فسألته أين كان؟ فقال: كنت في الحمّام وهو الذي حبسني عنك. فقلتُ لوقتي:

وا بأبي أبيضُ في صُفْرةٍ كأنَّه تِبْرٌ على فضّه
جرَّدَه الحمَّامُ على دُرَّةٍ تلوح فيها عُكَنٌ بَضَّه
غُصْنٌ تَبدَّى يتثنَّى على مَأْكَمَةٍ[1] مُثْقَلَةِ النَّهضَه
كأنَّما الرَّشُّ على خَدِّهِ طَلٌّ على تُفَّاحةٍ غَضَّه
صفاتُهُ فاتنةٌ كلُّها فبعضه يُذكِرُني بعضَه
يا ليتني زوَّدني قُبْلةً أو لا فَمِن وَجنته عَضّه

[السريع]

فقال لي الحسن: قد عمل فيك النبيذُ، فقلتُ: لا وحياتِك! فقال: هذا شرٌّ من ذلك. فقلت:

اسقِيانِي وصَرِّفا بِنْتَ حولين قَرْقَفَا
واسقِيا المُرهَف الغَرير سقى اللَّه مُرْهَفا
لا تقولا نراه أكلفَ[2] نِضْواً مُخَفَّفا
نِعْم ريحانةُ النديم وإن كان مُخطَفا[3]

(١) المأكمة: العجيزة.

(٢) كَلِفَ وجهه يكلفُ كلفاً. وبعير أَكلَفُ، وبه كُلفة، كل هذا في الوجه خاصة، وهو لون يعلو الجلد فيغير بشرته.

(٣) مخطف: قليل لحم الجنب.

إنْ يَـكُـنْ أكـلـفـاً فـ ـإنِّـي أرى الـبـدرَ أكـلَـفـا
بـأبـي مـاجـنُ الـسـريـ ـرةَ يُـبْـدِي تَـعَـقُّـفـا
حَـفَّ أصـداغَـهُ وعَـقْـ ـر بـهـا ثـم صـفَّـفـا
وحـشـا مَـدرَجَ الـقُـصـا صِ[1] بـمـسـك ورصَّـفـا
فـإذا رُمْـتَ مـنـه ذا كَ تـأبَّـى وعَـنَّـفـا
لـيـس إلاَّ بـأن يُـرنِّـ ـحـه الـسُّـكْـرُ مُـسْـعِـفـا
بـاكِـرا لا تـسـوِّفـا نـي عَـدِمْـتُ الـمُـسـوِّفـا
أعـجِـلاه وبـالـفُـضـا ضـةِ[2] فـي الـسَّـقْـي فـاعـنُـفـا
واحـمِـلا شَـغْـبَـه وإنْ هـو زَنَّـى[3] وأفـفـا
فـإذا هَـمّ لـلـمـنـا مِ فَـقُـومَـا وخَـفِّـفـا

[مجزوء الخفيف]

فتغاضَبَ الغلامُ وقام فذهب، ثم عاد فقال لي: أقبِلْ على شرابك ودَعِ الهذيان. ونَاوَلَني قدحاً. وقام أبو محمد ليبولَ، فشربتُ وأعطاني نُقْلاً فقلتُ: اجعلْ بدله قبلةً؛ فضحك وقال: أَفْعلُ، هذا وقتُه فبَدا له وقال: لا أفعل؛ فعاودتُه فانتهرني. فقال له خادم للحسن يقال له فَرَج: بحياتي يا بنيّ أسعِفْه بما طلب؛ فضحك ثم دنا منّي كأنّه يناولني نُقْلاً وتغافل فاختلستُ منه قبلةً؛ فقال لي: هي حرام عليك فقلت:

وبـديـع الـدَّلِّ قَـصْـريّ الـغَـنَـجْ مَـرِه[4] الـعـيـن كَـحِـيـل بـالـدَّعَـجْ
سُـمْـتُـهُ شـيـئًـا وأصـغَـيْـتُ لـه بـعـد مـا صَـرَّفَ كـأسـاً ومَـزَج
واسـتـخـفَّـتْـه عـلـى نَـشْـوتِـهِ نَـبَـراتٌ مـن خـفـيـفٍ وهَـزَج
فـتـأبّـى وتـثـنّـى خَـجَـلاً وذَرا الـدمـعَ فـنـونـاً ونَـشَـج
لـجَّ فـي «لـولا» وفـي «سـوف تـرى» وكـذا كَـفْـكَـف[5] عَـنِّـي وخَـلَـج[6]
ذهَـبَ الـلـيـلُ ومـا نَـوَّلَـنـي دونَ أن أسـفَـرَ صـبـحٌ وانـبَـلَـج
هَـوَّنَ الأمـرَ عـلـيـه فَـرَجٌ بـتـأتِّـيـه فَـسَـقْـيـاً لِـفَـرَج

(١) قصاص الشعر: نهاية منبته على الرأس ومنقطعه.
(٢) الفضاضة: آخر الشيء.
(٣) زنى: قَذَفَ وسبَّ.
(٤) مره العين: خلت العين من الكحل.
(٥) كفكف: كفّ وأعرض.
(٦) خلج: جذب وانتزع.

خَمِرُ النّكهة لا من قهوةٍ أرَّجَ الأصْداغَ بالمسكِ أرِج
وبنفسي نفسُ من قال وقد كان ما كان، حرامٌ وحَرَج
[الرمل]

قال: ثم أسفر الصبح. فانصرفتُ وعُدْتُ من غدٍ إلى الحسن؛ فقال لي: كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك؟ فقلت له: أأصف ذلك نثراً أم نظماً؟ فقال: بل نظماً فهو أحسن عندي، فقلت:

تألّفْتُ طَيفَ غزال الحَرَمْ فواصَلَني بعد ما قد صَرَم
وما زِلْتُ أقنَع مِنْ نَيْلِهِ بما تَجْتَنِيه بَنانُ الحُلُم
بِنَفْسِي خيالٌ على رِقْبَةٍ أَلَمَّ به الشوقُ فيما زَعَم
أتاني يُجَاذِبُ أردافَه من البُهْرِ تحت كسوف الظُّلَم
تَمُجّ سوالفُهُ مِسكةً وعنبرةً ريقُهُ والنَّسَم
تَضَمَّخَ من بعد تجميره[1] فَطَابَ من القَرْنِ حتى القَدَم
يقول ونازعْتُهُ ثوبَه على أن يقولَ لِشَيءٍ نَعَم
فَغَضَّ الجفونَ على خَجْلَةٍ وأعرضَ إعراضةَ المُحْتَشِم
فَشَبَّكتُ كَفِّي على كَفِّه وأصغَيْتُ ألثَمُ دُرًّا بِفَم
فَنَهْنَهَني دَفْعَ لا مُؤيسٍ بِجِدٍّ ولا مُطمِعٍ مُعْتَزِم
إذا ما هَمَمْتُ فأدنَيْتُهُ تَثَنَّى وقال ليَ الوَيلُ لِم
فَما زِلْتُ أبسُطه مَازِحاً وأُفرِطُ في اللَّهو حتى ابتسم
وحَكَّمَنِي الرّيمُ في نفسه بشيء ولَكِنّه مُكْتَتَم
فواهاً لذلك من طارقٍ على أن ما كان أبقى سَقَم
[المتقارب]

قال: فقال لي الحسن: يا حسين يا فاسق! أظنّ ما ادّعيتَه على الطَّيف في النوم كان في اليقَظَة مع الشخص نفسه، وأصلحُ الأشياء لنا بعد ما جرى أن نرحَض[2] العارَ عن أنفسنا بهبة الغلام لك، فخذه لا بُورك لك فيه! فأخذته وانصرفت.

حدّثني علي بن العباس قال: حدّثني أبو العَيْناء قال: أنشدني الحسين بن

(١) جمرته: إذا بخرته بالطيب.
(٢) نرحض: نغسل.

الضحّاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن، ثم لقيه بعد ذلك فسلّم عليه فلم يكلّمه الغلام؛ فقال:

فَدَيْتُكَ ما لوجهك صدَّ عنّي وأبدَيْتَ التنـدُّم بالسلام
أحين خَلَّيْتَني وقَرَنْتَ قلبي بِطَرْفِكَ والصَّبابة في نِظَامِ
تَنَكَّرَ ما عَهِدْتُ لِغبّ يوم فيا قُرْبَ الرَّضاع من الفِطام
لأسرعَ ما نَهَيْتَ إلى همومي سروري بالزيادة واللِّمام

[الوافر]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني حسين بن الضحَّاك الخليع قال:

كنت في المسجد الجامع بالبصرة، فدخل علينا أبو نُواس وعليه جُبَّةُ خَزّ جديدة. فقلت له: من أين هذه يا أبا نُواس؟ فلم يخبرني، فتوهّمت أنه أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بني تميم؛ فقُمت فوجدتُ موسى قد لبس جُبَّة خَزّ أخرى؛ فقلت له:

كيف أصبحتَ يا أبا عمران

فقال: بخير صبّحك اللَّه به. فقلت:

يا كريم الإخاء والإخوانِ

فقال: أسمعك اللَّه خيراً. فقلت:

إن لي حاجةً فَرَأيَكَ فيها إنني في قَضَائِها سِيَّانِ

[الخفيف]

فقال: هاتِها على اسم اللَّه وبركته. فقلت:

جُبَّةٌ من جبابك الخَزَّ حتى لا يَراني الشتاءُ حيث يراني

[الخفيف]

قال: خذها على بركة اللَّه، ومَدّ كمَّه فنزعتُها وجئتُ وأبو نواس جالس؛ فقال: من أين لك هذه؟ فقلت: من حيث جاءتك تلك.

أخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف قال: حدّثني محمد بن موسى بن حمَّاد قال: أخبرني عبد اللَّه بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضحَّاك قال:

دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومي دارَ المعتصم، فخرج علينا كالحاً. قال:

فتوهّمنا أنه أراد النِّكاح فعجز عنه. قال: وجاء إيتاخٌ[1] فقال: مخارقٌ وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب؛ فقال: اغرُب عنّي، عليك وعليهم لعنة اللَّه! قال: فتبسَّمت إلى محمد بن عمرو؛ وفهم المعتصم تبسُّمي فقال لي: ممّ تبسّمتَ؟ فقلت: من شيء حضَرني؛ فقال: هاتِه، فأنشدتُه:

صوت

انفِ عن قلبِكَ الحَزَن ... باقتِرابٍ من السَّكَن
وتَمَتَّع بِكَرٍّ طَرْ ... ف في وجهه الحَسَن
إنَّ فيه شفاءَ صد ... رك من لاعِجِ الحَزَن

[مجزوء الخفيف]

قال: فدعا بألفي دينار: ألفٍ لي وألفٍ لمحمد، فقلتُ: الشعر لي، فما معنى الألف لمحمد بن عمرو؟ قال: لأنه جاءنا معك. ثم أذِن لمُخارِق وعلويه فدخلا، فأمرهما بأن يغنّيا فيه ففعلا، فما زال يعيد هذا الشعر، ولقد قام ليبولَ فسمعته يردّده.

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعلّويه وهو من الثقيل الأول بالبنصر.

أخبرني عمي قال: حدّثني عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال:

كان الحسين بن الضحَّاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر، فرأى خادماً فاستحسنه وأعجبه. فقال له بعض أصحابه: أتحبّه؟ قال: نعم واللَّه؛ قال: فأعلِمْه؛ قال: هو أعلم بحبّي له منّي به. ثم قال:

عالمٌ بحبِّيهِ ... مُطْرِقٌ من التِّيهِ
يوسفُ الجمالِ وفر ... عونُ في تَعَدِّيه
لا وحقِّ ما أنا مِنْ ... عَطفِه أُرَجِّيه
ما الحياةُ نافِعَةٌ ... لي على تأبِّيه
النعيمُ يَشغَلُهُ ... والجمالُ يُطْغِيه

(١) هو إيتاخ التركي المعتصمي القائد كان غلاماً خزرياً لسلام الأبرش طباخاً، فاشتراه منه المعتصم، ثم رفعه ومن بعده الواثق وضما إليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة، وكان من أراد المعتصم أو الواثق قتله، فعنده كان يقتل وبيده يحبس، فقتل عجيفاً والعباس بن المأمون وابن الزيات الوزير وغيرهم.

فـهـو غـيـرُ مُـكْـتَـرِثٍ لـلـذي أُلاقِـيـه
تـائِـهٌ تُـزهِّـدُهُ فـيَّ رَغْـبَـتِـي فـيـه
[المقتضب]

قال محمد بن محمد: وغنّى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعَريبُ وسُلَيمٌ وجماعة من المغنّين.

حدّثني عمّي قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: كان للحسين بن الضحّاك صديق وكان يتعشّق جاريةً مغنّيةً، فزاحَمه فيها غلامٌ كان في مُروُدته حسنَ الوجه؛ فلما خرجتْ لحيتُه جعل ينتِف ما يَخرج منها؛ ومالت القَينةُ إليه لشَبابه، فشكا ذلك إلى الحسين بن الضحّاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال:

خَلِّ الذي عَنْكَ لا تَسطيعُ تَدْفَعُهُ يا من يُصارِعُ من لا شكّ يَصرَعُهُ
جاءَت طرائقُ شَعر أنت ناتفُها فكيف تَصْنَع لو قد جاء أجْمَعُهُ
اللَّه أكبر لا أنفَكُ مِنْ عَجَبٍ أأنت تَحْصُدُ ما ذو العرشِ يزرعُهُ
تَبًّا لِسَعْيك بل تَبًّا لِأُمِّك إذ تَرْعى حِمى خالقُ الأحماء يَمْنَعُهُ
[البسيط]

وقال فيه أيضاً:

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يابن يوسُفْ حَتَّامَ وَيْحَك أنت تَنْتِفْ
لو قد أتى الصَّيفُ الذي فيه رؤوس الناس تُكْشَف
فَكَشَفْتَ عن خَدَّيكَ لي لَكَشَفْتَ عن مثلِ المُفَوَّف[1]
أو مثل زَرْعٍ نالَه يَرَقان أو نَكباءُ حَرْجَف[2]
فَغَدا عليه الزارعو ن لِيَحْصُدوه وقد تَقَصَّف
فَظَلَلْتَ تأسف كالأُلى أسِفوا ولم يُغْن التأسُّف
[مجزوء الكامل]

حدّثني عليّ بن العباس قال: حدّثني عُمَير بن أحمد بن نَصْر الكوفيّ قال: حدّثني زيد بن محمد شيخنا قال: قلت لحسين بن الضحّاك وقد قدِم إلينا الكوفةَ: يا أبا عليّ شهَّرتَ نفسَك وفضحتها في خادم، فألّا اشتريتَه! فقال: فديتُك! إن الحبَّ

(١) يقال: برد مفوّف؛ برد فيه خطوط بيض على الطول.
(٢) الحَرْجَفُ: الريحُ الباردة.

لَجاجٌ كلّه، وكُنتُ أحببتُ هذا الخادمَ ووافقني على أن يَستبيع لأشتريَه، فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلسه منّي ولم أقدِر على الانتصاف منه، وآثرَه الخادمُ واختاره، وكِلانا يحبّه إلا أن صالحاً يُناك ولا أُناك والخادمُ في الوسط بلا شغل. فضحكتُ من قوله، ثم سألتُه شيئاً من شعره، فأنشدني:

إنَّ مـــن لا أرى ولـــيـــس يَـــرانـــي ... نُـصْـبَ عـيـنـي مُـمَـثَّـلٌ بـالأمـانـي
بـأبـي مـن ضـمـيـرُهُ وضـمـيـري ... أبـداً بـالـمـغـيـب يَـنْـتـجِـيـانِ
نـحـنُ شـخـصـانِ إن نَـظَـرْتَ ورُوحـا ... نِ إذا مـا اخـتـبـرتَ يـمـتـزجـانِ
فـإذا مـا هَـمَـمْـتُ بـالأمـر أو ... هَـمَّ بِـشَـيءٍ بـدأْتُـهُ وبَـدانِـي
كـان وَفْـقـاً مـا كـان مـنـه ومِـنِّـي ... فـكـأنِّـي حَـكَـيْـتُـهُ وحَـكَـانـي
خَـطَـراتُ الـجـفـون مِـنَّـا سَـواءٌ ... وسـواءٌ تَـحـرُّك الأبـدانِ

[الخفيف]

فسألته أن يحدّثني بأسرِّ يوم مرّ له معه، فقال: نعم اجتمعنا يوماً فغنّى مغنٍّ لنا بشعر قلتُه فيه فاستحسنه كلُّ من حضر، ثم تغنّى بغيره؛ فقال لي: عارِضه؛ فقلتُ: بقُبلةٍ، فقال: هي لك، فقبّلتُه قبلة وقلت:

فَـدَّيـت مـن قـال لـي عـلـى خَـفَـرِهْ ... وَغَـضَّ مِـنْ جَـفْـنِـهِ عـلـى حَـوَرِه:
سَـمَّـعَ بـي شـعـرُك الـمَـلـيـحُ فـمـا ... يَـنْـفَـكُّ شـادٍ بِـهِ عـلـى وَتَـرِه
حَـسْـبُـكَ بـعـضُ الـذي أذَعْـتَ ولا ... حَـسْـبَ لَـصـبٍّ لـم يـقـضِ مـن وَطَـرِه
وقُـلْـتُ يـا مـسـتـعـيـرَ سـالـفـةِ الـخِـشْـ ... ـفِ وحـسـن الـفُـتُـورِ مـن نَـظَـرِه
لا تُـنْـكِـرنَّ الـحـنـيـنَ مـن طَـرِبٍ ... عـاودَ فـيـك الـصِّـبـا عـلـى كِـبَـرِه

[المنسرح]

حدّثني الصُّوليّ وعليّ بن العباس قالا: حدّثنا المغيرة بن محمد المهلبيّ قال: كان حسين بن الضحّاك يتعشّق خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه؛ فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم، فجعل حسينٌ يشكو إليه ما به فلا يسمع به ويكذّبه، ثم سكن نِفارُه وضحك إليه وتحدّثا ساعة. فأنشدنا حسين قولَه فيه:

سـائـلْ بِـطَـيْـفِـكَ عـن لـيـلـى وعـن سَـهَـرِي ... وعـن تـتـابُـع أنـفـاسـي وعـن فِـكَـرَي
لـم يَـخْـلُ قَـلـبـي مـن ذِكـراكَ إذ نَـظَـرَتْ ... عـيـنـي إلـيـك عـلـى صَـحـوي ولا سـكـري
سَـقـيـاً لـيـوم سـروري إذ تُـنَـازِعُـنـي ... صـفـوَ الـمـدامـةِ بـيـن الأُنـسِ والـخَـفَـرِ

وفَـضْـلُ كـأسِـكَ يـأتـيـنـي فـأشـربُـهُ جَـهْـراً وتَـشْـرَبُ كـأسِـي غَـيْـرَ مُـسْـتَـتِـرِ
وَكَـيْـفَ أشـمِـلـهُ لَـثْـمِـي وأُلْـزِمُـهُ نَـحـري وتـرفَـعُـهُ كَـفِّـي إلـى بـصـري
فَـلَـيْـتَ مـدّةَ يـومـي إذ مـضـى سَـلَـفـاً كـانـت ومـدَّةَ أيـامـي عـلـى قَـدَرِ
حـتـى إذا مـا انـطـوت عَـنَّـا بـشـاشـتُـهُ صِـرْنـا جـمـيـعـاً كـذا جـارَيـن فـي الـحُـفَـرِ

[البسيط]

حدّثني عمي قال: حدّثني عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال: حدّثني حسين بن الضحّاك قال: كان صالح بن الرشيد يتعشَّق غلاماً يسمّى يُسراً خادمَ أخيه أبي عيسى، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدُه ولا يَفِي له. فأرسله أبو عيسى ذاتَ يوم إلى صالح أخيه في السّحَر يقول له: يا أخي إني قد اشتهيتُ أن أصطبحَ اليوم، فَبحياتي لَماّ ساعدتَني وصرْتَ إليّ لنصطبحَ اليوم جميعاً. فسار يُسْرٌ إلى صالح أخيه في السَّحَر وهو مُنتَش قد شرب في السَّحَر، فأبلغه الرسالةَ؛ فقال: نعم وكرامة، اجلس أوّلاً فجلس؛ فقال: يا غلام أحضِرني عشرة آلاف درهم فأحضرها؛ فقال له: يا يُسر دَعني من مواعيدك ومَطلك، هذه عشرةُ آلاف درهم فخُذها واقضِ حاجتي، وإلا فليس ها هنا إلا الغَصْب، فقال له: يا سيّدي؛ إنّي أقضي الحاجةَ ولا آخذ المال. ثم فعل ما أراد وطاوَعه، فقضى حاجته، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه. قال الحسين: ثم خرج إليّ صالح من خَلْوته فقال: يا حسين، قد رأيتَ ما كنّا فيه، فإن حضرك شيءٌ فقل؛ فقلت:

صـوت

أَيـا مَـن طَـرفُـهُ سِـحْـرُ وَمَـن ريـقـتـه خـمْـرُ
تَـجـاسَـرتُ فَـكـاشَـفـتُـ ـكَ لَـمّـا غُـلِـبَ الـصَّـبـرُ
وَمـا أَحـسَـنَ فـي مِـثـلِـ ـكَ أَن يَـنـهَـتِـكَ الـسِّـتـرُ
وإن لامـنِـيَ الـنـاسُ فَـفـي وَجـهِـكَ لـي عُـذرُ
فَـدَعـنـي مِـن مَـواعـيـدِ كَ إذ حـيَّـنـكَ الـدَّهـرُ
فَـلا وَالـلَّـهِ لا تَـبـرَ حُ أو يـنـقـضـي الأَمـرُ
فَـإمّـا الـغَـضَـبُ وَالـذَّمُّ وَإمّـا الـبَـذْلُ وَالـشُّـكـرُ
ولـو شِـئْـتَ تَـيَـسَّـرت كـمـا سُـمِّـيـتَ يـا يُـسْـر
وكُـنْ كـاسـمـك لا تـمـنـ ـعُـكَ الـنَّـخْـوَةُ والـكِـبـرُ

فَـــلا فُـــزْتُ بـــحـــظِّـــي مـــنـــ ـك إن ذاع لـــــــــه ذكـــــــــر[١]

[الهزج]

قال الحسين: فضحك ثم قال: قد لعَمْري تيسَّر يُسْر كما ذكرتَ. فقلت: نعم ومَن لا يتيسَّر بعد أخذه الدِّيَةَ! لو أردتَني أيضاً بهذا لتيسَّرتُ. فضحك ثم قال: نُعطيك يا حُسين الدِّيَةَ لحضورك ومساعدتِك، ولا نُريدك لما أردنا له يُسْراً، فبئسَتَ المطيَّةُ أنت؛ وأمر لي بها. ثم أمر عَريبَ بعد ذلك فغنَّتْ في بعض هذا الشعر.

حدّثني عمّي قال: حدّثني عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال: حدّثني حسين بن الضحَّاك قال:

كنتُ عند عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع وهو مصطبحُ وخادمٌ له يَسقيه، فقال لي: يا أبا عليّ، قد استحسنتُ سَقْيَ هذا الغلام، فإن حضرك شيءٌ في قصَّتنا هذه فقل؛ فقلت:

أحْـيَـتْ صـبُـوحِـي فُـكـاهـةُ الـلَّاهـي وطـابَ يـومِـي لِـقُـربِ أشـبـاهـي
فـاسـتَـثِـر الـلَّـهـوَ مـن مَـكـامِـنِـه مِـنْ قـبـلِ يـومٍ مُـنَـغِّـصٍ نـاهـي
بـابـنـةِ كَـرْمٍ مـن كـفّ مُـنْـتَـطِـق مُـؤتَـزِرٍ بـالـمُـجُـونِ تَـيَّـاهِ
يَـسْـقِـيـكَ مـن طَـرْفِـهِ ومـن يـدِهِ سَـقْـيَ لـطـيـفٍ مُـجَـرِّبٍ داهـي
كـأسـاً فـكـأسـاً كـأنَّ شـاربَـهـا حـيـرانُ بـيـن الـذَّكـورِ والـسـاهـي

[المنسرح]

قال: فاستحسنه عبد اللَّه، وغنّى فيه لحناً مليحاً، وشربنا عليه بقيَّةَ يومنا.

أخبرني عليّ بن العباس قال: حدّثني سوادةُ بن الفَيض المخزوميّ قال: حدّثني أبي قال: خرج حسين بن الضحَّاك إلى القُفْص[٢] متنزِّهاً ومعه جماعةٌ من إخوانه ظرفاء. وبلَغ يُسراً الخادمَ خروجُه، فشدّ في وسَطه خَنجراً وخرج إليه فجاءه وهو على غَفلة؛ فسُرّ به حسين وتلقّاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان. فلما سكِرا جمَّشَه حسين؛ فأخرج خَنجَره عليه وعَربَد؛ فأمسك حسينٌ وعاد إلى شرابه، وقال في ذلك:

جَـمَّـشـتُ يُـسْـراً عـلـى تـسـكُّـرِهِ وَقَـدْ دَهَـانـي بِـحُـسْـنِ مـنـظَـرِهِ
فَـهَـمَّ بِـالـفـتـكِ بـي فـنـاشَـدَهُ فـيَّ كـريـمٌ مـن خـيـرِ مَـعْـشَـره

(١) هذه القصيدة تنسب إلى أبي نواس.

(٢) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد، وكانت من مواطن اللَّهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح، تنسب إليها الخمور الجيدة.

يـا مَـنْ رَأى مـثـلَ شـادِنٍ خَـنِـث ... يَـصُـولُ فـي خِـدْرِهِ بـزُوَّرِهِ
يَسْحَبُ ذيلَ القميص صَعتَرَه[١] ... وواردات[٢] مـن هُـدْبِ مِـئْـزَرِهِ
ولا يُـعـاطِـي نـديـمَـه قَـدحـاً ... إلا بـإبـهـامِـهِ وخِـنْـصَـرِهِ
أخـاف مـن كِـبـرِهِ بـوادِرَه ... أدالـنـي[٣] الـلَّـه مـن تَـكَـبُّـرِهِ
قـد قُـلْـتُ لِـلـشَّـرِبِ إذ بـدا فُـضُـلاً[٤] ... فـي رَيـطـتَـيـه[٥] وفـي مُـمَـصَّـرِه[٦]
ويـلِـي عـلـى شَـادِنٍ تَـوَعَّـدَنِـي ... بِـسَـلِّ سِـكِّـيـنِـه وخَـنْـجَـره
أمـا كـفـاه مـا حَـزَّ فـي كـبـدي ... بِـسِـحـر أجـفـانِـهِ ومَـحـجِـرِهِ[٧]
إذا نـسـيـم الـريـاح قـابـلـنـا ... بـالـطـيـب مـن مـسـكـه وعـنـبـره
هـز قـوامـاً كـأنـه غـصـن ... وارتـج مـا انـحـط مـن مُـخَـصَّـرِه

[المنسرح]

أخبرني عليّ بن العباس قال: حدّثني سِوادةُ بن الفَيض قال: حدّثني أبي قال:

حضرت حسين بن الضحّاك يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدَّث ملياً ثمّ غازله حسينٌ، فقال له يسر: إيّاك والتعرّضَ لي، واربَحْ نفسك؛ فقال حسين:

صـوت

أيُّـهـا الـنَّـفَّـاثُ فـي الـعُـقَـدِ ... أنـا مَـطـوِيٌّ عـلـى الـكَـمَـدِ
إنَّـمـا زَخْـرَفـتَ لـي خُـدَعـاً ... قَـدَحَـتْ فـي الـرُّوحِ والـجَـسَـدِ
هـاتِ يـا خَـدَّاعُ واحـدةً ... مِـنْ كـثـيـرٍ قـلْـتَـه وقَـدِي[٨]
لَـيْـتَ شـعـري بـعـد حَـلْـفِـكَ لـي ... بِـوَفـاء الـعـهـدِ بَـعـد غـدِ
مـا الـذي بـالـلَّـه صَـيَّـرَهُ ... بَـعْـدَ قُـرْبٍ فـي مَـدَى الأبـدِ

(١) الصعتر: الشاطر، وصعتر الشيء زينه.
(٢) الواردات: المسترسلات.
(٣) أدال اللَّه فلاناً من فلان: جعل الكرة له عليه.
(٤) رجل فضل: يخالف بين طرفي ثوبه على عاتقه ويتوشحه.
(٥) الرَّيْطَةُ: المُلاءةُ إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لِفْقَيْنِ. والجمع رَيْطٌ ورِياطٌ.
(٦) الممصر: ما كان مصبوغاً فغسل.
(٧) المحجر: ما دار بها وبدا من البرقع من جميع العين.
(٨) قدي: حسبي.

ما لِأُنْسٍ كان مُبْتَذَلاً ... مِنْكَ لي بالأمس لم يَعُدِ
إيه قُلْ لي غيرَ مُحْتَشِمٍ ... هَلْ دَهَاني فيك من أَحَدِ
حَبَّذا والكأسُ دائرةٌ ... لَهْوُنا والصَّيدُ بالطَّرَدِ
وحديثٌ في القلوبِ لَهُ ... أُخَذٌ[1] يَصدَعْنَ في الكبدِ
يومَ تُعْطِيني وتأخذها ... دون نَدْماني يداً بيدِ
فإذا أَلْوَيْتُ[2] هَيَّجني ... تَلَعٌ[3] من ظبية البلدِ
وإذا أصغَيْتُ ذكَّرني ... نَشرَ كافورٍ على بَرَدِ
ذاك يومٌ كان حاسدُنا ... فيه معذوراً على الحَسَدِ

[المديد]

حدّثني الصوليّ قال: حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال: حدّثنا عمرو بن بانة قال: خرجنا مع المعتصم إلى الشام لمّا غزا؛ فنزلنا في طريقنا بدَير مُرّان[4] ـ وهو دير على تَلعةٍ[5] مشرِفة عاليةٍ تحتها مُروجٌ ومياهٌ حسنة ـ فنزل فيه المعتصم فأكل ونشِط للشرب ودعا بنا؛ فلمّا شربنا أقداحاً قال لحسين بن الضحَّاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد! فقال: لا أين يا أمير المؤمنين! واللَّه لبعضُ الغياض والآجام هناك أحسنُ من هنا؛ قال: صدقتَ واللَّه، وعلى ذلك فقل أبياتاً يُغَنِّ فيها عمرٌو؛ فقال: أمّا أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسَب لساني ينطق به، ولكني أقول متشوِّقاً إلى بغداد: ـ فضحك وقال: قلْ ما شئتَ ـ .

صوت

يا دَيرَ مَديانَ[6] لا عُرّيتَ مِن سَكَنٍ ... هَيَّجْتَ لي سَقَماً يا دَيرَ مِدْيانا
هَل عِندَ قُسِّكَ مِن عِلمٍ فَيُخبِرَنا ... أَم كَيفَ يُسعِفُ وَجهُ الصَّبرِ مَن بانا

(١) الأخذة: الرقية.
(٢) ألوى برأسه: أماله.
(٣) رجلٌ أَتْلَعُ بَيِّن التَّلَعِ، أي طويلُ العنق. وجيدٌ تَليعٌ، أي طويلٌ.
(٤) دير مران: بالقرب من دمشق، على تل في سفح قاسيون، وبناؤه بالجص الأبيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملون.
(٥) التلعة: الرابية المرتفعة من الأرض.
(٦) دير مديان: على نهر كرخايا قرب بغداد، وكان ديراً حسناً حوله بساتين وعمارة يقصد للتنزه والشرب.

حُـثَّ الـمُـدامَ فَـإنَّ الـكَـأسَ مُـتْـرَعَـةٌ مِـمّـا يَـهـيـجُ دَواعـي الـشَّـوقِ أَحـيـانـا
سَـقْـيـاً ورعـيـاً لِـكَـرْخـايـا[١] وسـاكِـنـهـا ولـلـجُـنَـيْـنَـةِ بـالـرَّوْحـاء[٢] مَـن كـانـا
[البسيط]

فاستحسنها المعتصم، وأمرني ومخارِقاً فغنّينا فيها وشرِب على ذلك حتى سكِر، وأمر للجماعة بجوائز.

لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رَمَل، ولحن مُخَارِق هَزَجٌ، ويقال: إنه لغيره.

أخبرني الصوليّ قال: حدّثنا يزيد بن محمد قال: كان حسين بن الضحّاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد؛ فعبِث به يوماً على سكر؛ فأخذ قِنينةً فضرب بها رأسه فشجَّه شَجَّةً مُنكرةً؛ وشاع خبرُه وتوجّع له إخوانه وعُولج منها مدّةً، فجفا الخادمَ واطّرحه وأبغضه ولم يَعرِض له بعدها. فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبِث به الخادمُ وغازَله. فلما أكثر ذلك قال له الحسين:

صـوت

تـعـزَّوْا بـيـأسٍ عـنْ هـوايَ فـإنَّـنـي إذا انـصـرفـتْ نـفـسِـي فـهـيـهـاتَ مِـنْ ردِّي
إذا خـنـتُـكـمْ بـالـغـيـبِ عـهـدِي فـمـا لـكـمْ تـدلُّـونَ إدلالَ الـمـقـيـمِ عـلَـى الـعـهـدِ
ولـي مِـنْـكَ بُـدٌّ فـاجـتـنـبـنـي مُـذَمّـمـاً وإن خـلـتَ أنِّـي لـيـس لـي مـنـك مـن بُـدّ
[الطويل]

الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانة، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل.

[تهنئته الواثق]

حدّثني أحمد بن العباس العسكريّ قال: حدّثني عبد اللَّه بن المؤمّل العسكري قال: لمّا وَلِيَ الواثقُ الخلافةَ جلس للناس ودخل إليه المهنِّئون والشعراء فمدحوه وهنّأوه؛ ثم استأذن حسينُ بن الضحَّاك بعدهم في الإنشاد، وكان من الجُلساء فترفّع عن الإنشاد مع الشعراء، فأذِن له؛ فأنشده قوله:

أكـاتِـم وَجْـدي فـمـا يَـنْـكَـتِـمْ بِـمَـنْ لـو شَـكَـوْتُ إلـيـه رَحِـمْ

(١) كرخايا: نهر يشق من المحوّل الكبير ويمرّ على العباسية، ويشق الكرخ، ويصب في دجلة، وكان قديماً عامراً وكان الماء فيه جارياً، ثم انقطعت جريته بالبثوق التي انفتحت في الفرات.
(٢) الروحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما أحد وأربعون ميلاً.

وإنِّي على حسن ظَنِّي بِهِ ... لأحذَر إن بُحْتُ أن يَحْتَشِم
ولي عند لَحْظته رَوْعَةٌ ... تُحَقِّق ما ظَنَّه المُتَّهِم
وَقَدْ عَلِمَ الناسُ أنِّي له ... مُحِبٌّ وأحسبه قد عَلِم

[المتقارب]

ـ وفي هذا رملٌ لعبد اللَّه بن العبّاس بن الرَّبيع:

وإنِّي لَمُغْضٍ على لوعةٍ ... من الشَّوق في كَبِدي تَضْطَرِمْ
عَشِيَّةَ وَدَّعتُ عَنْ مُقلةٍ ... سَفُوحٍ وزفرةِ قَلْبٍ سَدِمْ[1]
فما كان عند النَّوى مُسْعِدٌ ... سوى العين تَمْزُجُ دَمْعاً بِدَم
سَيَذْكُرُ من بان أوطانَهُ ... وَيَبْكِي المُقيمين من لم يُقِم

[المتقارب]

وقال فيها يصف السفينة:

إلى خازن اللَّه في خَلْقِهِ ... سِراجِ النَّهارِ وبَدْرِ الظُّلَمْ
رَحَلْنا غَرابيبَ[2] زفافةَ[3] ... بدجلة في موجها الملتطم
إذا ما قَصَدنا لقاطُولِها ... وَدُهْمُ قَراقِيرها[4] تَصْطَدِم
سكنَّا إلى خيرِ مَسكونةٍ ... تيمَّمَها راغِبٌ من أمَم[5]
مباركةٌ شاد بنيانها ... بخير المواطن خير الأمم
كأنَّ بها نَشرَ كافورةٍ ... لِبَرْد نَداها وطِيبِ النَّسم
كَظَهْرِ الأديم إذا ما السحا ... بُ صابَ على مَتْنِها وانسَجَم
مُبَرَّأة من وُحُول الشتاء ... إذا ما طَمَى وَحْلُهُ وارتكم
فما إنْ يزالَ بِها راجِلٌ ... يَمُرُّ الهُوَينى ولا يَلْتَطِمْ
ويمشي على رسله آمِناً ... سَليمَ الشِّراك نقيَّ القدم
وللنُّون والضَّبَ في بطنِها ... مراتِعُ مَسْكُونَةٌ والنَّعَم

(١) السَّدَمُ بالتحريك: الندَمُ والحُزن. وقد سَدِمَ بالكسر. ورجلٌ نادمٌ سادِم، وندمانُ سَدْمانُ.
(٢) غرابيب: السود، والمراد بها السفن لأنها تطلى بالقار.
(٣) زف الظليم وزفزف. وزفت الريح وزفزفت زفيفاً وزفزفة وهي سرعة الهبوب والطيران مع صوت، وريح زفزف، وزفزفته الريح: حركته. وبات مزفزفاً.
(٤) القُرْقُورُ، كعُصْفُورٍ: السَّفِينَةُ، أَو الطّويلة، أَو العظِيمةُ، والجمع القَرَاقِير.
(٥) أمم: قريب.

غَـدَوْتُ عـلـى الـوَحْـشِ مُـغْـتَـرَّةً رواتـعَ فـي نـورِهـا الـمُـنْـتَـظِـم
وَرُحْـتُ عـلـيـهـا وأسـرابُـهـا تـحـومُ بـأكـنـافِـهـا تَـبْـتَـسِـمْ
[المتقارب]

ثم قال يمدح الواثق:

يَـضِـيـقُ الـفـضـاءُ بِـهِ إن غـدا بِـطَـودَي أعـاريـبـه والـعَـجَـمْ
تَـرَى الـنـصـرَ يـقـدُم رايـاتـه إذا مـا خَـفَـقْـنَ أمـام الـعـلـم
وفـي الـلَّـه دَوَّخَ أعـداءه وجَـرَّدَ فـيـهـم سـيـوفَ الـنِّـقَـم
وفـي الـلَّـه يَـكْـظُـمُ مـن غـيـظـه وفـي الـلَّـه يَـصْـفَـحُ عَـمَّـن جَـرَم
رأى شِـيَـمَ الـجـود مـحـمـودةً ومـا شِـيَـمُ الـجـود إلَّا قِـسَـم
فَـرَاح عـلـى «نَـعَـمٍ» واغـتـدى كـأنْ لـيـس يُـحْـسِـنُ إلَّا نَـعَـم
[المتقارب]

قال: فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم، واتّصلت أيامُه بعد ذلك، ولم يزل من نُدَمائه.

حدّثني أحمد بن العباس قال: حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال: حدّثني مهديّ ابن سابق قال:

قال الواثق لحسين بن الضحّاك: قل الساعةَ أبياتاً مِلاحاً حتى أهَبَ لك شيئاً مليحاً، فقال: في أيّ معنى يا أمير المؤمنين؟ فقال: امدُدْ طَرْفك وقل فيما شئت مما ترى بين يديك وصِفْه. فالتفتُّ فإذا ببساط زهرُه قد تفتَّحتْ أنواره وأشرق في نور الصبح؛ فأرْتِجَ عليّ ساعة حتى خجِلتُ وضِقتُ ذَرْعاً. فقال لي الواثق: ما لك وَيحك! ألستَ ترى نُورَ صَباح، ونَوْر أقاح! فانفتح القولُ فقلت:

ألـسـتَ تـرى الـصـبـحَ قـد أسـفـرا ومُـبـتـكـرَ الـغـيـثِ قـدْ أمـطـرا
وأسـفـرتِ[1] الأرضُ فـي حُـلّـةٍ تُـضـاحـكُ بـالأحـمـرِ الأصـفـرا
ووافـاكَ نَـيـسـانُ فـي ورده وحَـثَّـكَ فـي الـشُّـربِ كـي تَـسـكَـرا
وتـعـمـلَ كـأسـيـنِ فـي فـتـيـةٍ تُـطَـارِدُ بـالأصـغـرِ الأكـبـرا
يَـحُـثُّ كـؤوسَـهـمُ مُـخـطَـفٌ تُـجـاذبُ أردافُـهُ الـمـئـزرا
تـرجّـلَ بـالـبـانِ حـتـى إذا أدارَ غـدائـرَهُ وفَّـرا

(١) ورد في بعض المصادر «أصحرت» بدل «أسفرت».

وفضَّضَ[١] في الجُلّنارِ[٢] البها ... رَ والآبنوسةَ[٣] والعبهرا[٤]
فلما تمازجَ ما شذّرت ... مَقاريضُ أطرافِهِ شَذَّرا
فكلٌّ ينافسُ في بِرِّهِ ... ليركبَ في أمرِهِ المُنكرا

[المتقارب]

قال: فضحك الواثقُ وقال: سنستعمل كل ما قلتَ يا حُسين إلا الفِسقَ الذي ذكَرته فلا ولا كرامةَ. ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه. ثم قال: قوموا بنا إلى حانَة الشَّطّ فقاموا إليها، فشرب وطرِب، وما ترك يومئذٍ أحداً من الجلساء والمغنّين والحَشم إلا أمر له بصلة. وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذُكرت في الآفاق. قال حسين: فلما كان من الغد غدوتُ إليه؛ فقال: أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلتَه في يومنا الماضي، فقد كان حسناً؛ فأنشدتُه:

صوت

يا حانَةَ الشَّطِّ قَد أَكرَمتِ مَثوانا ... عودي بِيَومِ سُرورٍ كَالَّذي كانا
لا تُفقِدينا دُعاباتِ الإمامِ وَلا ... طيبَ البَطالَةِ إسراراً وَإعلانا
وَلا تَخالُعَنا في غَيرِ فاحِشَةٍ ... إذا يُطَرِّبُنا الطُّنبورُ أَحيانا
وَهاجَ زَمرُ زُنامٍ[٥] بَينَ ذاكَ لَنا ... شَجواً فَأَهدى لَنا رَوحاً وَرَيحانا
وَسَلسَلَ الرَّطلَ عَمرٌو ثُمَّ هَمَّ بِهِ ... السُّقيا فَأَلحَقَ أولانا بِأُخرانا
سَقياً لِشَكلِكِ مِن شَكلٍ خُصِصتِ بِهِ ... دونَ الدَّساكِرِ مِن لَذّاتِ دُنيانا
حَفَّت رِياضَكِ جَناتٌ مُجاوِرَةٌ ... في كُلِّ مُختَرَقٍ نَهراً وَبُستانا
لا زِلتِ آهِلَةَ الأَوطانِ عامِرَةً ... بِأَكرَمِ الناسِ أَعراقاً وَأَغصانا

[البسيط]

قال: فأمر له الواثق بصلة سنيّة مجدَّدَة، واستحسن الصوتَ، وأمر فغُنِّي في عدَّة

(١) ورد في بعض المصادر «قصّر» بدل «فضَّض».
(٢) الجُلَّنَارُ، بضمِّ الجيم وفتح اللام المشدَّدةِ، أهملَه الجوهريُّ. وقال الصغاني: هو فارسيٌّ معناه زَهْرُ الرُّمَّانِ، وهو مُعَرَّبُ كُلْنار.
(٣) الآبنوسة: ضرب من الخشب إذا وضع على جمر بخر بخاراً طيب الرائحة.
(٤) العبهر: الياسمين والنرجس.
(٥) زنام: زمار حاذق، خدم كلّاً من الرشيد والمعتصم والواثق، وهو الذي أحدث الناي زمن المعتصم.

أبياتٍ منها، غنَّت فَريدة في البيتين الأولين من هذه الأبيات، ولحنُها هَزَج مُطلقٌ.

حدّثني جعفر بن قُدامة قال: حدَّثني عليّ بن يحيى قال: اجتمعتُ أنا وحسين بن الضحَّاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذي يقول:

لَقَدْ كُنْتُ ريحانةً في النَّدِيّ وتُفَّاحةً في يدِ الكاعِبِ

[المتقارب]

وعمرو بن بانة يُغنِّيها فتذاكرْنا الدَّوابَّ، واتصل الحديثُ إلى أن تلاحى حسين وأبو شهاب في دابّتيهما وتراهنا على المسابقة بهما، فتسابقا فسبَقَه أبو شهاب. فقال حسين في ذلك:

كُلُوا واشربوا هُنِّئْتُم وتَمَتَّعوا وعيشوا وذُمّوا الكَودَنين[1] جَميعا

فأُقْسِمُ ما كان الذي نالَ منهما مَدَى السبق إذ جَدَّ الجِراءُ سريعا

[الطويل]

وهي قصيدة معروفة في شعره. فقال أبو شهاب يجيبه:

أيا شاعر الخُصيان حاولْتَ خُطَّةً سُبِقْتَ إليها وانكفأتَ سَرِيعا

تُحاولُ سبقي بالقَريضِ سَفَاهَةً لقد رُمْتَ جَهْلاً مِنْ حِمايَ مَنيعا

[الطويل]

وهي أيضاً قصيدة. فكان ذلك سببَ التباعد بينهما. وكنَّا إذا أردنا العبثَ بحسين نقول له: أيا شاعر الخُصيان، فيُجَنّ ويشتُمنا.

[قصة بين حبيبين]

حدّثني جعفر قال: حدّثني عليّ بن يحيى قال: حدّثني حسين بن الضحَّاك قال: كان يألفني إنسانٌ من جُند الشأم عجيب الخِلقة والزِّيّ والشكل غليظٌ جِلْفٌ جافٍ، فكنتُ أحتمل ذلك كله له ويكون حظِّي التعجُّبَ به، وكان يأتيني بكتب من عشيقة له ما رأيتُ كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغَ ولا أشكَلَ من معانيها، ويسألني أن أُجيب عنها؛ فأجهَد نفسي في الجوابات وأصرفُ عنايتي إليها على علمي بأن الشاميَّ بجهله لا يميِّز بين الخطأ والصواب، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب. فلما طال ذلك عليّ حسدتُه وتنبَّهتُ إلى إفساد حاله عندها. فسألتُه عن اسمها فقال: «بَصبَص». فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به:

(١) الكودن: الفرس الهجين والبغل، وهو أيضاً الثقيل والبليد.

أَرْقَصَنِي حُبُّكِ يا بَصْبَصُ والحبُّ يا سَيِّدَتي يُرقِصُ
أَرمَصتِ[١] أجفاني بِطول البكا فما لأجفانك لا تَرمَصُ
وا بأبي وجهُك ذاك الذي كأنَّه مِنْ حُسْنِهِ عَصْعَصُ

[السريع]

فجاءني بعد ذلك فقال لي: يا أبا عليّ، جعلني اللَّه فداءَك، ما كان ذنبي إليك وما أردتَ بما صنعت بي؟ فقلت له: وما ذاك عافاك اللَّه؟ فقال: ما هو واللَّه إلّا أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثتْ إليّ: إني مشتاقة إليك، والكتابُ لا ينوب عن الرؤية، فتعالَ إلى الرَّوْشن[٢] الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحِياله حتى أراك؛ فتزيّنتُ بأحسن ما قدَرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع. فبينا أنا واقفٌ مكلِّماً أو مشيراً إليّ إذا شيء قد صُبّ عليّ فملأني من قَرْني إلى قدمي وأفسد ثيابي وسَرْجي وصيَّرني وجميعَ ما عليّ ودابّتي في نهاية السَّواد والنّتن والقذَر، وإذا به ماءٌ قد خُلط ببول وسواد سِرْجين[٣]، فانصرفتُ بخِزْيٍ. وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائرِ من مررتُ به من الضحك والطَّنز[٤] والصّياح بي أغلظَ ممّا مرّ بي؛ ولحقني من أهلي وَمَن في منزلي شرٌّ من ذلك وأوجعُ. وأعظمُ من ذلك أن رُسُلها انقطعتْ عنّي جملةً. قال: فجعلتُ أعتذر إليه وأقول له: إنَّ الآفة أنها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته، وأنا أحمد اللَّه على ما ناله وأُسرُّ الشَّماتةَ به.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال: حدّثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضحَّاك قال:

كتب إليّ الحسن بن رَجاء في يوم شَكّ وقد أمر الواثقُ بالإفطار، فقال:

هَزَزْتكَ للصَّبوحِ وقد نهاني أميرُ المؤمنين عن الصِّيامِ
وعندي من قِيان المصر عَشْرٌ تَطيب بِهِنَّ عاتقةُ المُدامِ
ومن أمثالهِن إذا انتشينا تَرَانا نجتني ثمرَ الغَرَامِ
فَكُنْ أَنْتَ الجوابَ فَلَيْسَ شيء أحبَّ إليَّ من حَذْفِ الكلامِ

[الوافر]

(١) من ساءه الرمص، سره الغمص؛ لأن الغمص ما رطب وهو خير من اليابس. ويقال ولعلَّه أنسب للمعنى: وسخ يجتمع في الموق.
(٢) الروشن: النافذة.
(٣) السرجين: السِّرْجينُ بالكسر معرّب، لأنّه ليس في الكلام فَعْليلٌ بالفتح، وهو الزبل الذي تدمل به الأرض.
(٤) الطَّنْزُ: السُّخرية. وطَنَزَ يَطْنُزُ فهو طَنَّازٌ. وأظنُّه مولّداً أو معرباً.

قال: فوردت عليّ رقعتُه وقد سبقه إليّ محمد بن الحارث بن بُسخُنّر ووجَّه إليّ بغلام نظيف الوجه كان يَتحظَّاه، ومعه ثلاثة غلمة أقران[١] حسان الوجوه، ومعهم رقعةٌ قد كتبها إليّ كما تُكتب المناشير، وختَمها في أسفلها وكتب فيها يقول:

سِرْ عـلـى اسـم الـلَّـه يـا أشـ ـكـلَ مِـنْ غُـصْـنِ لُـجـيـنِ
فـي ثـلاثٍ مـن بـنـي الـرو م إلـى دار حـسـيـنِ
فـاشـخـصِ[٢] الـكـهـلَ إلـى مـو لاك يـا قُـرَّةَ عـيـنـي
أرِهِ الـعُـنْـفَ إذا اسـتـعـ ـصـى وطـالِـبْـهُ بِـدَيـن
وَدَعِ الـلـفـظَ وخَـاطِـبْـ ـه بِـغَـمْـزِ الـحـاجـبَـيـن
واحـذَرِ الـرَّجـعـة مـن وجـ ـهـك فـي خُـفَّـيْ حُـنَـيـن[٣]

[مجزوء الرمل]

قال: فمضيت معهم، وكتبتُ إلى الحسن بن رَجاء جواب رقعته:

دَعَـوْتَ إلـى مُـمَـاحَـكَـةِ الـصِّـيـامِ وإعـمـال الـمَـلاهـي والـمُـدامِ
وَلَـوْ سَـبَـقَ الـرسـولُ لَـكَـانَ سَـعْـيـي إلَـيْـكِ يَـنـوبُ عَـنْ طُـولِ الـكـلامِ
وَمَـا شَـوْقِـي إلـيـكِ بِـدون شـوقـي إلـى ثَـمَـرِ الـتَّـصـابـي والـغَـرامِ
ولـكـن حَـلَّ فـي نـفـر عَـسُـوفٌ بِـمَـنْـشـورٍ مـحـلَّ الـمُـسْـتَـهـامِ
حـسـيـنٍ فـاسـتـبـاحَ لَـهُ حَـريـمـاً بِـطَـرْفٍ بـاعِـثٍ سـبـبَ الـحِـمـامِ
وَأَظْـهَـرَ نَـخْـوَةً وَسـطـاً وأبـدَى فَـظَـاظَـتَـه بِـتَـرْكٍ لِـلـسـلامِ
وَأَزْعَـجَـنِـي بِـأَلـفَـاظٍ غِـلاظٍ وَقَـدْ أعـطَـيْـتُـهُ طَـرَفَـيْ زِمَـامـي
وَلَـو خَـالَـفْـتُـهُ لَـمْ يَـخْـشَ قـتـلـي وَقَـنَّـعـنـي سَـرِيـعـاً بـالـحُـسـامِ

[الوافر]

---

(١) أقران: نظراء.

(٢) وُصِلَت همزة القطع هنا لضرورة الشعر.

(٣) وهذا مثل مبتذل في العامة في باب اليأس من الحاجة والرجوع منها بالخيبة. قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في اليأس من الحاجة قولهم: أسائر اليوم وقد زال الظهر! يقول: أتطمع فيما بعد وقد تبين لك اليأس. وقال أبو زيد في نحو منه: من لي بالسانح بعد البارح! قال: وأصله أنَّ رجلاً مرت به ظباء بارحة، والعرب تتشاءم بها، فكره ذلك، فقيل له: إنها ستمر بك سانحة، فعندها قال: «من لي بالسانح بعد البارح!» فذهبت مثلاً. يضرب للرجل يرى من صاحبه بعض ما يكره، فيقال له: إنّه سيتعب وتقضى الحاجة، فيقول هذا حينئذ. قال أبو زيد بعض هذا الكلام. قال أبو عبيد: ومن أمثال العوام في هذا: رجع فلان من حاجته بخفي حنينٍ.

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حدّثني جعفر بن هارون بن زِياد قال: حدّثني أبي قال:

كان الواثق يلاعب حسين بن الضحَّاك بالنَّرْد وخاقانُ غلامُ الواثق واقفٌ على رأسه، وكان الواثق يتحظَّاه، فجعل يلعب وينظر إليه. ثم قال للحسين بن الضحَّاك: إن قلتَ الساعة شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرَح به. فقال الحسين:

صـــوت

أُحِـبُّـكَ حُـبًّـا شَـابَـهُ بِـنَـصِـيـحَـةٍ أبٌ لَـكَ مـأمـونٌ عَـلَـيـك شَـفـيـقُ
وَأُقـسِـمُ مـا بـيـنـي وبـيـنـك قُـرْبَـةٌ ولـكـن قـلـبـي بـالـحـسـانِ عَـلُـوقُ

[الطويل]

فضحك الواثق وقال: أصبت ما في نفسي وأحسنت. وصنع الواثق فيه لحناً، وأمر لحسين بألفي دينار. لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأوّل بالوسطى.

[بينه وبين أبي نواس]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أحمد بن خَلّاد قال: أنشدني حسين بن الضحَّاك لنفسه:

بُـدِّلْـتَ مِـنْ نـفـحـات الـورد بـالآءِ وَمِـنْ صَـبُـوحِـكِ دَرَّ الإبْـلِ والـشـاء

[البسيط]

حتى أتى على آخرها، وقال لي: ما قال أحد من المُحدَثين مثلَها. فقلت: أنت تحوم حول أبي نُواس في قوله:

دَع عَـنـكَ لَـومـي فَـإنَّ الـلَّـومَ إغـراءُ وَداوِنـي بِـالَّـتـي كـانَـت هِـيَ الـداءُ

[البسيط]

وهي أشعر من قصيدتك. فغضِب وقال: ألي تقول هذا! عليّ وعليّ إن لم أكن نِكتُ أبا نواس! فقلت له: دع ذا عنك، فإنه كلام في الشعر لا قَدْحٌ في نسب، لو نِكتَ أبا نواس وأُمَّه وأباه لم تكن أشعرَ منه. وأحِبّ أن تقول لي: هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غيرُ قولك:

فُـضَّـتْ خَـواتِـمُـهـا فـي نـعـت واصـفـهـا عَـنْ مِـثْـلِ رَقْـرَاقـةٍ فـي عـيـن مَـرْهـاءِ[1]

[البسيط]

(١) المَرْهاءُ: خِلافُ الكَحْلاءِ.

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها:

دارَت عَـلـى فِـتـيَـةٍ دانَ الـزَّمـانُ لَـهُـم فَـمـا يُـصـيـبُـهُـمُ إِلّا بِـمـا شـاؤوا
صَـفـراءُ لا تَـنـزِلُ الأَحـزانُ ساحَـتَـهـا لَـو مَـسَّـهـا حَـجَـرٌ مَـسَّـتـهُ سَـرّاءُ
فَـأَرسَـلَـت مِـن فَـمِ الإِبـريـقِ صـافِـيَـةً كَـأَنَّـمـا أَخـذُهـا بِـالـعَـيـنِ إِغـفـاءُ
[البسيط]

واللَّه ما قدرت على هذا ولا تقدِر عليه، فقام وهو مغضَب كالمُقرّ بقولي.

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال: حدّثني أحمد بن المعتصم قال: حجّ أبو نواس وحسين بن الضحّاك فجمعهما الموسم، فتناشدا قصيدتيهما: قولَ أبي نواس:

دَع عَـنـكَ لَـومـي فَـإِنَّ الـلَّـومَ إِغـراءُ وَداوِنـي بِـالَّـتـي كـانَـت هِـيَ الـداءُ
[البسيط]

وقصيدةَ حسين:

بُـدِّلْـتَ مِـنْ نـفـحـات الـورد بِـالآءِ

فتنازعا أيُّهما أشعر في قصيدته؛ فقال أبو نواس: هذا ابن مُناذر حاضرٌ الموسمَ وهو بيني وبينك. فأنشده قصيدته حتى فرغ منها؛ فقال أبو مُناذر: ما أحسب أن أحداً يجيء بمثل هذه وَهمّ بتفضيله؛ فقال له الحسين: لا تَعجَلْ حتى تسمع؛ فقال: هات؛ فأنشده قوله:

بُـدِّلْـتَ مِـنْ نـفـحـات الـورد بِـالآءِ وَمِـنْ صَـبُـوحِـكِ دَرَّ الإِبْـلِ والـشـاء
[البسيط]

حتى انتهى إلى قوله:

فُـضَّـتْ خَـواتِـمُـهـا فـي نـعـت واصـفـهـا عَـنْ مِـثْـلِ رَقْـرَاقـةٍ فـي عـيـن مَـرْهـاءِ

فقال له ابن مُناذر: حَسبُك، قد استغنيتَ عن أن تزيد شيئاً، واللَّه لو لم تقل في دهرك كلِّه غيرَ هذا البيت لفضَّلتُك به على سائر من وصف الخمر؛ قم فأنت أشعر وقصيدتُك أفضلُ. فحكَم له وقام أبو نواس منكسِراً.

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن محمد قال: حدّثني كَثِير بن إسماعيل التَّحتكار قال:

لمَّا قدِم المعتصم بغداد، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهو أبو الواسع وقِنّينة

وحسين بن الضحَّاك وحاتم الرّيش وأنا، فأُدخلنا عليه. فلشُؤْمي وشقائي كتبت بين عينيّ: «سيّدي هَبْ لي شيئاً». فلمّا رآني قال: ما هذا على جبينك؟ فقال حمدون[١] بن إسماعيل: يا سيّدي تطايَبَ بأن كتب على جبينه: سيّدي هَبْ لي شيئاً. فلم يَستطِبْ لي ذلك ولا استملحه، ودعا بأصحابي من غد ولم يَدعُ بي. ففزِعتُ إلى حسين بن الضحَّاك، فقال لي: إنّي لم أحلُلْ من أنسه بعدُ بالمحلّ الموجِبِ أن أشفع إليه فيك، ولكني أقول لك بيتين من الشعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما، فإن ذلك أبلغُ. فقلتُ: أفعَلُ. فقال حسين:

قُلْ لدنيا أصبَحتْ تَلْعَب بي ... سَلَّطَ اللَّه عليك الآخِرهْ
إنْ أكن أبردَ مِنْ قِنِّينةٍ ... وَمِنَ الرِّيشِ فأمِّي فاجِرهْ

[الرمل]

قال: فأخذتهما وعرَّفتُ حمدون أنهما لي وسألته إيصالَهما ففعل؛ فضحك المعتصم وأمر لي بألفي دينار واستحضرني وألحقني بأصحابي.

أخبرني عمّي قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: قال لي أحمد[٢] بن حمدون: كان محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر لا يرى الصَّبوحَ ولا يُؤْثِر على الغَبُوق شيئاً، ويحتجّ بأن من خدم الخلفاء كان اصطباحُه استخفافاً بالخدمة، لأنه لا يأمن أن يدعى على غفلة والغبوق يُؤمِّنه من ذلك، وكان المعتصم يحبُّ الصبوح؛ فكان يُلقِّب ابنَ بُسخُنّر الغبوقيَّ. فإذا حضر مجلسَ المعتصم مع المغنّين منعه الصَّبوحَ وجمع له مثلَ ما يشرب نظراؤه، فإذا كان الغبوقُ سقاه إيَّاه جملةً غيظاً عليه؛ فيَضِجُّ من ذلك وَيسأل أن يُترك حتى يشرب مع النّدماء إذا حضروا فيمنعه ذلك. فقال فيه حسين بن الضحّاك وفي حاتم الرِّيش الضَّرَّاط وكان من المضحِكين:

حُبُّ أبي جعفر لِلْغَبُوق ... كَقُبْجِكَ يا حاتِمُ مُقْبِلاَ
فَلا ذاك يُعْذَرُ في فعلِهِ ... وَحَقُّكَ في الناس أن تُقْتَلا
وَأَشْبَهُ شيءٍ بما اختارَهُ ... ضُراطُك دونَ الخَلا في المَلا

[المتقارب]

حدّثني محمد بن خَلَف وكيع قال: حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال: مزَح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحَّاك مُزاحاً أغضبه، فجاوَبه حسين

(١) هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب، وهو أول من نادم الخلفاء من أهله.
(٢) هو أحمد بن حمدون بن إسماعيل راوية إخباري روى عن العدوى، له من الكتب كتاب الندماء والجلساء.

جواباً غضِب منه أبو أحمد أيضاً. فمضى إليه حسين من غَدٍ فاعتذر إليه وتنصَّل وحلف؛ فأظهر له قبولاً لعذره. ورأى ثِقلاً في طَرْفه وانقباضاً عمّا كان يعهده منه؛ فقال في ذلك:

لا تَعْجَبَنّ لِمَلَّةٍ صَرَفَتْ وَجْهَ الأميرِ فإنَّهُ بَشَرُ
وإذا نبا بك في سَريرته عَقْدُ الضَّميرِ نبا بِكَ البَصَرُ

[الكامل]

[مع الأمين]

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني أبو محمّد بن النشّار قال: كان أبي صديقاً للحسين بن الضحَّاك وكان يعاشره؛ فحملني معه يوماً إليه، وجعل أبي يحادثه إلى أن قال له: يا أبا عليّ، قد تأخّرتْ أرزاقُك وانقطعت موادّك ونفقتُك كثيرة، فكيف يمشي أمرك؟ فقال له: بلى واللَّه يا أخي، ما قِوام أمري إلا ببقايا هِباتِ الأمين محمد بن زُبَيدة وذخائرِه وهِباتِ جاريةٍ له ـ لم يسمِّها ـ أغنتني للأبد لشيءٍ ظريف جرى على غير تعمُّد؛ وذلك أنّ الأمين دعاني يوماً فقال لي: يا حسين، إن جليسَ الرجل عشيرُه وثقتُه وموضعُ سرّه وأمْنِه، وإن جاريتي فلانة أحسنُ الناس وجهاً وغناء، وهي منّي بمحلّ نفسي، وقد كدّرتْ عليّ صفوَها ونغّصتْ عليّ النعمةَ فيها بعُجْبها بنفسها وتجنِّيها عليّ وإدلالِها بما تعلم من حبِّي إياها. وإنّي مُحضِرُها ومحضرٌ صاحبةً لها ليست منها في شيء لتغنّي معها. فإذا غنَّتْ وأومأتُ لك إليها ـ على أن أمرها أبينُ من أن يخفى عليك ـ فلا تَستحسِن الغناءَ ولا تشرب عليه؛ وإذا غنَّت الأخرى فاشرب واطرَب واستحسن واشقُق ثيابك، وعليّ مكانَ كلّ ثوب مائةُ ثوب. فقلت: السمعُ والطاعة. فجلس في حُجرة الخَلْوة وأحضرني وسقاني وخلع عليّ؛ وغنَّت المحسنةُ وقد أخذ الشرابُ منّي، فما تمالكتُ أَن استحسنتُ وطرِبتُ وشربتُ، فأومأ إليّ وقطَّب في وجهي. ثم غنّتِ الأخرى فجعلتُ أتكلّف ما أقوله وأفعله. ثم غنَّتِ المحسنةُ ثانيةً فأتت بما لم أسمع مثلَه قطّ حُسناً، فما ملكتُ نفسي أن صِحت وشرِبت وطرِبت، وهو ينظر إليّ ويعضّ شفَتَيه غيظاً، وقد زال عقلي فما أُفكّر فيه، حتى فعلتُ ذلك مراراً؛ وكلما ازداد شربي ذهب عقلي وزدتُ ممّا يكره؛ فغضِب فأمضَّني وأمر بجَرّ رجلي من بين يديه وصَرْفي فجُرِرْتُ وصُرِفتُ، فأمر بأن أُحجَب. وجاءني الناس يتوجّعون لي ويسألوني عن قصَّتي فأقول لهم: حمل عليّ النبيذُ فأسأتُ أدبي، فقوَّمني أمير المؤمنين بصَرْفي وعاقَبَني بمنعي من الوصول إليه. ومضى لِما أنا فيه شهرٌ، ثم جاءتني البِشارةُ أنه قد رضي عنّي، وأمر بإِحضاري فحضَرتُ وأنا خائف. فلما وصلتُ أعطاني الأمين

يدَه فقبّلتُها، وضحك إليّ وقام وقال: اتبعني، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري. وغنّت المحسنةُ التي نالني من أجلها ما نالني فسكتُّ، فقال لي: قُلْ ما شئت ولا تَخَف، فشربتُ واستحسنتُ. ثم قال لي: يا حسين، لقد خار اللَّهُ لك بخِلافي وجرى القدرُ بما تحبّ فيه. إنّ هذه الجاريةَ عادت إلى الحال التي أُريد منها ورضِيتُ كلَّ أفعالها؛ فأذكرتْني بك وسألتْني الرّضا عنك والاختصاصَ لك؛ وقد فعَلتُ ووصلتُك بعشرة آلاف دينار، ووصلَتْك هي بدون ذلك. واللَّه لو كنتَ فعلتَ ما قلتُ لك حتى تعودَ إلى مثل هذه الحال ثم تحقِد ذلك عليك فتسألني ألا تَصِلَ إليّ لأجبتُها. فدعوتُ له وشكرتُه وحمِدت اللَّه على توفيقه، وزِدتُ في الاستحسان والسرورِ إلى أن سكِرتُ وانصرفتُ وقد حُمِل معي المال. فما كان يمضي أسبوع إلّا وصِلاتُها وألطافُها تصل إليّ من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين؛ وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلا سألتْه أن يصِلَني. فكلُّ شيءٍ أنفقتُه بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالِها وما ذَخَرت من صِلاتها. قال ابن النشَّار: فقال له أبي: ما سمعتُ بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب ممّا وفّقه اللَّه لك فيه.

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أبي قال:

دخل حسين بن الضحَّاك على محمد الأمين بعَقِبِ وقعةٍ أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر[١] فهزموهم وفضحوهم؛ فهنَّأه بالظَّفَر ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له فأنشده:

أمينَ اللَّه ثِقْ باللَّـ ـهِ تُعْطَ العِزَّ والنُّصْرَه
كِلِ الأمرَ إلى اللَّه[٢] كَلاكَ اللَّه ذو القُدْرَه
لنا النصرُ بإذنِ اللَّـ ـه والكَرَّةُ لا الفَرَّه
ولِلْمُرَّاق أعدائـ ـك يومُ السَّوءِ والدَّبْره[٣]
وكأسٌ تُورِد الموت كَريهٌ طَعْمُها مُرّه
سَقَوْنا وَسَقَيْنَاهم فَكَانَتْ بهمُ الحَرّه

(١) هو طاهر بن الحسين أحد دعاة المأمون وأكبر قوّاده، وهو الذي حاصر محمداً الأمين وظفر به وقتله.
(٢) كَلأَكَ اللَّه كلاءة، أي: حفظك وحرسك.
(٣) كانت الدبرة له إذا انهزم قرنه، وكانت الدبرة عليه إذا انهزم هو.

كـذاك الـحـربُ أحـيـانـاً عـلـيـنـا ولـنـا مَـره
[الهزج]

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ولم يزل يتبسم وهو يُنشِده.

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال: قال لي الحسين بن الضحَّاك: شربنا يوماً مع الأمين في بستانٍ، فسقانا على الرِّيق، وجدّ بنا في الشرب، وتحرَّزَ من أن نذوق شيئاً. فاشتدّ الأمرُ عليّ، وقمتُ لأبول، فأعطيتُ خادماً من الخدم ألف درهم على أن يجعل لي تحت شجرةٍ أومأتُ إليها رُقاقةً فيها لحمٌ، فأخذ الألف وفعل ذلك. ووثب محمد فقال: من يكون منكم حِماري؟ فكلُّ واحد منهم قال له: أنا، لأنه كان يركب الواحدَ منّا عبثاً ثم يصله؛ ثم قال: يا حسين، أنت أَضلَعُ[1] القوم. فركِبني وجعل يطوف وأنا أعدِل به عن الشجرة وهو يمرّ بي إليها حتى صار تحتها، فرأى الرُّقاقةَ فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري، وقال: هذه جُعِلَتْ لبعضكم؛ ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء. فقلت لأصحابي: أنا أشقى الناس، ركِب ظهري وذهب ألفُ درهمٍ منّي وفاتني ما يُمسك رَمَقي ولم يَصِلني كعادتي، ما أنا إلا كما قال الشاعر:

وَمُـطـعِـمُ الـصـيـدِ يَـومَ الـصـيـدِ مَـطـعَـمَـهُ أَنّـى تَـوَجَّـهَ وَالـمَـحـرومُ مَـحـرومُ[2]
[البسيط]

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد النَّحويّ المبرّد قال: كان حسين بن الضحَّاك الأشقر، وهو الخليع، يهوى جاريةً لأُمّ جعفر، وكانت من أجمل الجواري، وكان لها صُدْغانِ مُعَقْربان، وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له: ما قلتَ فينا؟ أنشِدنا منه شيئاً؛ فيُخرج إليها الصحيفة، فتقول له: اقرأ معي، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفةَ. فشكا ذلك إلى عاصم الغَسَّانيّ الذي كان يمدحه سَلْم الخاسر وكان مَكِيناً عند أمّ جعفر، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها، فأبتْ عليه أمُّ جعفر؛ فوجّه إلى الخليع بألف دينار وقال: خُذْ هذا الألفَ؛ فقد جَهَدتُ الجَهْدَ كلَّه فيها فلم تُمْكِنّي حيلة. فقال الحسين في ذلك:

رَمَـتْـكَ غَـداةَ الـسَّـبْـتِ شـمـسٌ مِـنَ الـخُـلْـدِ بـسـهـم الـهـوى عَـمْـداً وَمَـوتُـكَ فـي الـعَـمْـدِ

(١) الأضلع: الشديد القويّ الأضلاع.

(٢) ينسب البيت إلى علقمة بن عَبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصراً لامرئ القيس وله معه مساجلات. وأسر الحارث بن أبي شمر الغساني أخاً له اسمه شأس، فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات فأطلقه، توفي سنة ٢٠ق.هـ.

مُؤزَّرَةُ السِّرْبالِ مهضومةُ الحَشَا ... غُلامِيَّةُ التقطيع شاطرة القَدِّ
مُحَنَّأة الأطرافِ رُؤْدٌ شَبابُها ... مُعَقْرَبةُ الصُّدغين كاذبة الوعدِ
أقولُ وَنَفْسِي بين شَوْقٍ وَزَفْرَةٍ ... وَقَدْ شَخَصَتْ عيني ودمعي على الخَدِّ
أجيزي علي من قد تَرَكْتِ فؤادَهُ ... بلحظته بين التأسُّفِ والجهْدِ
فقالت عذابٌ بالهوى مع قربكم ... وموتٌ إذا أقدَحْتُ قلبكَ بالبُعْدِ
لَقَدْ فَطِنْتَ لِلْجَورِ فِطْنَةَ عاصِمٍ ... لِصُنْع الأيادي الغُرّ في طلب الحمدِ
سأشكوكِ في الأشعار غيرَ مُقَصِّرٍ ... إلى عاصم ذي المكرُماتِ وذي المجد
لعلَّ فَتَى غَسَّان يَجْمَعُ بيننا ... فيأمَنَ قلبي مِنْكُم رَوعةَ الصَّدِّ

[الطويل]

حدّثني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حدّثني هارون بن مُخارِق قال: أقطع المعتصمُ الناسَ الدُّورَ بسُرَّ من رأى وأعطاهم النفقاتِ لبنائها، ولم يُقطِع الحسين بن الضحَّاك شيئاً. فدخل عليه فأنشده قوله:

يا أمينَ اللَّهِ لا خِطَّةَ[1] لي ... ولقد أفردت صحبي بخطط
أنا في دَهياءَ مِنْ مُظلِمَةٍ ... تَحْمِلُ الشيخَ على كُلِّ غَلَط
صَعْبَةِ المَسْلَك يَرْتَاعُ لها ... كُلُّ من أصعَدَ فيها وهَبَط
بَوِّني[2] منك كما بَوَّأتَهُم عَرْصَةً ... تَبْسُطُ طَرْفِي ما انبسط
أبتَني فيها لنفسي مَوْطِناً ... وَلِعَقْبِي فَرَطاً بعد فَرَط
لَمْ يَزَلْ مِنْكَ قَرِيباً مسكني ... فأعِدْ لي عادة القربِ فَقَط
كُلُّ مَنْ قَرَّبْتَه مُغْتَبِطٌ[3] ... وَلِمَنْ أبعَدْتَ خِزْيٌ وَسَخَط

[الرمَل]

قال: فأقطعه داراً وأعطاه ألفَ دينار لنفقته عليها.

أخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: أخبرني عمي الفضل عن الحسين بن

(١) الخِطُّ: الأَرْضُ الَّتِي تنْزِلُها ولم يَنْزِلْها نازِلٌ قبْلَكَ، عن ابنِ دُرَيْدٍ، كالخِطَّة، بزِيادَةِ الهاء، وإِنَّما كُسِرت الخاءُ منها لأَنَّها أُخْرِجتْ عَلَى مصدَرٍ بُنِيَ عَلَى فِعله. وجمعُ الخِطَّة: خِطَطٌ، وَقَدْ خَطَّها لنَفْسِهِ خَطًّا واخْتَطَّها وهو أَن يُعلِمَ عليها علامَةً بالخَطِّ؛ ليُعْلَمَ أَنَّه قَدِ اخْتارَها ليَبْنِيَها داراً، ومِنْهُ خِطَطُ البصرَةِ والكوفَةِ، نَقَلَهُ الجَوْهَرِيّ.

(٢) بوّني: أصلها «بوّئني»، سهلت الهمزة فصارت ياء ثم حذفت لصيغة الأمر.

(٣) الغِبْطَةُ: حُسْنُ الحال، وهي النعمة، ومغتبَط إذا اغتبطه الغير على نعمة وتنى أن يكون مثله.

الضحّاك قال: كنتُ أمشي مع أبي العتاهية، فمررت بمقبُرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شج على ابنٍ لها. فقال أبو العتاهية:

أَمـا تَـنـفَـكُّ بـاكِـيَـةً بِـعَـيـنٍ غَـزيـرٍ دَمـعُـهـا كَـمِـدٌ حَـشـاهـا

[الوافر]

أجِزْ يا حسين؛ فقلت:

تُـنـادي حُـفْـرَةً أعـيَـتْ جـوابـاً فَـقَـدْ وَلِـهَـتْ[1] وَصَـمَّ بـهـا صَـداهـا

[الوافر]

[منعته السياسة من الرثاء]

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني الحسين بن يحيى قال: حدَّثني الحسين بن الضحَّاك قال:

كنتُ عازماً على أن أرثي الأمين بلساني كلّه وأشفي لوعتي. فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌّ، وقد علمتُ مكانك من الأمين، وإنه لحقيقٌ بأن ترثيه، إلّا أنك قد أطلقتَ لسانك من التلهُّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره وثَلْباً له وتحريضاً عليه، وهذا المأمون مُنصَبٌّ إلى العراق قد أقبل عليك؛ فأبقِ على نفسك؛ يا وَيحك! أتجسُر على أن تقول:

تَـرَكُـوا حَـرِيـمَ أبـيـهـمُ نَـفَـلا[2] والـمُـحْـصـنـاتُ صـوارخٌ هُـتُـفٌ

هـيـهـاتَ بَـعْـدَكَ أن يـدومَ لـهـم عـزٌّ وأن يـبـقـى لـهـم شَـرَفُ

[الكامل]

اكفُفْ غَرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرَط منك. فعلِمتُ أنه قد نصَحني فجزيتُه الخيرَ، وقطعتُ القول فنجوتُ برأيه وكِدتُ أن أنجو.

حدّثني جعفر بن قُدامة قال: حدّثني أبو العَيْناء قال:

وقف علينا حسين بن الضحَّاك ومعنا فتًى جالسٌ من أولاد الموالي جميلُ الوجه، فحادثنا طويلاً وجعل يُقبِل على الفتى بحديثه والفتى مُعرِضٌ عنه حتى طال ذلك؛ ثم أقبل عليه الحسين فقال:

تَـتِـيـهُ عَـلَـيـنـا أن رُزِقـتَ مـلاحـةً فَـمَـهْـلاً عـلـيـنـا بـعـضَ تِـيـهـك يـا بـدرِ

---

(١) الوله: الحزن أو ذهاب العقل لفقدان الحبيب.

(٢) النَّفَلُ: الغُنْمُ، والجميعُ: الأنْفال. ونفّلْت فُلاناً: أعطيته نَفَلاً وغُنْماً. والإمامُ ينفِّلُ الجُنْد، إذا جعل لهم ما غَنِموا. والنّافِلةُ: العطيّة يُعطيها تَطوُّعاً بعد الفريضة من صَدَقةٍ أو صلاحٍ أو عَمَلِ خيرٍ.

لـقـد طـالـمـا كُـنَّـا مِـلاحـاً وربـمـا صَـدَدنـا وتِـهـنـا ثـم غـيَّـرهـا الـدهـر

[الطويل]

وقام فانصرف.

أخبرني الحسن بن القاسم الكوفيّ قال: حدّثني ابن عَجلان قال:

غنّى بعضُ المغنّين في مجلس محمدٍ المخلوع بشعر حسين بن الضحَّاك، وهو:

صـوت

أَلَـسْـتَ تَـرَى دِيـمَـةً تَـهْـطِـلُ وهـذا صـبَـاحُـكَ مُـسْـتَـقـبَـلُ

وهـذي الـعُـقـار وقـد راعـنـا بـطـلـعـتِـهِ الـشـادنُ الأكـحـلُ

فـعـادَ بِـهِ وبـنـا سَـكْـرَةٌ تُـهَـوِّن مـكـروهَ مـا نـسـأل

فـإنِّـي رَأَيْـتُ لـه نَـظْـرَةً تُـخْـبِّـرُنـا أنَّـه يَـفْـعَـلُ

[المتقارب]

قال: فأمر بإحضار حسين فأُحضِر، وقد كان محمد شرِب أرطالاً. فلما مَثل بين يديه أمر فسُقِي ثلاثةَ أرطالٍ، فلم يَستوفِها الحسينُ حتى غَلَبه السكر وقَذَف، فأمر بحمله إلى منزله فحُمل. فلما أفاق كتب إليه:

إذا كُـنْـتُ فـي عُـصْـبَـةٍ مـن الـمَـعْـشَـرِ الأخـيـبِ

وَلَـمْ يَـكُ لـي مُـسـعِـدٌ نـديـمٌ سـوى جُـعْـدُبِ[1]

فَـأشـرَبُ مِـنْ رَمْـلَـةٍ وَأَسْـهَـرُ مـن قُـطـرُبِ[2]

ولـمَّـا حـبـانـي الـزمـا ن مِـنْ حَـيْـثُ لـم أحـسـب

وَنَـادَمْـتُ بَـدْرَ الـسـمـا ء فـي فَـلَـكِ الـكَـوكَـبِ

أَبَـتْ لـي غُـضُـوضِـيَّـتِـي[3] ولـؤمٌ مـن الـمـنـصـب

فـأسـكـرنـي مُـسْـرِعـاً قـويٌّ مـن الـمـشـرب

كَـذَا الـنَّـذْلُ يـنـبـو بـه مـنـادمـةُ الـمُـنـجِـب

[مجزوء المتقارب]

---

(١) جُعْدُبةُ: اسم رجل من المدينة.

(٢) القطرب: طائر يجول الليل كله في المساء.

(٣) الغضوضية: النضارة والشباب.

قال: فردّه إلى منادمته وأحسن جائزته وصلتَه.

أخبرني الكوكبيّ قال: حدّثني عليّ بن محمد بن نصر عن خالد بن حَمدون: أن الحسين بن الضحَّاك أنشده ـ وقد عاتبه خادم من خُدّام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشَّقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانة؛ فقال حسين فيه ـ:

صـوت

فَـدَيـتُ مَـنْ قـال لـي عـلـى خَـفَـرِه ... وغَـضَّ جَـفْـنـاً لـه عـلـى حَـوَرِه
سَـمَّـع بـي شـعـرُكِ الـمـلـيـح فـمـا ... يـنـفـكّ شـادٍ بِـهِ عـلـى وَتَـرِه
فَـقُـلْـتُ يـا مـسـتـعـيـرَ سـالـفـةِ الـ ... ـخـشـفِ وحـسـنِ الـفـتـور مـن نَـظَـرِه
لا تُـنْـكـرنَّ الـحـنـيـنَ مـن طَـرِبٍ ... عـاود فـيـك الـصِّـبـا عـلـى كِـبَـرِه

وغنّى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً. [المنسرح]

[شعره على قبر النواسي]

أخبرني الكوكبيّ قال: حدّثني أبو سَهْل بن نُوبَخْت عن عمرو بن بانة قال:

لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضحَّاك على قبره:

كـابَـرَنِـيـكَ الـزمـانُ يـا حـسـنُ ... فَـخَـاب سَـهْـمِـي وأفـلَـح الـزمـنُ
لـيـتـك إذ لـم تـكـن بَـقِـيـتَ لـنـا ... لـم تَـبْـقَ روحٌ يَـحُـوطُـهـا بـدن

[المنسرح]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أبي قال: كان في جوار الحسين بن الضحَّاك طبيب يُداوي الجِراحاتِ يقال له نُصَير، وكان مخنّثاً؛ فإذا كانت وليمةٌ دخل مع المخنَّثين، وإذا لم تكن عالج الجِراحاتِ. فقال فيه الحسين بن الضحَّاك:

نُـصَـيْـرُ لـيـس الـمُـرْدُ مـن شـأنِـهِ ... نـصـيـرُ طَـبٍّ بـالـنَّـكـارِيـشِ[1]
يـقـول لـلـنـكـريـش فـي خَـلْـوَة ... مـقـالَ ذي لُـطْـفٍ وتَـجـمـيـش
هـل لـك أن نـلـعـب فـي فـرشـنـا ... تـقـلُّـبَ الـطـيـر الـمـراعـيـش[2]

[السريع]

---

(١) النكريش: الملتحي.

(٢) نوع من الحمام تطير مرتفعةً حتى تغيب عن النظر فترى في الجوّ كالنّجم.

يعني المبادلة: فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان: «يا نصير نلعب تقلُّبَ الطيرِ المراعيشِ» فيشتُمهم ويرميهم بالحجارة.

حدّثني جعفر قال: حدّثني عليّ بن يحيى عن حسين بن الضحَّاك قال:

أنشدتُ ابنَ مُناذر قصيدتي التي أقول فيها:

لـفَـقـدِك ريـحـانـةَ الـعـسـكـر

وكانت من أول ما قلتُه من الشعر؛ فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله وجعل يردّد هذا البيت. فقلنا لحسين: أتُراه فعل ذلك استحساناً لما قلت؟ فقال: لا؛ فقلنا: فإنما فعله طَنزاً[1] بك؛ فشتَمه وشتمنا. وكنّا بعد ذلك نسأله إعادةَ هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدِّد شتمَ ابن مناذر بأقبح ما يقدِر عليه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل قال:

مررتُ بباب حسين بن الضحَّاك، وإذا أبو يزيد السَّلُوليّ وأبو حَزْرَةَ الغَنَويّ وهما ينتظران المُحاربيّ وقد استُؤذن لهم على ابن الضحَّاك؛ فقلت لهما: لم لا تدخلان؟ فقال أبو يزيد: ننتظر اللؤم أن يجتمع، فليس في الدنيا أعجبُ مما اجتمع منّا، الغَنَوي والسَّلوليّ ينتظرانِ المُحاربيّ ليدخلوا على باهليّ.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنجِيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني حسين بن الضحَّاك قال:

كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان[2] ويأنَس به وهو يومئذٍ غلام، وكان الفتح ذكيًّا جيِّد الطبع والفِطنة. فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان عُرْطُوج: يا فتح أيّما أحسن: داري أو دار أبيك؟ فقال له وهو غير متوقِّف وهو صبيّ له سبع سنين أو نحوها: دار أبي إذا كنتَ فيها؛ فعجِب منه وتبنَّاه. وكان الواثق له بهذه المنزلة، وزاد المتوكل عليهما. فاعتلّ الفتح في أيام الواثق علَّةً صعبة ثم أفاق وعُوفِي، فعزَم الواثقُ على الصَّبوح، فقال لي: يا حسين، اكتب بأبيات عنّي إلى الفتح تدعوه إلى الصَّبوح، فكتبتُ إليه:

لـمَّـا اصـطَـبَـحْـتُ وعـيـنُ الـلَّـهـوِ تَـرْمُـقُـنِـي قـد لاحَ لـي بـاكِـراً فـي ثـوب بِـذْلَـتِـهِ

(١) الطنز: السخرية.

(٢) هو الفتح بن خاقان بن أحمد، كان في نهاية الذكاء والفطنة وحسن الأدب من أولاد الملوك، اتخذه المتوكل أخاً ووزيراً له، وكان يقدّمه على سائر ولده وأهله.

نَـادَيْـتُ فَـتْـحـاً وبَـشَّـرْتُ الـمـدامَ بِـهِ لـمـا تَـخَـلَّـصَ مـن مـكـروه عِـلَّـتِـهِ
ذبُّ الـفـتـى عـن حـريـم الـراحِ مَـكـرُمـةٌ إذا رآه امـرؤٌ ضِـدًّا لِـنَـحْـلَـتِـهِ
فـاعـجَـلْ إلـيـنـا وعَـجِّـلْ بـالـسـرور لـنـا وخـالِـس الـدهـر فـي أوقـات غَـفْـلـتِـهِ
[البسيط]

فلما قرأها الفتح صار إليه فاصطبح معه.

أخبرني عمي قال: حدّثني يعقوب بن نُعَيم وعبد اللَّه بن أبي سعد قالا: حدّثنا محمد بن محمد الأنباريّ قال: حدّثني حسين بن الضحَّاك قال:

كنتُ عند عبد اللَّه بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع وهو مُصطَبِحٌ وخادم له يَسقيه؛ فقال لي: يا أبا عليّ، قد استحسنتُ سقيَ هذا الخادم؛ فإن حضرك شيء في قصَّتنا هذه فقُل؛ فقلت:

أحـيَـتْ صَـبُـوحـي فُـكـاهـةُ الـلاهِـي وطـابَ يـومـي بِـقُـرْبِ أشـبـاهِـي
فـاسـتَـثِـر الـلَّـهـوَ فـي مـكـامِـنِـه مـن قـبـل يـوم مُـنَـغِّـصٍ نـاهـي
بـابـنـةِ كَـرْم مـن كـفٍّ مـنـتـطـقٍ مـؤتـزرٍ بـالـمُـجـونِ تَـيَّـاه
يَـسـقِـيـك مـن طَـرْفِـهِ ومـن يَـدِهِ سَـقْـيَ لـطـيـفٍ مُـجَـرِّبٍ داهـي
كـأسـاً فـكـأسـاً كـأن شـاربَـهـا حـيـرانُ بـيـن الـذَّكُـور والـسـاهـي
[المنسرح]

قال: فاستحسنه عبد اللَّه وغنّى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقيّة يومنا.

أخبرني عليّ بن العبّاس قال: حدّثني سَوادة بن الفَيض عن أبيه قال: اتفق حسين بن الضحَّاك ويُسْرٌ مرّةً عند بعض إخوانهما وشربا وذلك في العشر الأواخر من شعبان. فقال حسين ليُسْر: يا سيِّدي، قد هجم الصوْمُ علينا، فتفضَّل بمجلسٍ نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك؛ فقال له: قد سكِرتَ وأخشى أن يبدوَ لك؛ فحلَف له يسرٌ أنه يَفي. فلما كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء، فجَحد الوعدَ وأنكره. فكتب إليه يقول:

تَـجَـاسَـرت عـلـى الـغَـدْرِ كـعـاداتـك فـي الـهَـجـرِ
فـأخـلَـفـتْ ومـا اسـتـخـلَـفْـ ـتَ مـن إخـوانِـكَ الـزُّهْـرِ
لَـئِـنْ خِـسْـتَ[1] لـمـا ذَلِـ ـك مـن فـعـلـك بـالـنُّـكـرِ

(١) خاس: أخلف.

وما أقنعني فِعْلُك يا مُخْتَلِقَ العذرِ
بِنَفْسِي أنت إن سُؤْتَ فلا بدَّ مِنَ الصَّبْرِ
وإنْ جَرَّعني الغَيظَ وإن خَشَّن بالصدر[1]
ولولا فَرَقي منك لَسَمَّيْتُكَ في الشعر
وَعَنَّقْتُكَ لا آلو وإن جُزْتُ مدى العُذْر
أما تخرج من إخلا ف ميعادك في العَشْرِ
غَداً يَفْطِمُنا الصومُ عن الرَّاحِ إلى الفِطْرِ

[الهزج]

قال: فسألتُ الحسينَ بن الضحَّاك عمَّا أثّر له هذا الشعرُ وما كان الجواب؛ فقال: كان أحسنَ جوابٍ وأجملَ فعل، كان اجتماعُنا قبل الصوم في بستان لمولاه، وتَمَّمنا سرورَنا وقضيْنا أوطارَنا إلى الليل، وقلتُ في ذلك:

سَقَى اللَّهُ بَطْنَ الدَّيرِ من مستوى السَّفْحِ إلى ملتقى النَّهْرَين فالأثلِ[2] فالطَّلحِ[3]
مَلاعِبُ قُدْن القلبَ قَسْراً إلى الهوى ويَسَّرْنَ ما أمّلْتُ من دَرَك النُّجْحِ
أتنسى فلا أنسى عِتَابَكَ بينها حبيبَكَ حتى انقاد عَفْواً إلى الصّلحِ
سَمَحْتُ لِمَنْ أهوى بصفو مودَّتي ولكنّ مِنْ أهواه صِيغ على الشُّحِّ

[الطويل]

[شعره في يسر]

قال عليّ بن العبّاس: وأنشدني سَوادةُ بن الفَيض عن أبيه لحسين بن الضحَّاك يصف أياماً مضَتْ له بالبصرة ويومَه بالقُفْص[4] ومجيء يُسرٍ إليه، وكان يسرٌ سأله أن يقول في ذلك شعراً:

---

(١) خشن بالصدر: أوغر بالصدر.

(٢) الأثَلُ: شَجَرٌ يُشْبِهُ الطَّرْفاء، إلّا أنّه أَعظَمُ مِنْها وأَجْودُ منها عُوداً، تُصْنَعُ منه الأَقداحُ الصُّفْر الجياد.

(٣) الطَّلْحُ: شَجَرُ أُمِّ غَيْلانَ، والواحِدَةُ: طَلْحَةٌ. وقيل: المَوْزُ. وإبِلٌ طَلاحى وطَلِحَةٌ: اشْتَكَتْ من أكْلِ الطَّلْحِ. وإبِلٌ طُلَاحِيَّةٌ: أَلْقَتِ الطَّلْحَ وأكَلَتْه. والطَّلَاحُ: نَقِيضُ الصَّلَاحِ، والفِعْلُ: طَلَحَ يَطْلَحُ. والطَّلَحُ: النِّعْمَةُ، من قَوْلِ الأعْشى:

ورَأَيْنا المَرْءَ عَمْراً بِطَلَحْ

والطَّلَاحَةُ: الإعْيَاءُ الشَّديدُ، بَعِيرٌ طَلِيحٌ، وناقَةٌ طَلِيحٌ وطِلْحٌ.

(٤) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد، وكانت من مواطن اللّهو ومعاهد النزه

تَـيَـسَّـرِي لـلـلِّـمـام مـن أَمَـم ... ولا تُـرَاعـي حـمـامـةَ الـحَـرَم
قَـدْ غَـابَ ـ لا آب ـ مـن يُـراقِـبُـنـا ... ونـامَ ـ لا قـام ـ سـامـرُ الـخَـدَم
فـاسـتـصـحـبـي مُـسْـعِـداً يُـفَـاوِضـنـا ... إذا خَـلَـونـا فـي كُـلِّ مُـكـتَـتَـم
تَـبَـذَّلـي بِـذلـةً تَـقَـرُّ بِـهـا الـ ... ـعـيـنُ ولا تَـحـصَـري وتَـحْـتَـشِـمـي
لَـيْـتَ نـجـومَ الـسـمـاء راكِـدةٌ ... عـلـى دُجـى لَـيْـلِـنـا فَـلَـمْ تَـرِم
مـا لـسـروري بـالـشـكِّ مُـمْـتَـزِجـا ... حـتـى كـأنِّـي أراه فـي حُـلُـم
فَـرِحْـتُ حـتـى اسـتـخـفَّـنِـي فَـرَحِـي ... وشُـبْـتُ عـيـن الـيـقـيـن بـالـتُّـهَـم
أمـسـح عـيـنـي مُـسـتَـثـبِـتـاً نَـظَـرِي ... أخـالُـنـي نَـائِـمـاً ولـم أنَـم
سَـقـيـاً لـلـيـلٍ أَفْـنَـيْـتُ مـدَّتـه ... بـبـارد الـرِّيـقِ طَـيِّـبِ الـنَّـسـم
أبـيـضَ مُـرتَـجَّـةٍ روادفُـهُ ... مـا عِـيـبَ مـن قـرنِـهِ إلـى الـقـدم
إذ قَـصَـبـاتُ الـعَـريـش تـجـمـعُـنـا ... حَـتـى تَـجَـلَّـتْ أواخـرُ الـظُّـلَـم
ولـيـلـةٍ بِـتُّـهـا مـحـسَّـدَةٍ ... مـحـفـوفـةٍ بـالـظـنـون والـتُّـهَـم
أبَـثَّ عَـبْـراتـه عـلـى غَـصَـصٍ ... يَـرُدُّ أنـفـاسَـه إلـى الـكَـظَـم
سَـقـيـاً لِـقَـيْـطُـونـهـا[1] ومُـخْـدَعِـهـا ... كَـمْ مـن لِـمـام بـه ومـن لَـمَـم
لا أكـفُـر الـسَّـيـلَـحِـيـن[2] أزمِـنَـةً ... مُـطِـيـعـةً بـالـنَّـعـيـم والـنِّـعَـم
ولـيـلـة الـقُـفْـص إن سـألْـتَ بـهـا ... كـانـت شِـفَـاءً لِـعِـلَّـة الـسَّـقَـم
بـات أنـيـسـي صـريـعَ خَـمـرتِـه ... وتـلـك إحـدى مـصـارع الـكَـرَم
وبـتّ عـن مَـوْعِـدٍ سَـبَـقْـتُ بِـهِ ... ألـثـم دُرًّا مُـفَـلَّـجـاً بِـفَـم
وا بـأبـي مـن بـدا بِـرَوْعَـةِ «لا» ... وعـاد مـن بـعـدهـا إلـى «نَـعَـم»
أبـاحـنـي نـفـسـه ووسَّـدَنِـي ... يُـمـنـى يـديـه وبـات مُـلْـتَـزِمـي
حـتـى إذا اهـتـاجـت الـنـواقِـسُ فـي ... سُـحـرةِ أحْـوَى أحَـمَّ كـالـحُـمَـم
وَقُـلْـتُ هُـبَّـا يـا صـاحـبـيَّ ونَـبْـ ... ـبَـهـتُ أبـانـاً فَـهَـبَّ كـالـزَّلَـم[3]

= ومجالس الفرح تنسب إليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة. وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

(١) القيطون: المخدع، وهو البيت في البيت. مثله أي الخزانة الصغيرة داخل الحجرة.

(٢) سيلحين: موضع قرب الحيرة ضارب في البر قرب القادسية. وقيل: هو رستاق من رساتيق العراق.

(٣) الزلم: السهم.

فاستنّها كالشِّهابِ ضَاحِكَةً ... عن بارقٍ في الإناء مُبْتَسِمِ
صَفْرَاءَ زيتيَّة مُوشَّحةً ... بأرجوانٍ مُلَمَّع ضَرِمِ
أَخَذْتُ ريحانةً أراحُ لها ... دَبَّ سروري بها دبيبَ دَمِي
فَرَاجِعِ العذرَ إن بدا لك في الـ ... ـعُذْرِ وإن عُدْتَ لائماً فَلُم

[المنسرح]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال: حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال: حدّثني المُعتَمِر بن الوليد المخزوميّ قال: قال لي الحسين بن الضحّاك وهو على شراب له: ويحكم أُحدِّثكم عن يُسْرٍ بأعجوبة؟ قلنا: هات. قال: بلغ مولاه أنه جَرى له مع أخيه سببٌ، فحَجبه كما تُحجَب النِّساء، وأمر بالحَجْر عليه، وأمره ألا يخرجَ عن داره إلا ومعه حافظٌ له موكَّل به. فقلتُ في ذلك:

ظَنَّ مَنْ لا كان ظَنَّا ... بحبيبي فحماهُ
أَرْصَد البابَ رقيبي ... ن له فاكتنَفَاه
فإذا ما اشتاق قربي ... ولقائي مَنَعَاه
جَعَلَ اللَّه رقيبي ... ـه من السوءِ فِداه
والذي أقرح في الشـ ... ـدن قلبي وَلَواه
كلُّ مُشْتَاقٍ إليه ... فَمِنَ السوء فِداه
سِيَّما من حالت الأحـ ... ـراسُ من دون مُنَاه

[مجزوء الرمل]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال: حدّثنا أحمد بن العبّاس الكاتب قال: حدّثنا عبد اللَّه بن زكريَّا الضَّرير قال: قال أبو نواس: قال لي حسين بن الضحَّاك يوماً: يا أبا عليّ، أما ترى غضبَ يُسْرٍ عليّ! فقلت له: وما كان سبب ذلك؟ قال: حالٌ أردتُها منه فمنَعَنِيها فغضِبتُ، فأسألك أن تُصلح بيني وبينه. فقلت: وما تحبّ أن أُبلِغه عنك؟ قال: تقول له:

بِحُرْمة السُّكرِ وما كانا ... عَزَمْتَ أن تقتل إنسانا!
أخافُ أنْ تَهْجُرَنِي صاحياً ... بعد سروري بِكَ سَكْرَانا
إنَّ بِقَلْبِي روعةً كُلَّما ... أضمر لي قَلْبُكَ هِجرانا
يا ليت ظَنِّي أبداً كاذِبٌ ... فإنَّه يَصْدُقُ أحيانا

[البسيط]

قال: فقلت له: وَيحك! أتجتنبه وتريد أن تترضَّاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة! فقال لي: أنا أعرَف به، وهو كثير التبذّل، فأبلِغه ما سألتُك؛ فأبلغتُه فرضِيَ عنه وأصلحتُ بينهما.

حدّثني جعفر بن قُدامة قال: حدّثني علي بن يحيى قال: جاءني يوماً حسين بن الضحَّاك، فقلت له: أيّ شيءٍ كان خبرُك أمسِ؟ فقال لي: أسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن؛ فقلت: هات يا سيِّدي، فقال:

زائِـرَةٌ زَارَتْ عـلـى غَـفْـلَـةٍ ... يـا حَـبَّـذا الـزَّوْرةُ والـزائِـرَه
فَـلَـمْ أزلْ أخـدَعُـهـا لـيـلـتـي ... خـديـعـةَ الـسَّـاحِـرِ لـلـسـاحِـره
حـتـى إذا مـا أذعَـنَـتْ بـالـرِّضـا ... وأنـعَـمَـتْ دارَتْ بـهـا الـدائـره
بِـتُّ إلـى الـصـبـح بـهـا سـاهـراً ... وبـاتـت الـجـوزاءُ بـي سـاهِـرَه
أفـعـل مـا شِـئْـتُ بـهـا لـيـلـتـي ... ومـلءُ عـيـنـي نِـعْـمَـةٌ ظـاهِـرَه
فَـلْـم نَـنَـم إلا عـلـى تـسـعـة ... مـن غُـلْـمـة بـي وبـهـا ثـائـره
سَـقـيـاً لـهـا لا لأخـي شِـعْـرةٍ ... شِـعْـرتُـهُ كـالـشَّـعـرة الـوافِـره
وبـيـن رجـلـيـه لـه حَـرْبـةٌ ... مَـشْـهـورةٌ فـي حَـقـوه شـاهـره
وفـي غَـدٍ يـتـبَـعُـهـا لـحـيـةٌ ... تُـلـحـقـه بـالـكَـرَّة الـخـاسـره

[السريع]

قال: فقلت له: زنيتَ يعلم اللَّه إن كنتَ صادقاً. فقال: قل أنت ما شئتَ.

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أبو العَيناء قال: دخل حسين بن الضحَّاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيِّبٍ، فحثّه على الصَّبوح فلم ينشَط له. فقال: اسمع ما قلتُ؛ قال: هات؛ فأنشده:

اسـتَـثِـر الـلَّـهـوَ مِـنْ مَـكَـامِـنِـهِ ... مِـنْ قـبـل يـوم مُـنَـغِّـصٍ نـاهـي
بـابـنـة كَـرْم مـن كـفِّ مُـنْـتَـطِـقِ ... مُـؤتَـزِرٍ بـالـمُـجـون تَـيَّـاه
يَـسـقِـيـك مِـنْ لَـحْـظِـهِ ومـن يَـدِهِ ... سـقـي لـطـيـفٍ مـجـرِّب داهـي
كـأسـاً فـكـأسـاً كـأنَّ شـارِبَـهـا ... حـيـرانُ بـيـن الـذَّكـورِ والـسَّـاهـي

[المنسرح]

قال: فنشِط الواثق وقال: إنّ فرصة العيش لحقيقةٌ أن تُنتَهز؛ واصطبح ووصَل الحسين.

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أبو الشِّبل عاصمُ بن وَهب البُرْجُمِيّ قال: حجّ الحسين بن الضحَّاك، فمرّ في مُنصَرَفه على موضع يعرف بالقَريتين[1]، فإذا جارية تَطَّلع في ثيابها وتنظُر في حِرِها ثم تضربه بيدها وتقولُ: ما أضيعني وأضيعك! فأنشأ يقول:

مَرَرْتُ بالقريتين مُنْصرِفاً ... من حيث يقضي ذوو النُّهى النُّسُكا
إذا فتاةٌ كأنَّها قَمَرٌ ... للتِّمّ لمَّا توسَّط الفَلَكا
واضِعَةٌ كَفَّها على حِرِها ... تقول يا ضَيعتي وَضَيعتَكا

[المنسرح]

قال: فلما سمعتْ قولَه ضحكتْ وغطَّت وجهَها وقالت: وا فضِيحتاه! أوَقد سمعتَ ما قلتُ!

حدّثني محمد الصُّوليّ قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: كان الحسين بن الضحَّاك صديقاً لأبي، وكنت ألقاه معي كثيراً، وكانت نفسه قد تتبّعت شَفيعاً بعد انصرافه من مجلس المتوكل؛ فأنشدَنا لنفسه فيه:

وأبيضُ في حُمْرِ الثيابِ كأنَّهُ ... إذا ما بدا نِسْرينَةٌ في شقائِقِ
سقاني بِكَفَّيهِ رَحِيقاً وسامَني ... فُسُوقاً بعينيه ولَسْتُ بِفَاسِقِ
وأُقْسِمُ لولا خَشيةُ اللَّهِ وحدَه ... ومن لا أُسمِّي كُنْتُ أول عاشقِ
وإنِّي لمعذورٌ على وَجَناتِهِ ... وإن وَسَمَتْني شيبةٌ في المَفَارِقِ
ولا عِشْقَ لي أو يُحْدِثَ الدهرُ شِرَّةً ... تعودُ بعادات الشبابِ المُفارِقِ
وَلَو كُنْتُ شَكلاً للصِّبا لاتبعته ... ولكن سنِّي بالصِّبا غيرُ لائقِ

[الطويل]

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثنا ميمون بن هارون قال: كان للحسين بن الضحَّاك ابن يسمَّى محمداً، له أرزاق، فمات فقُطِعتْ أرزاقُه. فقال يخاطب المتوكل ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفَّى لزوجته وأولاده:

إنِّي أتيتُك شافِعاً ... بوليِّ عهد المُسلِمينا
وشبيهِكَ المعتزّ أو ... جهِ شافع في العالَمينا
يا بن الخلائفِ الأوَّلي ... ن ويا أبا المُتأخِّرينا

(١) القريتان: قرية قريبة من النباج في طريق مكة من البصرة.

إنّ ابـــن عـــبـــدك مـــات والـــ ... أيَّـــامُ تـــخـــتَـــرِمُ الـــقَـــريـــنـــا
ومَـــضَـــى وخَـــلَّـــفَ صـــبـــيـــةً ... بِـــعِـــراصِـــهِ مُـــتَـــلَـــدِّديـــنـــا
ومُـــهَـــيـــرةً عَـــبْـــرى خِـــلا ... فَ أقـــارِبٍ مُـــسْـــتَـــعْـــبِـــريـــنـــا
أصـــبَـــحْـــنَ فـــي رَيـــبِ الـــحـــوا ... دث يُـــحْـــســـنـــون بـــك الـــظُّـــنـــونـــا
قـــطـــعَ الـــوُلاةُ جِـــرايـــةً ... كـــانـــوا بـــهـــا مُـــسْـــتَـــمـــسِـــكـــيـــنـــا
فـــامـــنُـــنْ بـــردِّ جـــمـــيـــع مـــا ... قـــطـــعـــوه غـــيـــرَ مـــراقِـــبـــيـــنـــا
أعـــطـــاك أفـــضـــلَ مـــا تـــؤمّـــ ... ـــمِـــلُ أفـــضـــلُ الـــمُـــتـــفـــضِّـــلـــيـــنـــا

[مجزوء الكامل]

قال: فأمر المتوكل له بما سأل. فقال يشكره:

يـا خـيـرَ مُـسـتَـخْـلَـفٍ مـن آل عـبَّـاسِ ... اسـلَـمْ ولـيـس عـلـى الأيـام مـن بـاسِ
أحـيَـيْـتَ مـن أمـلـي نِـضْـواً تـعـاوره ... تَـعـاقُـبُ الـيـأسِ حـتـى مـات بـالـيـاسِ

[البسيط]

[هجا مغنية فهربت]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدّثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك قال: كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضحَّاك ونحن على نبيذ؛ فعبِث بالمغنّية وجَمَّشها؛ فصاحت عليه واستخفّت به. فأنشأ يقول:

لـهـا فـي وجـهِـهـا عُـكَـنُ ... وثُـلـثـا وجـهـهـا ذَقَـنُ
وأسـنـانٌ كـريـشِ الـبـطْـ ... ـطِ بـيـن أصـولـهـا عَـفَـنُ

[مجزوء الوافر]

قال: فضحكنا، وبكت المغنِّيةُ حتى قلتُ: قد عَمِيَتْ؛ وما انتفعنا بها بقيَّة يومنا. وشاع هذان البيتان فكسَدَتْ من أجلهما. وكانت إذا حضرتْ في موضع أنشدوا البيتين فتُجَنّ. ثم هربتْ من سُرَّ من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً.

قال جعفر: وحدّثنا أبو العَيناء أنه حضر هذا المجلس، وحكى مثلَ ما حكاه محمد.

[سنه]

حدّثني عمي قال: حدّثني يزيد بن محمد المهلَّبيّ قال: سألت حسين بن الضحَّاك ونحن في مجلس المتوكل عن سنّه؛ فقال: لستُ أحفظ السنةَ التي وُلِدتُ

فيها بعينها، ولكني أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعبةَ بن الحجَّاج سنة ستين ومائة.

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال: حدّثني خالي (يعني أحمد بن حمدون) قال: أمر المتوكل أن يُنادمه حسين بن الضحَّاك ويلازمَه، فلم يُطِق ذلك لِكَبر سنّه. فقال للمتوكل بعضُ من حضر عنده:

هو يُطيق الذَّهابَ إلى القرى والمَواخيرِ والسكرَ فيها ويعجِز عن خدمتك! فبلغه ذلك، فدفع إليّ أبياتاً قالها وسألني إيصالها؛ فأوصلتُها إلى المتوكل، وهي:

أما في ثمانين وفَّيتُها ... عَذِيرٌ وإن أنا لم أعتذرْ
فكيف وقد جُزتُها صاعداً ... مع الصاعدين بتسع أخر
وقد رفع اللَّه أقلامَه ... عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة ... وألحد في دينه أو كفر
وإني لممن أُسَراء الإلْـ ... ـه في الأرض نُصْبَ صروف القدر
فإن يقض لي عملاً صالحاً ... أثاب وإن يقض شرًّا غفر
فلا تَلحَ في كِبَرٍ هدَّني ... فلا ذنبَ لي أن بلغت الكبر
هو الشيبُ حل بعَقْب الشباب ... فأعقبني خَوَراً من أَشَر
وقد بسط اللَّهُ لي عذره ... فمن ذا يلوم إذا ما عذر
وإني لفي كَنَفٍ مُغدِقٍ ... وعزٍّ بنصر أبي المنتصر
يباري الرياح بفضل السما ... ح حتى تَبَلَّدَ أو تَنحسر
له أكَّد الوحيُ ميراثَه ... ومن ذا يُخالف وَحْيَ السُّوَر
وما للحسود وأشياعِه ... ومَن كذَّب الحقَّ إلا الحجر

[المتقارب]

قال ابن حمدون: فلما أوصلتُها شيَّعتُها بكلامي أعذِره، وقلت: لو أطاق خدمةَ أمير المؤمنين لكان أسعدَ بها. فقال المتوكل: صدَقتَ، خُذْ له عشرين ألف درهم واحملها إليه؛ فأخذتُها فحملتُها إليه.

[ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق]

حدّثني عمّي قال: حدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال: حدّثني خالي عن حسين بن الضحّاك قال: ضربني الرشيد في خلافته لصُحبتي ولدَه، ثم ضربني الأمينُ لمُمايَلة ابنه عبد اللَّه، ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمد، ثم ضربني المعتصم

لمودّة كانت بيني وبين العبّاس بن المأمون، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل، وكلّ ذلك يَجري مجرى الوَلَع بي والتحذيرِ لي. ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعاً بالولَع بي، فتغاضب المتوكل عليّ. فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن كنتَ تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك، فاعلم أنّ آخر ضَرْب ضُرِبتُه بسببك. فضحك وقال: بل أُحسن إليك يا حسين وأصونك وأُكرمك.

[في أواخر أيامه]

حدّثني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدّثني محمد بن مروان الأبزاريّ[1] قال:

دخلت على حسين بن الضحّاك، فقلت له: كيف أنت؟ جعلني اللَّه فداءَك: فبكى ثم أنشأ يقول:

أصبحت من أُسَراء اللَّه مُحتَبَساً ... في الأرض نحو قضاء اللَّه والقدرِ
إن الثمانين إذ وفَّيتُ عِدَّتها ... لم تُبق بِاقيةً منِّي ولم تَذَرِ

[البسيط]

(١) نسبة إلى أبزار، وهي قرية بينها وبين نيسابور فرسخان.

أخبار أبي زكار الأعمى

قال أبو الفرج: أبو زكّار هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المُغنِّين، وكان منقطِعاً إلى آل برمك، وكانوا يُؤثِرونه ويُفضلون عليه إفضالاً.

فحدّثني محمد بن جعفر بن قُدامة قال: حدّثني محمد بن عبد اللَّه بن مالك الخُزاعيّ قال: سمعت مسروراً يحدِّث أبي قال:

لمَّا أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى، دخلت عليه وعنده أبو زكّار الأعمى وهو يغنِّيه بصوت لم أسمع بمثله:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي ... عليه الموتُ يطرُق أو يُغادي
وكل ذخيرة لا بد يوماً ... وإن بَقِيَتْ تصير إلى نفاد
ولو يُفدى من الحدثان شيءٌ ... فديتُك بالطَّريف وبالتِّلاد

[الوافر]

فقلت له: في هذا واللَّه أتيتُك! فأخذت بيده فأقمتُه وأمرت بضرب عنقه. فقال لي أبو زكّار: نَشَدتُك اللَّهَ إلّا ألحقتَني به. فقلتُ: وما رغبتُك في ذلك؟ قال: إنه أغناني عمّن سواه بإحسانه، فما أُحبُّ أن أبقى بعده. فقلت: أستأمِرُ أميرَ المؤمنين في ذلك. فلما أتيتُ الرشيدَ برأس جعفر أخبرته بقصَّة أبي زكّار؛ فقال لي: هذا رجل فيه مُصطَنَعٌ، فاضمُمْه إليك وانظر ما كان يُجريه عليه فأتْممه له.

حدّثني الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق قال:

غنّى عَلّويه يوماً بحضرة أبي؛ فقال أبي: مَهْ! هذا الصوت مُعرِقٌ في العمى. الشِّعر لبشَّار الأعمى، والغناء لأبي زكّار الأعمى، وأوّلُ الصوت «عميت أمري».

صـــوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

ما جَرَتْ خطرةٌ على القلبِ منّي ... فيكَ إلّا استترتُ عن أَصحابِي
من دموعٍ تَجري فإنْ كنتُ وَحدي ... خالياً أسْعَدت دُموعي انتحابي

إنَّ حُـبّـي إيّـاكَ قـد سَـلَّ جِـسـمـي ورَمـانـي بـالـشَّـيْـبِ قـبـلَ الـشـبـابِ
لـو مَـنـحـت الـلِّـقـا شَـفـى بـك صـبًّـا هـائـمَ الـقـلـبِ قـد ثَـوى فـي الـتـرابِ

[الخفيف]

الشعر في الأبيات للسيِّد الحِمَيريّ. والغناء لمحمد نَعجة الكوفيّ، مُغنّ غير مشهور ولا ممن خدم الخلفاء وليس له خبر. ولحنه المختارُ ثاني ثقيل مطلَق في مجرى البنصر. وذكر حبش أن لمحمد نعجة فيه أيضاً خفيفُ رمل بالبنصر.

أخبار السيد الحميري

السيِّد لقبُه. واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن رَبيعة بن مُفرِّغ الحِميري. ويُكنّى أبا هاشم. وأمه امرأَة من الأزْد ثم من بني الحُدّان. وجدُّه يزيد بن رَبيعة، شاعر مشهور، وهو الذي هجا زياد[١] وبنيه ونفاهم عن آل حرب؛ وحبسه عُبَيد اللَّه[٢] بن زياد لذلك وعذَّبه، ثم أطلقه معاوية. وخبرُه في هذا طويل يُذكر في موضعه مع سائر أخباره؛ إذ كان الغرض ها هنا ذكرَ أخبار السيِّد.

ووجدتُ في بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال: سمعتُ ابن عائشة والقَحذَميّ يقولان: هو يزيد بن مُفرِّغ، ومن قال: إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ. ومفرِّغ لقب ربيعة؛ لأنه راهن أن يشرب عُسًّا من لبن فشربه حتى فرَّغه؛ فلُقِّب مفرِّغاً. وكان شَعَّابًا بسَيالة، ثم صار إلى البصرة.

[شاعر متقدم مطبوع]

وكان شاعراً متقدّماً مطبوعاً. يقال: إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشَّار، وأبو العتاهية، والسيِّد؛ فإنّه لا يُعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع.

وإنّما مات ذكرُه وهجَر الناسُ شعرَه لما كان يُفرِط فيه من سَبّ أصحاب رسول اللَّه ﷺ وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفِهم والطعنِ عليهم، فتُحُومي شعرُه من هذا الجنس وغيرِه لذلك، وهجره الناس تخوُّفاً وتراقُباً. وله طِراز من الشعر ومذهبٌ قلَّما يُلحَقُ فيه أو يُقارَبه. ولا يُعرف له من الشعر كثيرٌ. وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذمّ غيرهم ممن هو عنده ضدٌّ لهم. ولولا أنّ أخباره كلها تجري هذا المجرى ولا تَخرج عنه لوجب ألّا نذكر منها شيئاً؛ ولكنَّا شَرَطنا أن نأتي بأخبار مَن نذكره من الشعراء؛ فلم نجد بُدًّا من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاها من سيّئ اختاره على قلّة ذلك.

---

(١) هو زياد ابن أبيه الأموي. كان والياً على العراق في أيام معاوية بن أبي سفيان.

(٢) هو عبيد اللَّه بن زياد ابن أبيه، ولي العراق لمعاوية ثم لابنه يزيد.

[شيعي من خارجي]:

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدَّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيِّد، قال ابن عمَّار: وحدَّثني أحمد بن سليمان بن أبي شَيخ عن أبيه:

أن أبَوَي السيِّد كانا إبَاضِيَّين[١]، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضَبَّة، وكان السيِّد يقول: طالما سُبّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة. فإذا سُئِل عن التشيُّع من أين وقع له، قال: غاصَتْ عليّ الرحمةُ غَوصاً.

ورُوي عن السيِّد أن أبويه لمَّا علما بمذهبه هَمَّا بقتله؛ فأتى عُقَبةَ بن سَلْم الهُنائيّ فأخبره بذلك، فأجاره وبَوّأه منزلاً وَهبه له، فكان فيه حتى ماتا فورِثهما.

وقد أخبرني الحسن بن علي البُرِّيّ عن محمد بن عامر عن القاسم بن الرَّبيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالحنزق راوية السيِّد الحِميري قال: ما مضى واللَّه إلّا على مذهب الكَيْسانيَّة[٢]. وهذه القصائدُ التي يقولها الناس مثل:

تـجـعـفـرتُ بـاسـم الـلَّـه والـلَّـه أكـبـر
وتـجـعـفـرت بـاسـم الـلَّـه فـيـمـن تـجـعـفـرا

وقوله:

أيـا راكـبـاً نـحـو الـمـديـنـة جـسـرة عـذافـرة تـهـوي بـهـا كـل سـبـسـب
إذا مـا هـداك الـلَّـه لاقـيـت جـعـفـراً فـقـل يـا أمـيـن الـلَّـه وابـن الـمـهـذب

[الطويل]

لغلام للسيِّد يقال له قاسم الخيَّاط، قالها ونَحَلها للسيِّد، وجازت على كثير من الناس ممن لم يعرف خبرَها، بمحل قاسم منه وخدمتِه إياه.

[أوصافه ومواهبه]:

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمّار قال: حدّثني علي بن محمد النَّوفليّ قال: حدّثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفُضَيل بن بشَّار قال:

كان السيِّد أسمرَ، تامَّ القامة، أشنبَ[٣]، ذا وَفْرةٍ[٤]، حسن الألفاظ، جميلَ

(١) الإباضية: أصحاب عبد اللَّه بن إباض وهي فرقة من الخوارج.
(٢) الكيسانية: فرقة من الشيعة الإمامية. (٣) الشنب: البياض والبريق والتحديد في الأسنان.
(٤) الوفرة: ما جاوز شحمة الأذنين من الشعر.

الخطاب، إذا تحدَّث في مجلس قومٍ أعطى كلَّ رجل في المجلس نصيبَه من حديثه.

أخبرني أحمد قال: حدّثني محمد بن عَبّاد عن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن لَبْطة بن الفرزدق قال:

تذاكرنا الشعراء عند أبي، فقال: إن ها هنا لرجلين لو أخَذا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء. فسألناه من هما؟ فقال: السيِّد الحِميريّ وعِمران بن حِطَّان السَّدوسيّ، ولكنّ اللَّه عز وجل قد شغَل كلَّ واحد منهما بالقول في مذهبه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ قال: حدّثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشار قال:

كان السيِّد أسمرَ، تامَّ الخلقة، أشنَبَ، ذا وَفرة، حسنَ الألفاظ، وكان مع ذلك أنتَنَ الناس إبطين، لا يقدِر أحدٌ على الجلوس معه لنَتْن رائحتهما.

قال: حدّثني التَّوَّزِيّ قال: رأى الأصمعيّ جزءاً فيه من شعر السيِّد، فقال: لمن هذا؟ فسترتُه عنه لعلمي بما عنده فيه؛ فأقسم عليّ أن أُخبِره فأخبرتُه؛ فقال: أنشِدني قصيدةً منه؛ فأنشدتُه قصيدةً ثم أخرى وهو يَستزيدني، ثم قال: قبحه اللَّه ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبُه ولولا ما في شعره ما قدّمتُ عليه أحداً من طبقته.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حدّثنا أبو حاتم قال: سمعت أبا عبيدة يقول: أشعر المُحدَثين السيِّد الحِميريّ وبشّار.

أخبرني عمّي قال: حدّثني الحسن بن عُلَيل العَنْزيّ عن أبي شُراعة القيسيّ عن مسعود بن بِشر.

أن جماعةً تذاكروا أمرَ السيِّد، وأنه رجَع عن مذهبه في ابن الحَنَفيّة وقال بإمامة جعفر بن محمد. فقال ابنُ الساحر راوِيتُه: واللَّه ما رجع عن ذلك ولا القصائدُ الجَعفريَّات إلا منحولةٌ له قيلتْ بعده. وآخرُ عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمِع رجلاً يروي عن النبيّ ﷺ أنه قال لعليّ رضي اللَّه عنه: «إنه سيُولد لك بعدي ولدٌ وقد نَحَلتُه اسمي وكُنيتي» فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها:

أشاقَتْكَ المنازِلُ بعد هندِ ... وتِربَيْها وذاتِ الدَّلِّ دعدِ
منازلُ أقفرت منهنّ محَّت[1] ... معالِمُهنَّ من سَبَلٍ[2] ورَعْدِ

(١) محت: عفت.
(٢) من المجاز: أسبل المطر: أرسل دفعه وتكاثف كأنما أسبل ستراً.

وريـحٍ حَـرْجَـفٍ[١] تـسـتـنُّ[٢] فـيـهـا ... بـسـافـي الـتُّـربِ تَـلْـحِـمُ مـا تُـسـدّي
ألـم يـبـلـغْـك والأنـبـاءُ تَـنْـمـي ... مَـقـالُ مـحـمـدٍ فـيـمـا يُـؤَدّي
إلـى ذي عـلـمِـهِ الـهـادي عـلـيٍّ ... وخـولـةُ خـادمٌ فـي الـبـيـتِ تَـرْدِي[٣]
ألـم تـرَ أنّ خـولـةَ سـوف تـأتـي ... بـواري الـزَّنـدِ صـافـي الـخِـيـمِ[٤] نَـجْـدِ
يـفـوزُ بـكُـنـيـتـي واسـمـي لأنّـي ... نَـحَـلْـتُـهـمـاه والـمَـهـديّ بـعـدي
يُـغـيَّـب عـنـهـم حـتـى يَـقـولـوا ... تَـضـمّـنـه بـطَـيْـبـةَ بـطـنُ لَـحْـدِ
سـنـيـنَ وأشـهـراً ويُـرى بِـرَضـوى ... بـشِـعْـبٍ بـيـن أنـمـارٍ وأُسْـدِ
مـقـيـمٌ بـيـن آرامٍ وعِـيـنٍ ... وحَـقّـانٍ[٥] تَـرُوحُ خـلالَ رُبْـدِ
تُـراعـيـهـا الـسِّـبـاع ولـيـس مـنـهـا ... مـلاقـيـهـنّ مُـفـتـرسـاً بـحَـدّ
أمِـنَّ بـه الـرَّدى فَـرَتَـعْـنَ طـوراً ... بـلا خـوفٍ لـدى مَـرعًـى ووِرْدِ
حـلـفـتُ بـربِّ مـكّـةَ والـمُـصَـلّـى ... وبـيـتٍ طـاهـرِ الأركـانِ فَـرْدِ
يـطـوفُ بـه الـحـجـيـجُ وكـلَّ عـام ... يـحـلُّ لـديـهِ وفـدٌ بـعـد وفـدِ
لـقـد كـان ابـنُ خـولـة غـيـرَ شـكٍّ ... صـفـاءُ ولايـتـي وخـلـوصُ ودِّي
فـمـا أحـدٌ أحـبُّ إلـيّ فـيـمـا ... أُسِـرُّ ومـا أبـوحُ بـه وأُبـدي
سـوى ذي الـوحـي أحـمـدَ أو عـلـيٍّ ... ولا أَزكـى وأطـيـبَ مـنـه عِـنـدي
ومـن ذا يـا ابـن خـولـةَ إذ رمـتـنـي ... بـأسـهـمـهـا الـمـنـيّـةُ حِـيـنَ وَعْـدِي
يـذبّـبُ عـنـكُـم ويَـسُـدُّ مـمّـا ... تـثـلَّـم مـن حُـصـونـكـم كَـسَـدّي
ومـا لـي أن أمـرَّ بـه ولـكـن ... أؤمّـلُ أن يـؤخَّـرَ يـومُ فَـقـدي
فـأدرك دولـةً لـك لـسـتَ فـيـهـا ... بـجـبّـارٍ فـتـوصـفَ بـالـتـعـدّي
عـلـى قـومٍ بَـغَـوْا فـيـكـمْ عـلـيـنـا ... لـتُـعـدي مـنـكـمُ يـا خـيـرَ مُـعْـدِ
لـتـعـلُ بـنـا عـلـيـهـم حـيـثُ كـانـوا ... بـغـورٍ مـن تِـهـامـةَ أو بِـنَـجْـدِ
إذا مـا سـرتَ مـن بـلـد حـرام ... إلـى مَـن بـالـمـديـنـة مـن مَـعَـدِّ

---

(١) حرجف: باردة.
(٢) تستن: تعدو فيها ذهاباً وإياباً.
(٣) تردي: تلعب.
(٤) أبو عبيد: الخيمُ: الشِّيمةُ.. وهي الطبيعة والخُلقُ. وقال غيره: خيم السَّيف: فرِنْدهُ و «خِيمٌ»: موضعٌ بعينه.
(٥) الحقان: صغار النعام.

وماذا غرَّهم والخيرُ منهم بأشوسَ[١] أعصلِ[٢] الأنيابِ وَرْدِ
وأنت لمن بَغى وعدا وأذكى عليك الحرب واسترداك مُرْدِ
[الوافر]

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة غناء، نسبته:

صوت

أشاقَتْكَ المنازِلُ بعد هندِ وتِربَيْها وذاتِ الدَّلِّ دعدِ
منازلُ أقفرت منهنّ محَّت معالِمُهنَّ من سَبَلٍ ورَعْدِ
[الوافر]

عروضه من الوافر. الشعر للسيِّد الحِميريّ. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبَّابة في مجرى البنصر عن يحيى المكيّ. وذكر الهشاميّ أنه لكَرْدَم. وذكر عمرو بن بانة أن اللَّحن لمالك ثقيلٌ أول بالوسطى.

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيِّد: كنتُ عنده يوماً في جَناح له، فأجال بصرَه فيه ثم قال: يا إسماعيل، طال واللَّه ما شُتِم أميرُ المؤمنين عليٌّ في هذا الجناح. قلت: ومن كان يفعل؟ قال: أبَواي. وكان يذهب مذهب الكَيسانيَّة ويقول بإمامة محمد ابن الحنفيَّة، وله في ذلك شعر كثير. وقد روى بعضُ من لم تَصِحَّ روايتُه أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإماميَّة[٣]، وله في ذلك:

تجعفرت باسم اللَّه واللَّه أكبر وأيقنت أن اللَّه يعفو ويغفرُ
[الطويل]

وما وجدنا ذلك في رواية مُحَصِّل، ولا شعرُه أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب، لأن هذا شعر ضعيفٌ يتبيّن التوليدُ فيه، وشعرُه في قصائده الكيسانيَّة مُبايِنٌ لهذا جزالةً ومتانةً، وله رونق ومعنى ليسا لِما يُذكر عنه في غيره.

---

(١) الشوس: النظر بمؤخرة العين وإمالة الوجه في شق العين التي تنظر بها، ويكون ذلك في الكبر والتيه أو الغضب.

(٢) العَصَلُ: اعوجاج الناب، قال: على شناحٍ نابُهُ لم يَعْصَلِ. شناح، أي: طويل. والأعْصَلُ من الرجال: الذي عَصِلَتْ ساقه فاعوجّتِ اعوجاجاً شديداً. ولا يقال العَصِلُ إلّا لكلّ معوجّ فيه صلابة وكزازة.

(٣) الإمامية: هم القائلون بإمامة علي نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد الثُّماليّ قال: حدّثني التَّوزيّ قال: قال لي الأصمعيّ: أُحِبّ أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحِميريّ فَعَلَ اللَّه به وفعل؛ فأتيتُه بشيء منه؛ فقرأه فقال: قاتله اللَّه! ما أطبَعه وأسلكه لسبيل الشعراء! واللَّه لولا ما في شعره من سبّ السَّلَف لَمَا تقدّمه من طبقته أحد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال:

أتيتُ أبا عبيدة مَعمَر بن المُثنّى يوماً وعنده رجلٌ من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً؛ فلما رآني أطبقه. فقال له أبو عبيدة: إن أبا زيد ليس ممن يُحتشم منه، فاقرأ. فأخذ الكتاب وجعل يقرؤه، فإذا هو شعر السيِّد. فجعل أبو عبيدة يَعْجَبُ منه ويستحسنه. قال أبو زيد: وكان أبو عبيدة يَرويه. قال: وسمعتُ محمد بن أبي بكر المُقدَّميّ يقول: سمعت جعفر بن سليمان الضُّبَعي يُنشد شعرَ السيِّد.

أخبرني ابن دُرَيد قال: سُئل أبو عبيدة مَنْ أشعرُ المولَّدين؟ قال: السيِّد وبشَّار.

وقال الموصليّ: حدَّثني عمي قال:

جمعتُ للسيِّد في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة؛ فخِلتُ أن قد استوعبتُ شعره، حتى جلس إليّ يوماً رجلٌ ذو أطمارٍ رَثّةٍ، فسمعني أُنشد شيئاً من شعره، فأنشدني له ثلاثَ قصائد لم تكن عندي. فقلت في نفسي: لو كان هذا يعلم ما عندي كلَّه ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجيباً، فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حَضره! وعرفتُ حينئذ أن شعرَه ليس مما يُدرك ولا يُمكن جمعُه كلّه.

[تقريعه لبشار]

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُرّاني عن ابن عائشة قال:

وقف السيّد على بشَّار وهو يُنشد الشعر؛ فأقبل عليه وقال:

أيّها المادح العبادَ لِيُعطى ... إنّ للَّهِ ما بأيدي العباد
فاسألِ اللَّهَ ما طلبتَ إليهم ... وارجُ نفعَ المُنَزِّل العَوَّادِ
لا تَقُلْ في الجوادِ ما ليس فيهِ ... وتُسمّي البخيلَ باسم الجوادِ

[الخفيف]

قال بَشَّار: من هذا؟ فعُرِّفَه؛ فقال: لولا أن هذا الرجل قد شُغِل عنّا بمدح بني هاشم لشغلَنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا. ورُوي في هذا الخبر أنّ عِمران بن

حطَّان الشَّاري[١] خاطب الفرزدق بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيّب عن أبي سعيد السكّريّ عن الطُّوسيّ قال: إذا رأيتَ في شعر السيِّد «دَعْ ذا» فدعه؛ فإنّه لا يأتي بعده إلا سَبُّ السّلف أو بليَّةٌ من بلاياه.

وروى الحسن بن عليّ بن المعتزّ الكوفيّ عن أبيه عن السيِّد قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم وكأنه في حديقةٍ سَبِخةٍ[٢] فيها نخل طِوالٌ وإلى جانبها أرض كأنها الكافورُ ليس فيها شيء؛ فقال: أتدْري لمن هذا النخل؟ قلت: لا يا رسول اللَّه؛ قال: لامرىء القيس بن حُجْر، فاقلَعْها واغْرِسها في هذه الأرض ففعلتُ. وأتيتُ ابن سِيرينَ فقَصَصْتُ رؤيايَ عليه؛ فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا؛ قال: أمَا إنك ستقول شعراً مثلَ شعر امرىء القيس إلا أنّك تقوله في قوم برَرَة أطهار. قال: فما انصرفتُ إلا وأنا أقول الشعر.

قال الحسن: وحدّثني غانم الورّاق قال: خرجت إلى بادية البصرة فصِرتُ إلى عمرو بن تميم، فأثبتني بعضُهم فقال: هذا الشيخُ واللَّه راوية. فجلسوا إليّ وأنِسوا بي، وأنشدتُهم، وبدأتُ بشعر ذي الرَّمّة فعرَفوه، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما، ثم أنشدتُهم للسيِّد:

أتعرفُ رَسماً بالسويّين قد دَثر ... عَفتْهُ أهاضيبُ[٣] السَّحائِب المَطَرْ
وجرَّت به الأذيالَ رِيحان خِلفةً ... صَباً ودَبورٌ بالعشيّاتِ والبُكَرْ
منازلُ قد كانت تكونُ بجوِّها ... هَضيمُ الحشا ريّا الشَّوى سحرُها النَّظرْ
قطوفُ الخُطا خمصانةٌ بَختريّةٌ[٤] ... كأنّ مُحيّاها سَنا دارةِ القمرْ
رَمتني ببعدٍ بعد قربٍ بها النّوى ... فبانَت ولمَّا أقضِ من عبدةَ الوَطَرْ
ولمّا رأتني خشيةَ البينِ موجعاً ... أُكَفكِف منّي أدمعاً فيضُها دُرَرْ

(١) الشاري: أحد الشراة وهم طائفة من الخوارج يزعمون أنهم شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم.
سلام على من بايع اللَّه شارياً ... وليس على الحزب المقيم سلام

(٢) السبخة: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

(٣) الهَضْبَةُ: المطرَةُ. يقال: هَضَبَتْهُمُ السماء، أي مَطَرتهم. والجمع هِضَبٌ. وقال أبو زيد: الأهاضيب واحدها هضابٌ. وواحد الهِضب هَضْبٌ، وهي حَلَبات القَطرِ بعد القطر.

(٤) البَخْتَريُّ: المُتَبَخْتِرُ في مَشْيِهِ، وهي مِشْيَةُ المتكبر المعجب بنفسه. ورجل بِخْتِيرٌ وبَخْتَرِيٌّ: صاحبُ تَبَخْتُرٍ، وقيل: حَسَنُ المشي والجسم، والأُنثى بَخْتَرِيَّة. والبَخْتَريُّ من الإبل: الذي يَتَبَخْتَرُ أي يختال. وبَخْتَريٌّ: اسمُ رجل.

أشـارت بـأطـرافٍ إلـيَّ ودمـعُـهـا كَـنَـظْـمِ جُـمـان خـانـه الـسِّـلـكُ فـانْـتَـثَـرْ
وقـد كـنـتُ مـمّـا أحـدث الـبـيـنُ حـاذراً فـلـم يُـغـنِ عـنّـي مـنـه خـوفـيَ والـحـذرْ
[الطويل]

قال: فجعلوا يُمرِّقون[1] لإنشادي ويطرَبون، وقالوا: لمن هذا؟ فأعلمتهم؛ فقالوا: هو واللَّه أحدُ المطبوعين، لا واللَّه ما بقي في هذا الزمان مثلُه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمشقيّ قال: حدّثنا الزبير بن بَكَّار قال: سمعتُ عمي يقول:

لو أنّ قصيدةَ السيِّد التي يقول فيها:

إنّ يـومَ الـتـطـهـيـرِ يـومٌ عـظـيـمٌ خُـصَّ بـالـفـضـلِ فـيـه أهـلُ الـكـسـاءِ[2]
[الخفيف]

قُرئت على منبر ما كان فيها بأسٌ، ولو أن شعره كلَّه كان مثله لرويناه وما عيَّبناه.

وأخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال: حدّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال: حدّثنا نافع عن التَّوَّزِيّ بهذه الحكاية بعينها فإنّه قالها في:

إن يـوم الـتـطـهـيـر يـوم عـظـيـم

قال: ولم يكن التَّوَّزيّ متشيِّعاً.

قال عليّ بن المغيرة: حدّثني الحسين بن ثابت قال:

قدِم علينا رجل بدويٌّ وكان أروى الناس لجرير، فكان يُنشدني الشيء من شعره، فأُنشِد في معناه للسيِّد حتى أكثرتُ. فقال لي: ويحك! من هذا؟ هو واللَّه أشعر من صاحبنا.

[مدح السفاح]

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال: حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ عن ابن عائشة قال:

لمَّا استقام الأمر لبني العبَّاس قام السيِّد إلى أبي العبَّاس السفَّاح حين نزل عن المنبر فقال:

دونـكـمـوهـا يـا بَـنـي هـاشـمٍ فـجـدِّدُوا مـن عـهـدِهـا الـدارِسـا

(١) يمرقون: يغنون. والتمريق: ضرب من الغناء وهو غناء السفلة والإماء.
(٢) أهل الكساء: هم أهل بيت النبوة.

دُونَكُموها لا علا كعبُ[1] من ... أمسى عليكم مُلْكَها نافِسا
دونَكموها فالبَسوا تاجَها ... لا تَعدَموا منكمْ لهُ لابِسا
لو خُيِّر المِنبرُ فرسانَه ... ما اختارَ إلّا منكمُ فارِسا
قد ساسها قبلكم ساسة ... لم يتركوا رَطْباً ولا يابِسا
فلستُ من أن تملكوها إلى ... هبوطِ عيسى منكمُ آيِسا

[السريع]

فسرّ أبو العباس بذلك، وقال له: أحسنتَ يا إسماعيل! سَلْني حاجتَك، قال: تُوَلّي سليمان بن حبيب الأهواز، ففعل.

وذكر التَّميميّ ـ وهو علي بن إسماعيل ـ عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد اللَّه بن جعفر بن محمد إذ استأذن آذِنُه للسيِّد، فأمره بإيصاله، وأقعد حُرَمَه خلف سترٍ. ودخل فسلَّم وجلس. فاستنشده فأنشده قولَه:

أُمررْ على جدثِ الحسيـ ... ـن وقل لأعظُمِه الزكيّهْ
فإذا مررتَ ببقبرهِ ... فأطلْ به وقفَ المطيّهْ
وابكِ المطهَّرَ للمطـ ... ـهَرِ والمطهّرةِ الزكيّهْ
يا أعظُماً لا زلتِ من ... وَطفاءَ ساكبةٍ رويّهْ
كَبُكاءِ مُعوِلَةٍ أتت ... يوماً لواحدها المنِيَّه

[مجزوء الكامل]

قال: فرأيتُ دموع جعفر بن محمد تتحدّر على خدّيه، وارتفع الصُّراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك. قال: فحدّثت أبي بذلك لمَّا انصرفت؛ فقال لي: ويلي على الكَيسانيّ الفاعل ابن الفاعل! يقول:

فإذا مررتَ ببقبرهِ ... فأطلْ به وقفَ المطيّهْ

[مجزوء الكامل]

فقلت: يا أبتِ، وماذا يصنع؟ قال: أوَ لا يَنحر! أو لا يقتُل نفسه! فثكِلَتْه أمه!

حدّثني أبو جعفر الأعرج ـ وهو ابن بنت الفضيل بن بشَّار ـ عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيِّد ـ وهو الذي يقول فيه السيِّد في بعض قصائده:

وإسماعيلُ يَبْرُزُ من فلانٍ ... وَيَزْعُمُ أنَّه للنَّارِ صالي

[الوافر]

(١) لا علا كعبه: لا شرفه اللَّه ولا أسعده.

ـ قال: تلاحى رجلانِ من بني عبد اللَّه بن دارِم في المُفاضلة بعد رسول اللَّه ﷺ؛ فرضِيا بحكم أول من يطلُع. فطلع السيِّدُ، فقاما إليه وهما لا يعرفانه، فقال له مُفضِّل عليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه منهما: إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول اللَّه ﷺ، فقلت: عليّ بن أبي طالب. فقطع السيِّدُ كلامَه ثم قال: وأيَّ شيء قال هذا الآخرُ ابنُ الزانية! فضحك مَن حضر ووَجم الرجلُ ولم يُحِرْ جواباً.

وقال التَّميميّ: وحدّثني أبي قال: قال لي فُضَيل الرسان:

أُنشِد جعفرُ بن محمد قصيدةَ السيِّد:

لأمِّ عـــمـــرٍو بـــالـــلِّـــوى مَـــربَـــعُ دارســـةٌ أعـــلامُـــهُ بَـــلْـــقَـــعُ

[السريع]

فسمِعتُ النَّحيبَ من داره. فسألني لمن هي، فأخبرتُه أنها للسيِّد، وسألني عنه فعرَّفتُه وفاتَه؛ فقال: رحمه اللَّه. قلت: إنّي رأيتُه يشرب النبيذَ في الرُّستاق[1]؛ قال: أتعني الخمر؟ قلت: نعم. قال: وما خطرُ ذنبٍ عند اللَّه أن يغفِره لمُحِبِّ عليٍّ.

[كان يقول بالرجعة]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى قال: جاء رجلٌ إلى السيِّد فقال: بلغني أنك تقول بالرَّجعة[2]، فقال: صدق الذي أخبرك، وهذا ديني، قال: أفتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرَّجعة؟ قال السيِّد: نعم وأكثر من ذلك إن وثَّقتَ لي بأنك تَرجِع إنساناً. قال: وأيَّ شيء أرجع! قال: أخشى أن ترجِع كلباً أو خِنزيراً فيذهب مالي؛ فأفحمه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني عبد اللَّه بن أبي سعد قال جعفرُ بن عفَّان الطائي الشاعر: أهدى إليَّ سليمان بن علي مُهراً أعجبني وعزَمْتُ تربيتَه. فلمّا مضت عليّ أشهرٌ عزَمتُ على الحجّ، ففكّرت في صديق لي أُودِعه المهرَ ليقومَ عليه، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حَفْص، فصِرتُ إليه فسألته أن يأمر سائسَه بالقيام عليه وخبّرتُه بمكانه من قلبي؛ ودعا بسائسه فتقدّم إليه في ذلك؛ ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيتُه به، ومضيتُ إلى الحجّ. ثم انصرفتُ وقلبي متعلِّق، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حالَ المهر، فإذا هو قد رُكِبَ حتى دَبِرَ ظهرُه وعَجِفَ من قلَّة القيام عليه. فقلت له: يا أبا حفص،

(١) الرستاق: السواد والقرى.

(٢) الرجعة: أن يؤمن بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت.

أهكذا أوصيتُك في هذا المهر! فقال: وما ذنبي! لم يَنجَع فيه العَلَفُ. فانصرفتُ به وقلت:

مَنْ عَاذِرِي من أبي حفص وَثِقْتُ به ... وكان عندي له في نفسِهِ خَطَرُ
فَلَمْ يَكُنْ عند ظَنِّي في أمانته ... والظنّ يُخلَف والإنسانُ يُخْتَبَرُ
أضاعَ مهري ولم يُحْسِن وِلايَتَه ... حتى تَبَيَّنَ فيه الجَهْدُ والضَّرَرُ
عاتَبْتُهُ فيه في رِفْقٍ فَقُلْتُ له ... يا صاحِ هل لك من عُذْرٍ فَتَعْتَذِرُ
فَقالَ داءٌ به قِدْماً أَضَرَّ بِهِ ... وداؤُهُ الجوعُ والإتعاب والسفرُ
قَدْ كان لي في اسمِهِ عَنْهُ وكُنْيَتِه ... لو كُنْتُ مُعْتَبِراً ناهٍ ومُعْتَبَرُ
فَكَيْفَ يَنْصَحُنِي أو كيف يَحْفَظُني ... يوماً إذا غِبْتُ عنه واسمه عمرُ
لو كان لي وَلَدٌ شتى لَهُم عَدَدٌ ... فيهم سميّوه إن قلّوا وإن كَثُرُوا
لم ينصحوا لي ولم يُبقُوا عليّ ولو ... ساوى عديدَهُمُ الحصباءُ والشَّجَرُ

[البسيط]

[نصيحته للمهدي]

قال: وحدّثني أبو سليمان النَّاجي قال: جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صِلاتٍ لهم وهو وليُّ عهدٍ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قُريش. فجاء السيِّد فرفع إلى الرّبيع رقعةً مختومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصِلها إليه، فأوصلها، فإذا فيها:

قُلْ لابن عَبَّاسٍ سِمِيِّ محمدٍ ... لا تُعطينّ بني عَدِيٍّ[1] دِرهما
احرِمْ بني تيم بن مرّةَ[2] إنّهم ... شرُّ البَرِيَّةِ آخراً ومُقدَّما
إن تعطهم لا يَشكروا لكَ نعمةً ... ويكافئوك بأنْ تُذَمَّ وتُشتَما
وإن ائتمنتهمُ أو استعملتهمْ ... خانوك واتّخذوا خَراجَكَ مَغنما
وَلَئِن مَنَعْتَهمُ لقد بَدؤوكمُ ... بالمنعِ إذ مَلكوا وكانوا أَظلما
مَنعوا تُراثَ محمدٍ أعمامَهُ ... وابنَيه وابنَتَه عديلةَ مَريما
وتأَمَّروا من غير أن يُستَخلَفوا ... وكفَى بما فعلوا هنالكَ مأْثَما
لم يشكروا لمحمدٍ إنعامَهُ ... أفيشكرونَ لغيرِهِ إنْ أنعما

(١) هم بنو عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب.
(٢) هم رهط أبي بكر الصديق.

والـلَّـهُ مَـنَّ عـلـيـهـم بـمـحـمـدٍ وهـداهـمُ وكـسـا الـجـنـوبَ وأطـعَـمـا
ثـمّ انـبـروا لـوصـيّـه ووِلِـيِّـهِ بـالـمُـنْـكَـراتِ فـجـرَّعـوهُ الـعَـلْـقَـمـا
[الكامل]

وهي قصيدةٌ طويلة حُذف باقيها لقبح ما فيه. قال: فرمى بها إلى أبي عُبيد اللَّه ثم قال: اقطع العطاء فقطَعه، وانصرف الناس؛ ودخل السيِّد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبِلنا نصيحتَك يا إسماعيل، ولم يُعطهم شيئاً. أخبرني به عمي عن محمد بن داود بن الجرّاح عن إسحاق النَّخعيّ عن أبي سليمان الرِّياحيّ مثلَه.

[مناظرته شيطان الطاق]

أخبرني الحسن بن محمد بن الجمهور القُمِّيّ قال: حدّثني أبي قال: حدّثني أبو داود المسترِق راويةُ السيد: أنه حضر يوماً وقد ناظره محمد بن عليّ بن النعمان المعروف بشَيطان الطّاق في الإمامة، فغلبَه محمد في دفع ابن الحنفيّة عن الإمامة؛ فقال السيِّد:

ألا يـا أيّـهـا الـجَـدِلُ[1] الـمُـعَـنِّـي لـنـا، مـا نـحـنُ وَيـحَـكَ والـعَـنـاءُ!
أَتُـبـصِـرُ مـا نـقـول وأنـتَ كـهـلٌ تـراك عـلـيـكَ مـن وَرَعٍ رِداءُ
ألا إنّ الأئـمّـةَ مـن قـريـشٍ ولاةُ الـحـقِّ أربـعـةٌ سـواءُ
عـلـيٌّ والـثـلاثـةُ[2] مـن بـنـيـهِ هـم أسـبـاطُـه والأوصـيـاءُ
فـأنّـى فـي وَصـيّـتـه إلـيـهـمْ يـكـونُ الـشـكُّ مِـنّـا والـمِـراءُ
بـهـم أوصـاهُـمُ ودعـا إلـيـهـم جـمـيـعَ الـخـلـقِ لـو سُـمِـعَ الـدُّعـاءُ
فَـسِـبْـطٌ سِـبـطُ إيـمـانٍ[3] وحِـلْـم وسـبـطٌ غَـيَّـبـتْـهُ كَـرْبَـلاءُ[4]
سَـقـى جَـدَثـاً تـضـمّـنـه مُـلِـثٌّ[5] هَـتـوفُ الـرَّعـد مُـرْتَـجِـزٌ[6] رِواءُ[7]

(١) الجدل: الكثير الخصومة والنقاش.
(٢) يعني الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية.
(٣) سبط الإيمان هو الحسن بن علي.
(٤) يعني به الحسين بن عليّ بن أبي طالب.
(٥) ألثّ السحاب: دام، وسحاب ملثّ العزالي. قال:
فـمـا روضـة مـن ريـاض الـقـطـا ألـثّ بـهـا عـارض مـمـطـر
وفلان يلثّ بالمكان: لا يبرح. وفي الحديث: «ولا تلثّوا بدار معجزة».
(٦) ارتجز الرعد: تتابع صوته.
(٧) الرّواء من الماء: الذي يكونُ للواردِ فيه رِيّ.

تَـظَـلُّ مُـظـلّـةً مـنـهـا عَـزالٍ[١] عـلـيـه وتَـغـتـدي أُخـرى مِـلاءُ
وسـبـطٌ لا يـذوقُ الـمـوتَ[٢] حـتـى يـقـودَ الـخـيـلَ يَـقْـدُمـهـا الـلِّـواءُ
مـن الـبـيـتِ الـمـحـجَّـبِ فـي سَـراةٍ شُـراةٍ لَـفَّ بـيـنـهـمُ الإخـاءُ
عـصـائـبُ لـيـسَ دونَ أغـرَّ أجـلـى بـمـكّـةَ قـائـمٍ لـهـمُ انـتـهـاءُ

[الوافر]

ـ وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثير ـ ذكر ذلك ابنُ أبي سعد فقال: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفَليّ قال: حدّثني إبراهيم بن هاشم العَبْديّ البصريّ قال:

رأيت النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه السيِّدُ الشاعر وهو يُنشد:

أجَـدَّ بـآلِ فـاطـمـةَ الـبـكـورُ فـدمـعُ الـعـيـن مُـنْـهَـمِـرٌ غـزيـرُ

[الوافر]

حتى أنشده إيَّاها على آخرها وهو يسمع. قال: فحدّثتُ هذا الحديثَ رجلاً جمعتْني وإياه طُوسُ[٣] عند قبر عليّ بن موسى الرِّضا، فقال لي: واللَّه لقد كنتُ على خلافٍ فرأيتُ النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه رجل يُنشد:

أجـد بـآل فـاطـمـة الـبـكـور

إلى آخرها؛ فاستيقطتُ من نومي وقد رسَخ في قلبي من حبّ عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه ما كنتُ أعتقِدُه.

أخبرني وكيع قال: حدّثني إسحاق بن محمد قال: حدّثنا أبو سليمان النّاجي ومحمد بن حَليم الأعرج قالا:

كان السيِّد إذا استُنشِدَ شيئاً من شعره لم يَبدأ بشيء إلا بقوله:

أجـد بـآل فـاطـمـة الـبـكـور فـدمـع الـعـيـن مُـنْـهـمـر غـزيـرُ

[الوافر]

[شاعريته]:

قال إسحاق: وسمعتُ العُتبيَّ يقول: ليس في عصرنا هذا أحسنُ مذهباً في شعره

(١) العزالي: مصب الماء من الراوية والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء.
(٢) هو محمد ابن الحنفية، الذي يقال إنه غاب في جبل رضوى.
(٣) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، بها قبر هارون الرشيد.

ولا أنقى ألفاظاً من السيِّد، ثم قال لبعض من حضر: أنشِدنا قصيدتَه اللّاميَّة التي أنشدْتناها اليوم؛ فأنشده قوله:

هـل عـنـدَ مـن أحـبـبـتَ تَـنـويـلُ أم لا فـإنّ الـلَّـوْمَ تَـضـلـيـلُ
أم فـي الـحـشـى مـنـك جـوًى بـاطـنٌ لـيـس تُـداويـهِ الأبـاطـيـلُ
عُـلِّـقـتَ يـا مـغـرورُ خَـدَّاعـةً بـالـوعـدِ مـنـهـا لـكَ تَـخـيـلُ
ريَّـا رداحَ[1] الـنَّـوْمِ خُـمـصـانـةً كـأنّـهـا أدمـاءُ[2] عُـطـبـولُ[3]
يَـشـفـيـكَ مـنـهـا حـيـنَ تَـخـلـو بـهـا ضَـمٌّ إلـى الـنَّـحـرِ وتَـقـبـيـلُ
وذوقُ رِيـقٍ طـيّـبٍ طـعـمُـه كـأنّـه بـالـمِـسـكِ مَـعْـلـولُ
فـي نـسـوةٍ مـثـلِ الـمَـهـا خُـرَّدٍ تَـضـيـقُ عـنـهـنَّ الـخَـلاخِـيـلُ

[السريع]

يقول فيها:

أقـسـمُ بـالـلَّـهِ وآلائِـهِ والـمـرءُ عـمـا قـال مَـسْـؤولُ
إنَّ عـلـيَّ بـنَ أبـي طـالـبٍ عـلـى الـتُّـقـى والـبِـرِّ مَـجـبـولُ

[السريع]

فقال العتبيّ: أحسن واللَّه ما شاء، هذا واللَّه الشعر الذي يهجُم على القلب بلا حجاب.

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة لمُخارِق رَمَلٌ بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر حَبَش أنه للغَريض. وفيه لحنٌ لسليمان من كتب بَذْل غيرُ مجنَّس.

أخبرني عمي قال: حدّثني محمد بن داود بن الجرَّاح قال: حدَّثني إسحاق بن محمد النّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقبة عن إسحاق بن ثابت العطَّار قال:

كنّا كثيراً ما نقول للسيِّد: ما لك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء؟ قال: لأنْ أقول شعراً قريباً من القلوب يَلَذُّهُ مَن سمِعه خيرٌ من أن أقول شيئاً متعقّداً تضِلّ فيه الأوهام.

أخبرني أحمد بن عمَّار قال: أخبرنا يعقوب بن نُعيم قال: حدّثني إبراهيم بن

(١) ناقةٌ رَداحٌ: ضَخْمة العَجيزة والمآكِم.
(٢) الأدماء: الظبية.
(٣) العُطْبولُ من النساء: الحسنةُ التامّة الطويلة العنق.

عبد اللَّه الطَّلحيّ راويةُ الشعراء بالكوفة قال: حدّثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرَّباح ومحمد بن سَلَمة، يزيد بعضُهم على بعض: إنَّ السيّد لمّا قدِم الكوفةَ أتاه محمد بن سهل راويةُ الكميت؛ فأقبل عليه السيِّد فقال:

من الذي يقول:

يَعِيبُ عليّ أقوامٌ سَفَاهاً ... بأن أُرْجِي[1] أبا حسن عليَّا
وإرجائي أبا حسن صوابٌ ... عن العُمَرَينِ[2] بَرًّا أو شَقِيَّا
فإنْ قَدَّمْتُ قوماً قال قَومٌ ... أسَأْتَ وكُنْتَ كَذَّاباً رَديّا
إذا أيقَنْتُ أنَّ اللَه ربِّي ... وأرسل أحمَداً حَقًّا نَبيّا
وأنَّ الرُّسلَ قد بُعِثوا بِحَقٍّ ... وأنَّ اللَّه كان لهم وليّا
فَلَيْسَ عليّ في الإرجاء بأسٌ ... ولا لَبْسٌ ولَست أخافُ شيّا

[الوافر]

فقال محمد بن سهل: هذا يقوله مُحارب بن دِثار الذُّهليّ فقال السيد: لا كان اللَّه وليًّا للعاضِّ بَظْرَ أمّه! من يُنشدنا قصيدة أبي الأسود:

أُحِبّ مُحَمَّداً حُبًّا شديداً ... وعبَّاساً وحمزةَ والوصيَّا

[الوافر]

فأنشده القصيدةَ بعضُ من كان حاضراً؛ فطفِق يَسُبّ محاربَ بن دِثار ويترحّم على أبي الأسود. فبلغ الخبرُ منصوراً النَّمريّ فقال: ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته، ثم قال:

يَوَدُّ مُحَارِبٌ لو قد رآها ... وأبصرهم حَوالَيها جُثِيّا
وأنَّ لسانَهُ مِنْ نابِ أفعى ... وما أرجا أبا حسن عليّا
وأنَّ عَجوزَه مَصَعَت[3] بِكَلْبٍ ... وكانَ دِمَاءُ ساقَيها جَرِيّا
مَتَى تُرجِىء أبا حسن عليًّا ... فَقَدْ أرجَيْتَ يا لُكَعٌ نَبيّا

[الوافر]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال: حدّثنا أحمد بن القاسم البزِّيّ قال: حدّثني إسحاق بن محمد النّخَعيّ قال: حدّثني إبراهيم بن الحسن الباهِليّ قال: دخلتُ

(١) الإرجاء: التأخير والانتظار.
(٢) العمران هما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب.
(٣) مصعت: رمت.

على جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ ومعي أحاديثُ لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم، وكان كثيراً ما يُنشد شعرَ السيِّد، فمن أنكره عليه لم يحدّثه؛ فسمعتُه يُنشدهم:

ما تعدِلُ الدنيا جميعاً كُلُّها ... من حوضِ أحمدَ شربةً من ماءِ

[الكامل]

ثم جاءه خبر فقام. فقلت للذين كانوا عنده: من يقول هذا الشعر؟ قالوا: السيد الحميريّ.

حدّثني عمي والكُرانيّ قالا: حدّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد عن عبد اللَّه بن الحسين عن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن الحارث بن صفوان، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه.

أن السيّد كان بالأهواز؛ فمرّت به امرأة من آل الزبير تُزَفّ إلى إسماعيل بن عبد اللَّه بن العباس، وسمِع الجَلَبَة فسأل عنها فأُخبر بها؛ فقال:

أتتنا تُزفُّ على بَغلة ... وفوقَ رِحالتها قُبَّهْ
زبيريّةٌ من بنات الذي ... أحلَّ الحرامَ من الكعبَهْ
تُزفُّ إلى ملكٍ ماجدٍ ... فلا اجتمعا وبها الوَجْبَهْ

[المتقارب]

روى هذا الخبَر إسماعيلُ بن الساحر فقال فيه: فدخلتْ في طريقها إلى خَرِبَةٍ للخَلاء، فنهَشَتها أفعى فماتت؛ فكان السيّد يقول: لَحِقَتها دعوتي.

حدّثني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدَّثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجَعفريّ ـ وهو محمد بن عبد اللَّه بن الحسين بن عبد اللَّه بن إسماعيل بن جعفر ـ قال: أخبرني أبي قال: خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيّدُ وعليه ثيابُ خَزّ وجُبَّةٌ ومِطرَفٌ وعِمامة؛ فجعل يَجُرّ مِطرَفه ويقول:

اهبِط إلى الأرضِ فخذْ جلمداً ... ثمّ ارمِهم يا مزنُ بالجَلْمَدِ
لا تسقهم من سَبَل قطرةً ... فإنّهمْ حربُ بني أحمدِ

[السريع]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حدّثنا محمد بن إسحاق البَغَويّ قال: حدّثنا الحِرمازِيّ قال: حدّثني رجل قال:

كنت أختلف إلى ابنَي قيس، وكانا يرويان عن الحسن؛ فلقيني السيِّد يوماً وأنا

منصرِف من عندهما، فقال: أرِني ألواحَك أكتب فيها شيئاً وإلا أخذتُها فمحوت ما فيها. فأعطيتُه ألواحي فكتب فيها:

لَشَربةٌ من سَويقٍ عندَ مَسْغَبةٍ وأكلةٌ من ثريدٍ لحمُه واري
أشدُّ ممّا رَوى حُبًّا إليَّ بنو قيسٍ وممّا رَوى صلتُ بنُ دينارِ[1]
ممّا رَواه فلان عن فلانِهم ذاكَ الذي كان يَدعوهم إلى النارِ

[البسيط]

أخبرني أحمد بن عليّ الخفَّاف قال: حدّثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طَباطَبا قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول: رأيتُ رسول اللَّه ﷺ في النوم وقُدَّامَه رجلٌ جالس عليه ثيابٌ بِيضٌ؛ فنظرتُ إليه فلم أعرِفه، إذ التفتَ إليه رسول اللَّه ﷺ فقال: يا سيِّد، أنشدْني قولك:

لأم عمرو في اللوى مربع

فأنشده إيّاها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتُها عنه كلّها في النوم. قال أبو إسماعيل: وكان يزيد بن موسى لَحَّانَةً رديء الإنشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيدةَ لم يَتَتَعْتَع[2] فيها ولم يَلحَن.

وقال محمد بن داود بن الجرَّاح في روايته عن إسحاق النَّخَعي: حدّثني عبد الرحمن بن محمد الكُوفيّ عن عليّ بن إسماعيل الهَيثَميّ عن فُضَيل الرسان قال: دَخَلْتُ على جعفر بن محمدٍ أُعَزِّيه عن عمه زيد، ثم قلت له: ألا أُنشِدُك شعرَ السيّد؟ فقال: أنشِد؛ فأنشدتُه قصيدةً يقول فيها:

فالناسُ يومَ البعث راياتُهم خَمسٌ فمنهمْ هالكٌ أربَعُ[3]
قائدُها العِجلُ وفِرعونها وسامريُّ الأُمَّةِ المُفْظِعُ
ومارقٌ من دينه مُخْرَج أسودُ عبدٌ لُكَعٌ أَوْكَعُ[4]
ورايةٌ قائِدُها وجهُه كأنّه الشمسُ إذا تطلُعُ

[السريع]

---

(١) هو الصلت بن دينار الأزدي البصري، كان ضعيف الحديث، روى الكثير من الأحاديث التي تنال من الامام علي بن أبي طالب وتنتقص من قدره.

(٢) التعتعة في الكلام: أن يعيا بكلامه ويتردّد من حصر أو عيّ.

(٣) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

فالناسُ يومَ الحَشرِ آياتُهم خَمسٌ فمنهمْ هالكٌ أربَعُ

(٤) الأوكع: اللئيم.

فسمعتُ مجيباً من وراء الستور فقال: من قائل هذا الشعر؟ فقلت: السيّد! فقال: رحمه اللَّه. فقلت: جُعِلت فِداك! إني رأيتُه يشرب الخمر. فقال: رحمه اللَّه! فما ذنبٌ على اللَّه أن يغفِره لآل عليّ! إنّ محبَّ عليّ لا تزِلّ له قَدَمٌ إلا تَثبُتُ له أخرى.

حدَّثني الأخفَش عن أبي العَيناء عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه ذكر السيِّد فترحّم عليه وقال:

إن زلَّت له قَدَمٌ فقد ثَبَتتِ الأخرى.

[تعصبه]

نسختُ من كتاب الشَّاهِيني حدّثني محمد بن سهل الحِميَريّ عن أبيه قال: انحدر السيِّد الحِميَريّ في سفينة إلى الأهواز، فَمارَاه رجلٌ في تفضيل عليّ وباهلَه[1] على ذلك. فلما كان الليل قام الرجل ليبولَ على حرف السفينة، فدفَعه السيِّد فغرَّقه؛ فصاح الملّاحون: غرِق واللَّه الرجلُ! فقال السيِّد: دعوه فإنّه باهليٌّ.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفَش قال: حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال: حدّثني التَّوَّزِيّ قال: جلس السيِّدُ يوماً إلى قوم، فجعل يُنشدهم وهم يَلغَطون؛ فقال:

قد ضيّع اللَّهُ ما جمّعتُ من أدبٍ ... بين الحميرِ وبين الشاءِ والبقرِ
لا يسمعونَ إلى قول أجيءُ بهِ ... وكيفَ تَستمعُ الأنعامُ للبَشَرِ
أقولُ ما سَكتوا إنسٌ فإن نَطقوا ... قلتُ الضفادعُ بين الماء والشَّجَرِ

[البسيط]

أخبرني محمد بن جعفر النَّحويّ قال: حدّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ قال: حدّثنا إسحاق بن محمد النّخَعيّ عن محمد بن الرَّبيع عن سُويد بن حَمدان بن الحُصَين قال: كان السيّدُ يختلف إلينا ويَغشانا، فقام من عندنا ذاتَ يوم، فخَلَفه رجل وقال: لكم شرفٌ وقَدْر عند السلطان، فلا تجالسوا هذا فإنّه مشهور بشُرب الخمر وشتمِ السلف. فبلغ ذلك السيِّدَ فكتب إليه:

وصفتُ لك الحوضَ يا ابنَ الحُصين ... على صفةِ الحارثِ الأعورِ
فإنْ تُسقَ منه غَداً شُربةً ... تَفُزْ من نَصيبِكَ بالأوفرِ
فما ليَ ذنبٌ سوى أنّني ... ذكرتُ الذي فرَّ عن خَيبَرِ

(١) المباهلة: الملاعنة.

ذكـــرتُ امـــرأ فـــرَّ عـــن مِـــرْحَـــبٍ فِـــرار الـــحـــمـــارِ مـــن الـــقَـــسْـــوَرِ
فـــأنـــكـــرَ ذاك جـــلـــيـــسٌ لـــكـــمْ زنـــيـــمٌ أخـــو خُـــلُـــقٍ أعـــورِ
لَـــحـــانـــي بـــحـــبِّ إمـــامِ الـــهُـــدى وفـــاروقِ أمّـــتِـــنـــا الأكـــبـــرِ
ســـأحـــلـــقُ لـــحـــيـــتَـــه إنّـــهـــا شُـــهـــودٌ عـــلـــى الـــزُّورِ والـــمُـــنْـــكَـــرِ

[المتقارب]

قال: فهجر واللَّه مشايخُنا جميعاً ذلك الرجلَ ولزِموا محبَّة السيِّد ومجالستَه.

[رد شهادته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ قال: حدّثنا مهديّ ابن سابق.

أنّ السيِّد تقدّم إلى سَوّار القاضي ليشهدَ عنده، وقد كان دافع المشهودَ له بذلك وقال: أعفِني من الشهادة عند سوَّار، وبذَل له مالاً فلم يُعفِه. فلما تقدَّم إلى سوَّار فشهد قال: ألستَ المعروفَ بالسيِّد! قال: بلى؛ قال: استغفِر اللَّهَ من ذنبٍ تجرَّأْتَ به على الشهادة عندي، قُمْ لا أرضى بك. فقام مُغضَباً من مجلسه وكتب إلى سوَّار رقعةً فيها يقول:

إنّ ســـوّار بـــنَ عـــبـــد الـــ ـــلـــهِ مـــن شـــرِّ الـــقُـــضـــاةِ

[مجزوء الرمل]

فلمّا قرأها سوَّار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذٍ نازل بالجسر، فسبقه السيِّد إليه فأنشده:

قُـلْ لـلإمـامِ الـذي يُـنـجـي بـطـاعـتِـهِ يـومَ الـقـيـامـة مـن بُـحـبـوحـةِ[1] الـنـارِ
لا تـسـتـعـيـنـنْ جـزاكَ الـلَّـه صـالـحـةً يـا خـيـرَ مـن دَبّ فـي حُـكـم بـسَـوَّارِ
لا تَـستـعِـن بـخـبـيـثِ الـرأيِ ذي صَـلَـفٍ جـمِّ الـعـيـوبِ عـظـيـمِ الـكِـبْـرِ جَـبّـارِ
تُـضَـحِـي الـخـصـومُ لـديـهِ مـن تَـجـبُّـرِه لا يَـرفـعـونَ إلـيـه لـحـظَ إبـصـارِ
تـيـهـاً وكـبـراً ولـولا مـا رفـعـتَ لـه مـن ضَـبـعِـه[2] كـان عـينَ الـجـائـع الـعـاري

[البسيط]

ودخل سوّارٌ؛ فلمّا رآه المنصور تبسَّم وقال: أمَا بلغك خبرُ إياس[3] بن معاوية

(١) البحبوحة: الوسط.
(٢) يقال: أخذت بضبعيه ومددت بضبعيه إذا نعشته ونوَّهت باسمه.
(٣) هو إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني البصري.

حيث قَبِل شهادةَ الفرزدق واستزاد في الشهود! فما أحوجك للتعريض للسيّد ولسانه! ثم أمر السيِّدَ بمصالحته.

[مدح المنصور]

وقال إسحاق بن محمد النَّخعيّ: حدّثني عبد اللَّه بن محمد الجعفَريّ قال: حدّثني محمد بن عبد اللَّه الحِميَريّ قال: دخل السيَّد على المهديّ لمَّا بايع لابنَيه موسى وهارون، فأنشأ يقول:

ما بالُ مَجرى دمعِكَ الساجِمِ ... أَمن قذًى باتَ بها لازمِ
أم من هوًى أنت له ساهرٌ ... صبابةً من قلبِكَ الهائمِ
آلِيتُ لا أمدحُ ذا نائلٍ ... من معشرٍ غير بني هاشمِ
أولَتهم عندي يدُ المصطفى ... ذي الفضل والمنِّ أبي القاسمِ
فإنّها بيضاءُ محمودةٌ ... جَزاؤها الشكرُ على العالمِ
جزاؤها حفظُ أبي جعفرٍ ... خليفةِ الرحمن والقائمِ
وطاعةُ المَهديِّ ثم ابنِه ... موسى على ذي الإربة الحازمِ
وللرشيد الرابعِ المُرتضى ... مُفْتَرَضٌ من حقِّهِ اللازمِ
مُلكهمُ خمسونَ معدودةً ... برغمِ أنف الحاسدِ الراغمِ
ليس علينا ما بَقوا غيرَهم ... في هذه الأُمَّة من حاكمِ
حتى يردّوها إلى هابطٍ ... عليه عيسى منهمُ ناجمِ

[السريع]

[حبه لعليّ]

وقال عليّ بن المُغيرة: حدّثني عليّ بن عبد اللَّه السَّدوسيّ عن المدائنيّ قال: كان السيّد يأتي الأعمشَ[1] فيكتب عنه فضائلَ علي رضي اللَّه عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً. فخرج ذاتَ يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حَمله على فرس وخلَع عليه؛ فوقف بالكُناسة[2] ثم قال: يا معشر الكوفيّين، من جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيتُه فرسي هذا وما عَلَيّ. فجعلوا يُحدّثونه ويُنشدهم؛ حتى أتاهم رجل منهم وقال: إن أمير المؤمنين عليّ بن

(١) هو سليمان بن مهران مولى بني كاهل الكوفي الإمام، كان ثقة عالماً فاضلاً.
(٢) الكناسة: بالبصرة معروفة، وكان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيها كناستهم.

أبي طالب رضي اللَّه عنه عزم على الركوب؛ فلبس ثيابَه وأراد لُبْسَ الخُفّ فلبِس أحد خُفّيه، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقضّ عُقابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسودُ[١] وانساب فدخل حُجْراً؛ فلبِس عليٌّ رضي اللَّه عنه الخُفّ. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً؛ ففكّر هنيهةً ثم قال:

ألا يا قوم للعَجَبِ العُجابِ ... لِخُفِّ أبي الحسين وللحُبابِ[٢]
أتى خُفَّا له وانسابَ فيه ... لينهَشَ رجلَه منه بنابِ
فَخَرَّ من السماء له عُقاب ... من العُقبان أو شبهُ العُقابِ
فطارَ به فحلّق ثم أهوى ... به للأرضِ من دونِ السَّحابِ
إلى جُحر له فانساب فيه ... بعيدِ القعر لم يُرتَجْ ببابِ
كريهُ الوجهِ أسودُ ذو بصيصٍ ... حديدُ النابِ أزرقُ ذو لُعابِ
ودوفع عن أبي حسنٍ عليٍّ ... نقيعُ سِمامِه بعدَ انسيابِ

[الوافر]

ثم حرّك فرَسه ومضى وجعل تَشبيبها بعد ذلك:

صبوت إلى سليمى والرباب ... وما لأخي المشيب وللتصابي

[الوافر]

أخبرني أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال: حدّثني عبد اللَّه بن أحمد بن مُستورد قال:

وقف السيِّد يوماً بالكوفة، فقال: من أتاني بفضيلة لعليّ بن أبي طالب ما قلتُ فيها شعراً فلَهُ دينارٌ، وذكر باقي الحديث. فأما العُقاب الذي[٣] انقضّ على خفِّ عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه فحدّثني بخبره أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الهَمذاني قال: حدّثني جعفر بن عليّ بن نجيح قال: حدّثنا أبو عبد الرحمن المسعوديّ عن أبي داود الطَّهويّ عن أبي الزِّعْل المُراديّ قال: قام عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه فتطهّر للصلاة، ثم نزع خُفّه فانساب فيه أفعى، فلما عاد ليَلبسه انقضّت عقابٌ فأخذته فحلّقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه. وقد رُوي مثل هذا لرسول اللَّه ﷺ.

حدّثني به أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال: حدّثني محمد بن عبيد بن

(١) الأسود: العظيم من الحيات.
(٢) أبو عبيدة عن الأصمعي: الحباب: الحية، قال: وانما قيل الحباب اسم شيطان لأن الحية يقال لها شيطان.
(٣) العقاب: يذكر ويؤنث

عُقبة قال: حدّثنا محمد بن الصَّلت قال: حدّثنا حيّان بن علي بن أبي سعيد بن عِكْرمة عن ابن عباس قال: كان النبيّ ﷺ إذا أراد حاجةً تباعَد حتى لا يَراه أحدٌ، فنزَع خُفّه فإذا عُقاب قد تدلّى فرفعه فسقط منه أسودُ سالخ. فكان النبيّ ﷺ يقول: «اللَّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ ما يمشي على بطنه، ومن شرّ ما يمشي على رجليه ومن شرّ ما يمشي على أربع، ومن شرّ الجن والإنس».

قال أبو سعيد وحدّثنا محمد بن إسماعيل الرَّاشِديّ قال: حدّثنا عثمان بن سعيد قال: حدّثنا حَيّان بن علي عن سعد بن طَريف عن عِكرمة عن ابن عباس مثلَه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا حاتم بن قَبيصة قال: سمِع السيِّد محدِّثاً يحدِّث أن النبيّ ﷺ كان ساجداً، فركب الحسنُ والحسينُ على ظهره؛ فقال عمرُ رضي اللَّه عنه: نِعمَ المطيُّ مطيُّكُما! فقال النبيّ ﷺ: «ونِعمَ الراكبانِ هما». فانصرف السيِّد من فَوره فقال في ذلك:

أتى حسناً والحسين النبيُّ ... وقد جَلسا حَجْرَةً[1] يَلعبانِ
فقدّاهُما ثم حَيَّاهما ... وكانا لديه بذاكَ المكانِ
فراحا وتحتَهما عاتِقاه ... فنعم المطيّةُ والراكبانِ
وَليدان أمُّهما بَرَّةٌ ... حَصانٌ مطهَّرةٌ للحَصانِ
وشيخُهما ابن أبي طالبٍ ... فنعم الوليدانِ والوالدانِ
خليليّ لا تُرجيا واعلما ... بأنَّ الهدى غيرُ ما تَزعُمانِ
وأنّ عمى الشكِّ بعد اليقين ... وضَعفَ البصيرةِ بعد العِيانِ
ضلالٌ فلا تَلجَجا فيهما ... فبئستْ لَعمرُكما الخَصلتانِ
أيُرجى عليٌّ إمامُ الهدى ... وعثمانُ ما أعند المُرجِيانِ
ويُرجى ابن حربٍ[2] وأشياعُه ... وهُوجُ الخوارجِ بالنَّهروانِ
يكونُ إمامَهُمُ في المَعاد ... خبيث الهوى مؤمَن الشَّيصَبانِ[3]

[المتقارب]

وذكر إسماعيل بن السَّاحر قال: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ قال: حدّثني محمد عن أبيه قال: حدّثني أبي وعمي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال: حدّثنا الحارث بن عبد المطّلب قال:

---

(١) الحجرة: الناحية.
(٢) يعني به معاوية بن أبي سفيان بن حرب.
(٣) الشَّيْصَبَان: قَبِيلَةٌ من الجِنّ.

كنتُ جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دِجلة بالبصرة وسَوَّار بن عبد اللَّه العَنبريّ قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيّد بن محمد بين يديه يُنشد قوله:

إن الإلٰـه الـذي لا شـيء يـشـبـهـه ... أعـطـاكـم الـمـلـك لـلـدنـيـا ولـلـديـن
أعـطـاكـم الـلَّـه مـلـكـاً لا زوال لـه ... حـتـى يـقـاد إلـيـكـم صـاحـب الـصـيـن
وصـاحـب الـهـنـد مـأخـوذاً بـرمـتـه ... وصـاحـب الـتـرك مـحـبـوسـاً عـلـى هـون

[البسيط]

والمنصورُ يضحك سروراً بما يُنشده؛ فحانت منه التفاتةٌ فرأى وجهَ سَوّارٍ يتربّد غيظاً ويسوَدّ حَنَقاً ويدلُك إحدى يديه بالأُخرى ويتحرّق؛ فقال له المنصور: ما لك! أرابَك شيءٌ؟ قال: نعم، هذا الرجلُ يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، واللَّهِ يا أمير المؤمنين ما صَدَقك ما في نفسه، وإن الذين يواليهم لغيرُكم. فقال المنصور: مهلاً! هذا شاعرُنا ووليُّنا، وما عرفتُ منه إلا صدقَ محبَّة وإخلاصَ نيَّة. فقال له السيّد: يا أمير المؤمنين، واللَّه ما تحمَّلتُ غَضَّكم لأحد، وما وجدتُ أبَوَيّ عليه فافتتنتُ بهما، وما زلتُ مشهوراً بموالاتكم في أيام عدوّكم. فقال له: صدقت. قال: ولكن هذا وأَهْلُوه أعداءُ اللَّه ورسوله قديماً والذين نادَوْا رسولَ اللَّه ﷺ من وراء الحُجُرات[1]، فنزلت فيهم آيةٌ من القرآن (أكثرهم لا يعقلون). وجرى بينهما خطابٌ طويل. فقال السيّدُ قصيدتَه التي أوَّلها:

قِـف بـنـا يـا صـاح وار ... بَـعْ بـالـمـغـانـي الـمـوحـشـاتِ

[مجزوء الرمل]

أنشدها أحمد بن عُبيد اللَّه بن عمَّار عن النَّوفليّ، وأخبرنا محمد بخبره مع سَوَّار بالقصّة من ها هنا إلى آخرها؛ وقال فيها:

يـا أمـيـنَ الـلَّـه يـا مـنـ ... ـصـورُ يـا خـيـرَ الـولاةِ
إنّ سـوَّار بـنَ عـبـد الـ ... ـلـهِ مـن شـرِّ الـقُـضـاةِ
نَـعْـثَـلـيٌّ[2] جَـمَـلـيٌّ[3] ... لـكـمُ غـيـرُ مـواتِ

(١) يعني وفد بني تميم يوم قدموا المدينة لمفاخرة النبي.
(٢) عثل: قيل: رجل عِثْوَلٌ، أي: طويل اللحية، ولِحْيةٌ عِثْوَلَّة: ضخمة. من أهل مصر كان يشبه عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه إذا نيل منه.
(٣) نسبة إلى الجمل، وهو اسم المعركة التي جرت بين عليّ بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة، والتي خرجت فيها عائشة راكبة جملاً فسميت الواقعة به.

جَـــدُّهُ ســـارقُ عـــنـــزٍ[١] فـــجـــرةً مـــن فَـــجَـــراتِ
لِـــرســـول الـــلَّـــهِ والـــقـــا ذفُـــهُ بـــالـــمُـــنْـــكَـــراتِ
وابـــنُ مـــن كـــان يُـــنـــادي مـــن وراءِ الـــحُـــجُـــراتِ[٢]
يـــا هـــنـــاةُ[٣] اخـــرجْ إلـــيـــنـــا إنّـــنـــا أهـــلُ هَـــنـــاتِ
مـــدحُـــنـــا الـــمـــدحُ ومـــن نَـــرْ مِ يُـــصَـــبْ بـــالـــزَّفـــراتِ
فـــاكـــفـــنـــيـــهِ لا كـــفـــاهُ الـــ ـــلـــهُ شَـــرَّ الـــطَّـــارقـــاتِ

[مجزوء الرمل]

فشكاه سُوّار إلى أبي جعفر، فأمرَه بأن يصير إليه معتذراً؛ ففعل فلم يَعذِره؛ فقال:

أتـــيـــتُ دعـــيَّ بـــنـــي الـــعـــنـــبـــرِ أروم اعـــتِـــذاراً فـــلـــم أُعْـــذَرِ
فـــقـــلـــتُ لـــنـــفـــسـي وعـــاتـــبـــتُـــهـــا عـــلـى الـــلـــؤمِ فـي فِـعـلـهـا أقـصِـري
أيـــعـــتـــذرُ الـــحـــرُّ مـــمّـــا أتـــى إلـــى رجـــلٍ مـــن بـــنـــي الـــعـــنـــبـــرِ
أبـــوكَ ابـــنُ ســـارق عـــنـــزِ الـــنـــبـــيِّ وأمّـــك بـــنـــت أبـــي جَـــحـــدرِ
ونـــحـــنُ عـــلـــى زعْـــمِـــك الـــرافـــضـــو نَ لأهـــلِ الـــضـــلالـــةِ والـــمُـــنْـــكَـــرِ

[المتقارب]

قال: وبلغ السيّدَ أن سُوّاراً قد أعدّ جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليَقطَعه، فشكاه إلى أبي جعفر؛ فدعا بسوَّارٍ وقال له: قد عزلتُك عن الحكم للسيِّد أو عليه. فما تعرّض له بسوء حتى مات.

وروى عبد اللَّه بن أبي بكر العَتَكيّ أن أبا الخلّال العَتكيّ دخل على عُقبة بن سَلْم والسيّدُ عنده وقد أمر له بجائزة، وكان أبو الخَلّال شيخَ العَشيرة وكبيرَها، فقال له: أيها الأمير، أتُعطِي هذه العطايا رجلاً ما يفتُرُ عن سَبّ أبي بكر وعمر! فقال له عُقبة: ما علمتُ ذاك ولا أعطيتُه إلا على العشرة والمودّة القديمة وما يُوجبه حقُّه وجوارُه مع ما هو عليه من مُوالاة قوم يَلزَمنا حَقُّهم ورعايتُهم. فقال له أبو الخَلّال: فمُرْه إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمرَ حتى نعرف براءَته مما

(١) يعني جدّه «عنزة بن نقب» الملقب بـ «سارق العنز».
(٢) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
والـــذي كـــان يُـــنـــادي مـــن وراءِ الـــحُـــجُـــراتِ
(٣) يا هناة: يا فلان.

يُنسب إليه من الرَّفض[١]. فقال: قد سمِعك، فإن شاء فعل. فقال السيّد:

إذا أنا لم أحفظْ وَصاةَ محمدٍ ... ولا عهدَه يومَ الغديرِ[٢] المؤكَّدا
فإنّي كَمَن يَشري الضلالةَ بالهدى ... تَنَصَّر من بعد الهُدى أو تَهوّدا
وما لي وتَيْماً أو عديًّا وإنّما ... أُولو نِعمتي في اللَّهِ من آلِ أحمدا
تتمُّ صَلاتي بالصلاةِ عليهمُ ... وليست صَلاتي بعد أن أتشهَّدا
بكاملةٍ إن لم أُصَلِّ عليهمُ ... وأدعو لهم ربًّا كريماً مُمجَّدا
بذلتُ لهم وُدّي ونُصحي ونُصرتي ... مدى الدهرِ ما سُمِّيتُ يا صاحِ سيّدا
وإنّ امرأ يَلحى على صدقِ وُدِّهم ... أحقُّ وأَولى فيهمُ أن يُفَنَّدا
فإن شئتَ فاختر عاجلَ الغمِّ ضِلةً[٣] ... وإلّا فأمْسِكْ كي تُصانَ وتُحمدا

[الطويل]

ثم نهض مُغضَباً. فقام أبو الخَلّال إلى عُقبة فقال: أعِذْني من شرِّه أعاذك اللَّه من السوء أيها الأمير؛ قال: قد فعلتُ على ألّا تَعرضَ له بعدها.

[زواجه من خارجية]

ومما يحكى عنه أنه اجتمع في طريقه بامرأة تميميّة إباضية، فأعجبها وقالت: أريد أن أتزوّج بك ونحن على ظهر الطريق. قال: يكون كنِكاح أمِّ خارجةَ[٤] قبل حضور وَليٍّ وشهودٍ. فاستَضحكتْ وقالت: ننظر في هذا؛ وعلى ذلك فمن أنت؟ فقال:

إنْ تَسألِيني بقومي تَسألي رجلاً ... في ذِروة العزِّ من أحياءِ ذي يمنِ
حَولي بها ذو كَلاع[٥] في منازِلها ... وذو رُعَينٍ[٦] وهَمْدانٌ[٧] وذو يَزَنِ[٨]

(١) الرافضة: فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم رفضوه وارفضوا عنه. والنسبة رافضيّ، والمصدر الرفض.
(٢) يوم الغدير: يريد غدير خُم هو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال منها. وفيه أخذ النبي صّلى اللَّه عليه وسلم بيد علي وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللَّهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه».
(٣) الضلة: الضلال.
(٤) نكاح أم خارجة يضرب به المثل في السرعة، فيقال: «أسرع من نكاح أم خارجة».
(٥) ذو الكلاع: رجلان من أذواء اليمن. (٦) ذو رعين: هو أحد ملوك اليمن الأول.
(٧) هو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان. ومن ولده قبيلة باليمن تنسب إليه.
(٨) ذو يزن: ملك من ملوك حمير.

والأَزْدُ أَزد عُـمـانَ الأكـرمـون إذا ... عُـدَّت مـآثِـرُهُـم فـي سـالـفِ الـزمـنِ
بـانـت كَـريـمَـتُـهـم عـنّـي فـدارُهُـمُ ... داري وفي الرّحبِ من أوطانهم وَطني
لـي مـنـزلانِ بِـلَـحْـجٍ[1] مـنـزلٌ وسـطٌ[2] ... مـنـهـا ولـي مـنـزلٌ لـلـعـزّ فـي عَـدَنِ
ثـمَّ الـولاءُ الـذي أَرجـو الـنـجـاةَ بـه ... مـن كَـبّـةِ الـنـار لـلـهـادي أبـي حـسـنِ
[البسيط]

فقالت: قد عرفناك، ولا شيءَ أعجبُ من هذا: يمانٍ وتميميَّةٌ، ورافضيٌّ وإباضيَّة، فكيف يجتمعان! فقال: بحسن رأيك فيّ تسخو نفسُك، ولا يذكر أحدُنا سلفاً ولا مذهباً. قالت: أفليس التزويجُ إذا عُلِم انكشف معه المستور، وظهرت خَفيَّاتُ الأمور! قال: فأنا أعرِضُ عليكِ أخرى. قالت: ما هي؟ قال: المُتْعة[3] التي لا يعلم بها أحد. قالت: تلك أختُ الزِّنا. قال: أُعيذك باللَّه أن تكفُري بالقرآن بعد الإيمان! قالت: فكيف؟ قال: قال اللَّه تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ [النساء: ٢٤]. فقالت: أستخير اللَّه وأُقلِّدك إن كنتَ صاحبَ قياس. ففعلت. فانصرفتْ معه وبات مُعرِساً بها. وبلغ أهلَها من الخوارج أمرُها، فتوعّدوها بالقتل وقالوا: تزوّجتِ بكافرٍ! فجَحَدتْ ذلك ولم يعلموا بالمُتعة. فكانت مدّة تختلف إليه على هذه السبيل من المُتعة وتُواصِله حتى افترقا.

وقال الحسن بن عليّ بن المُغيرة: حدّثني أبي قال: كنتُ مع السيّد على باب عُقبة ومعنا ابنٌ لسليمان بن عليّ[4] ننتظره وقد أُسْرِج له ليَرْكَبَ، إذ قال ابنُ سليمان بن عليّ يعرِّض بالسيِّد: أشعرُ النّاسِ واللَّه الذي يقول:

مـحـمـدٌ خـيـرُ مـن يـمـشـي عـلـى قَـدَمٍ ... وصـاحِـبـاه وعـثـمـانُ بـن عـفَّـانـا
[البسيط]

فوثب السيِّد وقال: أشعرُ واللَّه منه الذي يقول:

سـائـلْ قـريـشـاً بـهـا إن كـنـتَ ذا عَـمَـهٍ ... مَـن كـان أثـبـتَـهـا فـي الـدِّيـن أَوتـادا
مـن كـان أعـلـمـهـا عِـلـمـاً وأحـلـمـهـا ... حِـلـمـاً وأصـدقَـهـا قَـولاً ومـيـعـادا

(١) لحج: مخلاف باليمن ينسب إلى لحج بن وائل بن الغوث بن قطن.
(٢) الوسط: اسم لما بين طرفي الشيء، وقد يأتي صفة، على معنى أفضل الشيء وخياره وأعدله.
(٣) المتعة: أن تتزوج امرأةً تتمتع بها أياماً ثم تخلي سبيلها.
(٤) هو سليمان بن عليّ بن عبد اللَّه بن العباس عم أبي جعفر المنصور.

إن يـصـدُقُـوك فـلـن يَـعـدوا أبـا حـسـنٍ إنْ أنـت لـم تـلـقَ لـلأبـرارِ حُـسَّـادا

[البسيط]

ثم أقبل على الهاشميّ فقال: يا فتى، نعمَ الخَلَفُ أنت لشرف سَلَفِك! أراك تَهدِم شرَفك، وتثلِب سَلَفك، وتَسعى بالعداوة على أهلك، وتُفضِّل من ليس أصلُك من أصله على مَن فضلُك من فضله؛ وسأُخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يَضَعَك. فوثب الفتى خَجِلاً ولم ينتظر عُقبَة بن سَلْم. وكتب إليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرَّكوبةِ حتى خرجت الجائزةُ للسيّد.

أخبرني محمد بن جعفر النَّحوي قال: حدّثنا ابن القاسم البَزِّيّ عن إسحاق بن محمد النَّخَعيّ عن عقبة بن مالك الدِّيلي عن الحسن بن عليّ بن أبي حرب بن أبي الأسود الدُّؤَليّ قال: كنا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء، فتذاكرنا السيِّدَ، فجاء فجلس، وخُضنا في ذكر الزرع والنخل ساعةً فنهَض. فقلنا: يا أبا هاشم، مِمّ القيامُ؟ فقال:

إنّـي لأكـره أن أُطـيـلَ بـمـجـلـسٍ لا ذكـرَ فـيـه لـفـضـلِ آلِ مـحـمـدِ
لا ذكـرَ فـيـه لأحـمـدٍ ووصـيِّـه وبَـنـيـه ذلـك مـجـلـسٌ نَـطِـفٌ ردي
إنّ الـذي يَـنـسـاهـمُ فـي مـجـلـسٍ حـتـى يـفـارقَـهُ لـغـيـرُ مُـسَـدَّدِ

[الكامل]

[حبسه في السكر]

وروى أبو سليمان النَّاجي: أنَّ السيِّد قَدِمَ الأهواز وأبو بُجَير بن سِماك الأسديّ يتولَّاها، وكان له صديقاً. وكان لأبي بجير مولى يُقالُ له يزيد بن مَذعور يَحْفَظُ شعرَ السيد يُنْشِدُهُ أبا بجير، وكان أبو بجير يَتَشَيَّعُ. فَذَهَبَ السيِّد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشَرِبَ عندهم، فلما أمسى انصرف، فأخذه العَسَس فَحُبِسَ. فَكَتَبَ مِنْ غَدِهِ بهذه الأبيات وبَعَثَ بها إلى يزيد بن مَذعور. فَدَخَلَ على أبي بُجَير وقال: قد جَنَى عليك صاحِبُ عَسَسك ما لا قِوام لك به. قال: وما ذلك؟ قال: اسمع هذه الأبيات، كتبها السيِّدُ من الحبس، فأنشده يقول:

قـفْ بـالـديـارِ وحـيّـهـا يـا مَـرْبَـعُ واسـأل وكـيـفَ يُـجـيـب مـن لا يَـسْـمـعُ
إنّ الـدِّيـارَ خَـلَـتْ ولـيـس بِـجـوِّهـا إلا الـضَّـوابِـحُ[1] والـحـمـامُ الـوُقَّـعُ

(١) ضُبَاحٌ «كغُرَابٍ: صَوْتُ الثَّعْلَبِ»، نقله الأَزهريّ عن الليث. تقول: ما سَمِعْتُ إلّا نُباحَ الأَكالِب وضُبَاحَ الثَّعالب. وفي حديث ابن الزُّبير: «قاتَلَ اللَّهُ فُلاناً، ضَبَحَ ضَبْحةَ الثَّعْلَبِ وقَبَعَ قَبْعَةَ القُنْفُذِ». وفي اللّسان: ضَبَحَ الأَرْنَبُ والأَسْوَدُ من الحَيّاتِ والبُومُ والصَّدَى والثَّعلبُ والقَوْسُ.

ولـقـد تـكـونُ بـهـا أوانـسُ كـالـدُّمـى جُـمْـلٌ وعَـزَّةُ والـرَّبـابُ وبَـوْزَعُ
حـورٌ نـواعـمُ لا تُـرى فـي مـثـلِـهـا أمـثـالـهـن مـن الـصـيـانـةِ أربَـعُ
فَـعَـرِيـنَ بـعـد تـألّـفٍ وتَـجـمُّـعٍ والـدهـرُ صـاحٍ مـشـتِّـتٌ مـا تَـجـمَـعُ
فـاسـلـمْ فـإنّـك قـد نـزلـتَ بـمـنـزلٍ عـنـدَ الأمـيـر تَـضـرُّ فـيـه وتَـنْـفَـعُ
تُـؤتـى هـواكَ إذا نـطـقـتَ بـحـاجـةٍ فـيـهِ وتَـشـفـعُ عـنـده فـيـشـفّـعُ
قـلْ لـلأمـيـرِ إذا ظـفِـرْتَ بـخَـلـوة مـنـه ولـم يـك عـنـده مـن يَـسـمـع
هـبْ لـلـذي أحـبـبـتَـه فـي أحـمـدٍ وبـنـيـهِ إنّـك حـاصـدٌ مـا تَـزرَعُ
يـخـتـصّ آل مـحـمـدٍ بـمـحـبّـةٍ فـي الـصـدرِ قـد طُـوِيَـتْ عـلـيـهـا الأضْـلُـعُ

[الكامل]

في هذا الغناء لسعيد.

[رثاء وهجاء]

وحَكَى ابن الساحر: أنَّ السيِّد دُعِيَ لشهادة عند سَوَّار القاضي؛ فقال لصاحب الدَّعوى: أعفِنِي من الشهادة عند سوَّارٍ، فلم يُعْفِهِ صاحبُها منها وطالَبَهُ بإقامتها عند سَوَّار. فلما حَضَرَ عنده وشَهِدَ قال له: ألم أعرِفْكَ وتَعْرِفنِي! وكيف مع معرفتك بي تُقدِم على الشهادة عندي! فقال له: إنِّي تَخَوَّفتُ إكراهَه، ولقد افتديْتُ شهادتي عندك بمال فلم يقبل منِّي فأقمْتُها، فلا يَقْبَل اللَّه لك صَرْفاً ولا عَدْلاً إن قَبِلتَها، وقام من عندِه؛ ولم يَقدِرْ سوَّارٌ له على شيء لما تقدَّم به المنصور إليه في أمره، واغتاظ غيظاً شديداً وانصرف من مجلِسِهِ فلم يَقضِ يومَئِذٍ بين اثنين. ثم إنَّ سوَّاراً اعتلَّ عِلَّته التي مات فيها فلم يَقْدِرْ السيِّدُ على هجائه في حياتِهِ لنهي المنصور إيَّاه عن ذلك. ومات سوَّار فأخرج عَشِيًّا وحُفِرَ له، فوقع الحفر في موضع كَنِيف. وكان بين الأزد وبين تميم عداوةٌ، فماتوكانا عَقِب موته عبَّادُ بن حبيب بن المُهَلَّب، فهجا السيد سوَّاراً في قصيدة رثى بها عبَّاداً ودفعها إلى نوائحِ الأزد لما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوَّار يَنُحن بها، وأوَّلُها:

يـا مـن غـدا حـامِـلاً جـثـمـانَ سَـوَّارِ مِـن دارِه ظـاعـنـاً مـنـهـا إلـى الـنـارِ
لا قـدّسَ الـلَّـه رُوحـاً كـان هـيـكـلَـهـا لـقـد مـضـت بـعـظـيـمِ الـخِـزي والـعـارِ
حـتـى هَـوَتْ قـعـرَ بُـرهـوتٍ[1] مـعـذّبـةً وجـسـمُـه فـي كـنـيـفٍ بـيـن أقـذارِ

(١) برهوت: في نحر بلاد حضرموت من بلاد الشحر في جهة اليمن ببلاد عمان، فيها أطمة يسمع صوتها كالرعد من أميال كثيرة تقذف من قعرها بجمر كالجبال وقطع من الصخر سود حتى يرتفع ذلك في الهواء ويدرك حسها من أميال كثيرة ثم تنعكس سفلاً فتهوي إلى قعرها وحولها.

لـقـد رأيـتُ مـن الـرحـمـن مُـعـجِـبـةً فـيـه وأحـكـامُـه تَـجـري بـمـقـدارِ
فـاذهـبْ عـلـيـكَ مـن الـرحـمـنِ بَـهـلَـتُـه[1] يـا شـرَّ حـيٍّ بـراه الـخـالـقُ الـبـاري
[البسيط]

[مازح صديقاً له زنجيًا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثني عليّ بن محمد البقَّال قال: حَدَّثنا شيبان بن محمد الحَرَّاني وكان يُلَقَّب بَعُوضةَ وصار من سادات الأزد قال: كان السيد جاري، وكان أدلَم[2]، وكان ينادمُ فتياناً من فتيان الحيّ فيهم فتى مثلُهُ أدلمُ غليظُ الأنفِ والشَّفَتَين مُزَنَّج الخلقة. وكان السيِّد من أنتن الناس إبطين. وكانا يتمازحان، فيقول له السيِّد: أنت زنجي الأنف والشفتين، ويقول الفتى للسيد: أنت زِنجيّ اللون والإبطين. فقال السيِّد:

أعـارَكَ يـومَ بِـعْـنـاهُ ربـاحٌ[3] مَـشـافِـرَه وأنـفَـك ذا الـقـبـيـحـا
وكـانـت حِـصّـتـي إبـطَـيّ مـنـه ولـونـاً حـالـكـاً أمـسـى فَـضـوحـا
فـهـل لـك فـي مُـبـادلـتـيـكَ إبـطـي بِـأَنـفـكَ تَـحـمَـدُ الـبـيـعَ الـرَّبـيـحـا
فـإنّـك أقـبـحُ الـفـتـيـانِ أنـفـاً وإبـطـي أَنـتـنُ الآبـاطِ ريـحـا
[الوافر]

[صديق ينفق عليه من ماله]

أخبرني أحمد قال: حدَّثني شَيبان قال: مات منَّا رجلٌ مُوسِرٌ وخَلَّفَ ابناً له فَوَرِثَ مالَهُ وأتلفه بالإسراف، وأقبل على الفساد واللَّهو، وقد تَزَوَّجَ امرأةً تُسَمَّى ليلى، واجتمع على السيِّد وكان من أظرف الناس، وكان الفتى لا يصبر عنه، وأنفق عليه مالاً كثيراً، وكانت ليلى تعذُلُهُ على إسرافه وتقول له: كأنِّي بك قد افتقرت فلم يُغنِ عنك شيئاً. فهجاها السيد. وكان مما قال فيها:

أقـولُ يـا لـيـتَ لـيـلَـى فـي يَـدَيْ حَـنِـقٍ مـن الـعـداوة مـن أعـدى أعـاديـهـا
يَـعـلـو بـهـا فـوقَ رَعـنٍ ثـم يُـحـدرُهـا فـي هُـوَّةٍ فَـتَـدهـدى يـومَـهـا فـيـهـا
أو لـيـتَـهـا فـي غِـمـار الـبـحـر قـد عَـصَـفـتْ فـيـه الـريـاحُ فـهـاجـتْ مـن أواذيـهـا[4]

(١) بهل: لعن.
(٢) الأَدْلَمُ من الرجال والحمير: الأسود. وقد ادْلامّ الرجل والحمار ادْلِيماماً. والدَّيْلَمُ: الداهيةُ.
(٣) رباح: الفحم، ويقال لكل شيء شديد السواد.
(٤) الأواذي: الأمواج واحدها آذي.

أو لـيـتـهـا قُـرنـت يـومـاً إلـى فـرسـي قـد شـدَّ مـنـهـا إلـى هـاديـه[١] هـاديـهـا
حتى يُرى لحمُها من حُضْرِه زِيماً[٢] وقد أتى القومَ بعد الموتِ ناعيها
فـمـنْ بـكـاهـا فـلا جـفَّـت مـدامِـعُـه لا أسـخـن الـلَّـهُ إلّا عـيـنَ بـاكـيـهـا
[البسيط]

[أهدى له بعض ولاة الكوفة رداء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدَّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ وعبد الحميد بن عقبة قالا: حَدَّثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كُنَاسة قال: أهدى بعضُ ولاة الكوفة إلى السيد رداء عدنيًّا، فكتب إليه السَّيِّد فقال:

وقـد أتـانـا رداءٌ مـن هَـدِيَّـتِـكـمْ فـلا عـدمـتُـك طـولَ الـدهـر مـن والِ
هـو الـجَـمـالُ جـزاكَ الـلَّـهُ صـالـحـةً لـو أنّـه كـان مـوصـولاً بـسِـربـالِ
[البسيط]

فبعث إليه بخلعة تامة وفرس جواد وقال: يقطع عتاب أبي هاشم واستزادته إيانا.

سمع قاصًّا بباب أبي سفيان يمدح الشيخين فسبهما: حدثني عمي قال: حدثنا الكراني عن بعض البصريين عن سليمان بن أرقم قال: كُنْتُ مع السيّد، فَمَرَّ بقاصٍّ على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول: يُوزَنُ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلم يوم القيامة في كِفَّة بأُمّته أجمع فَيَرْجَحُ بهم، ثم يُؤتى بفلان فيوزن بهم فَيَرْجَح، ثم يُؤتى بفلان فَيُوزَنُ بهم فيرجح. فأقبل على أبي سفيان فقال: لعمري إنَّ رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم لَيَرْجَح على أمته في الفضل، والحديث حقٌّ، وإنَّما رجح الآخران الناسَ في سيئاتهم؛ لأنَّ من سنَّ سُنَّةً سَيئةً فَعُمِلَ بها بعده كان عليه وِزْرُها وَوِزْر من عَمِلَ بها. قال: فما أجابه أحد. فمضى فلم يَبْقَ أحدٌ من القومِ إلا سَبَّه.

[صادف بنت الفجاءة وأنشدها شعراً غزلياً]

وقال أبو جعفر الأعرج: حَدَّثني إسماعيل بن السَّاحر قال: خَرَجْتُ مِنْ منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب عقبة بن سَلْم والسيِّد ونحن سكارى. فلما كُنَّا بزهران لقيتنا بنت الفجاءة بن عمرو بن قطَرِيّ بن الفُجاءة، وكانت امرأةً بَرْزَةً حسناءَ فصيحةً،

(١) من المجاز: هداه: تقدّمه كما يتقدّم الهادي المهديّ: وجاءت الخيل يهديها فرس أشقر. واقتنص هاديات البقر وهواديها: متقدّماتها. وضرب هاديته: عنقه.
(٢) اللحمُ الزِّيَمُ: المتفرّق ليس بمجتمِع في مكان فيَبْدُن.

فواقَفَها السيِّد وتخاطب عليها وأنشدها من شعره بتجميش، فأعجب كلُّ واحد منهما صاحبَه. فقال السيد:

..... من ناكثين وقاسطين الأرْوعُ
..... حول الأمين وقال هات ليسمعوا
قم يا ابن مذعورٍ فأنشِد نَكِّسوا خَضْعَ الرِّقابِ بعينٍ لا تُرفَعُ
لولا حِذارُ أبي بُجير أظهروا شنآنَهم وتَفرَّقوا وتَصدَّعوا
لا تجزَعوا فلقد صَبرنا فاصبِروا سبعينَ عاماً والأنوفُ تُجَدَّعُ
إذ لا يزال يقومُ كل عَروبةٍ[1] منكم بصاحبنا خطيبٌ مِصقَعُ
مسحنفِرٌ[2] في غَيِّه مُتتايعٌ[3] في الشتم مَثّلهُ بِخيلٍ يَسْجَعُ
لِيَسُرَّ مخلوقاً ويُسخِطَ خالقاً إن الشقيَّ بكلّ شرٍّ مولعُ

[الكامل]

فلما سَمِعَها أبو بجير دعا صاحِبَ عَسَسه فَشَتَمَهُ وقال: جَنَيْتَ عليَّ ما لا يَد لي بِهِ، اذهَبْ صَاغِراً إلى الحبس وقل: أيّكم أبو هاشم؛ فإذا أجابك فأخرِجه واحمِله على دابّتك وامشِ معه صاغِراً حتى تأتيني به ففعل. فأبى السيِّدُ ولم يُجِبه إلى الخروج إلا بعد أن يُطْلِقَ له كلَّ من أخذ معه. فَرَجِعَ إلى أبي بُجَير فأخبره، فقال: الحمدُ للَّهِ الذي لم يَقُلْ أخرجهم وأعطِ كلَّ واحد منهم مالاً، فما كُنَّا نَقْدِرُ على خلافِهِ؛ افعل ما أحَبَّ برغم أنفك الآن. فمضى فَخَلَّى سَبيلَهُ وسبيلَ كلِّ من كان معه ممن أخذ في تلك الليلة، وأتي به إلى أبي بجير. فتناوله بلسانه وقال: قَدِمتَ علينا فلما تأتِنا وأتيْتَ بعض أصحابك الفُسَّاق وشربت ما حُرّم عليك حتى جرى ما جرى؛ فاعتذر من ذلك إليه؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سَنِيَّة وحَمله وأقام عنده مدة.

عاتب قوم أبا بجير على التشيع فاستنشد مولاه شعر السيد وطردهم: قال النوفلي: وحدثني أبي أن جماعة من أهل الثغور قدموا على أبي بجير بتسبيب بهم فأطلقهم، ثم جاءوه فعاتبوه على التشيع وسألوه الرجوع، فغضب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال: أنشدني ويلك لأبي هاشم. فأنشده قوله:

---

(١) عروبة: يوم الجمعة.
(٢) اسْحَنْفَرَ الرّجُلُ: مَضَى مُسْرِعاً واسْحَنْفَرَ الطَّرِيقُ: اسْتَقَامَ وامتَدَّ. اسْحَنْفَر المَطَرُ: كَثُرَ. وقال أبو حَنِيفَة: المُسْحَنْفِرُ: الكَثِيرُ الصَّبِّ الواسِعُ.
(٣) التتايع: التهافت.

يـا صـاحـبـيَّ لـدِمـنـتـيـن عَـفـاهُـمـا مَـرُّ الـريـاحِ عـلـيـهـمـا فـمـحـاهُـمـا
[الكامل]

حتى فرغ. ثم قال: هات النونية، فأنشده:

يـا صـاحـبـيَّ تَـروَّحـا وذَرانـي لـيـس الـخـلـيُّ كـمُـسْـعَـرِ الأحـزانِ
[الكامل]

فلما فرغ قال: أنشدني الدماغة الرائية، فأنشده إياها. فلما فرغ أقبل عليه الثغريون فقالوا له: ما أعتبتنا فيما عاتبناك عليه. فقال: يا حمير هل في الجواب أكثر مما سمعتم؟! واللَّه لولا أني لا أعلم كيف يقع فعلي من أمير المؤمنين لضربت أعناقكم قوموا إلى غير حفظ اللَّه فقاموا. وبلغ السيد الخبر فقال:

إذا قـالَ الأمـيـرُ أبـو بُـجـيـرٍ أخـو أسـدٍ لِـمـنـشـدِهِ يَـزيـدا
طـربـتُ إلـى الـكـرامِ فـهـاتِ فـيـهـمْ مـديـحـاً مـن مـديـحِـكَ أو نَـشـيـدا
رأيـتَ لـمـن بـحـضـرتـهِ وجـوهـاً مـن الـشُّـكَّـاكِ والـمُـرجـيـن سـودا
كـأنّ يـزيـدَ يُـنـشـد بـامـتـداحٍ أبـا حـسـنٍ نَـصـارى أو يـهـودا
[الوافر]

[نقد العبدي شعراً له فصدقه]

وروى أبو داود المسترق: أن السيد والعبدي اجتمعا، فأنشد السيد:

إنّـي أديـنُ بـمـا دان الـوصـيُّ بـه يـوم الـخُـريْـبـةِ[1] مـن قَـتـلِ الـمُـحـلِّـيـنـا
وبـالـذي دانَ يـوم الـنـهـروان بـه وشـاركـتْ كـفَّـه كـفِّـي بـصِـفّـيـنـا
[البسيط]

فقال له العَبْديّ: أخطأتَ، لَو شاركت كَفُّكَ كَفَّهُ كُنْتَ مثله، ولكن قل: تابعت كَفِّي كَفَّه لتكون تابعاً لا شريكاً. فكان السيِّد بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلَّا العبدي.

[سَبَّ الشيخين في شعر له وسكر]

وقال إسحاق النَّخعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبَة عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل بن السَّاحر قال: كُنْتُ مع السيّد وقد اكترينا سفينة إلى الأهواز؛ فَجَلَسَ فيها معنا قومٌ شُراةٌ، فجعلوا ينالون من عثمان. فأخرج السيِّد رأسه إليهم وقال:

(١) الخريبة: موضع بالبصرة كانت به وقعة الجمل.

شَفَيتَ من نَعْثَلٍ في نحتِ أثلَتِهِ فاعْمِد هُديتَ إلى نحت الغَوِيَّيْنِ
اعمِد هُديتَ إلى نحت اللّذيْن هما كانا عن الشرِّ لو شاءا غنيَّيْنِ
[البسيط]

قال إسماعيل: فلما قَدِمنا الأهوازَ قَدِمَ السيِّد وقد سَكِرَ، فَأُتي به أبا بجير بن سماك الأسدي، وكان ابنُ النَّجاشيّ عند ابن سماك بعد العشاء الآخِرة، وكان يعرفه باسمه ولم يَعرِفْهُ. فقال له: يا شيخ السّوء، تخرج سكران في هذا الوقت! لأُحْسِنَنَّ أدَبَكَ. فَقَالَ لَهُ: واللَّه لا فعلتَ، ولتُكرمنِّي ولتخلعنّ عليّ وتَحْمِلَنِّي وتُجيزَنِّي. قال: أو تَهْزَأ أيضاً؟! قال: لا واللَّه، ثم اندفع يُنْشِدُهُ فقال:

من كانَ معتذِراً من شتمِه عمراً فابنُ النجاشيِّ منهُ غيرُ مُعتَذرِ
وابنُ النجاشِي بَراءٌ ـ غيرَ محتشمٍ ـ في دينِه من أبي بكرٍ ومن عمرِ
[البسيط]

ثم أنشده قوله:

إحداهُما نَمَّتْ عليه حَديثَه وبغتْ عليه نفسَه إحداهُما
فهما اللتان سمعتُ ربَّ محمدٍ في الذكرِ قصَّ على العبادِ نَباهما
[الكامل]

فقال: أبو هاشم؟ فقال: نعم. قال: ارتفع. فحمله وأجازه، وقال: واللَّه لأصدقن قولك في جميع ما حلفت عليه.

[أباحَ لَهُ أبو بجير شربَ النبيذ]

قال إسماعيل: رأى أبو بجير السيِّد مُتَغَيِّر اللَّون، فسألَهُ عن حاله؛ فقال: فَقَدْتُ الشرابَ الذي أَلِفتُهُ لكراهة الأمير إيَّاه، قال: فاشرَبْه، فإنَّنا نَحْتَمِلُهُ لك. قال: ليس عندي. قال لكاتبه: اكتُبْ له بمائتي دَوْرَق مِيبَخْتج[1]. فقال له السيِّد: ليس هذا من البلاغة. قال: وما هي؟ قال: البلاغة أن تأتي من الكلام بما يُحتاجُ إليه وتَدَعَ ما يُستغنى عنه. قال: وكيف ذلك؟ قال: اكتب بمائتي دَوْرق «مي» ولا تكتب «بَختج»، فإنك تستغني عنه. فَضَحِكَ، ثم أمر فَكُتِبَ له بذلك. قال: والمِي: النبيذ.

[أظهرت المرجئة الشماتة بأبي بجير لما مرض]

قال إسماعيل: وبلغ السَّيِّد وهو بالأهواز أنَّ أبا بجير قد أشرف على الموت،

(١) ميبختج: كلمة فارسية مركبة من لفظين «مي» معناه «النبيذ» و «بختج» معناه «مطبوخ».

فأظهرت المُرجئةُ الشماتةَ بِهِ. فَخَرَجَ السيِّد مُتحرِّقاً حتى اكترى سفينةً وخرجَ إليها، وأنشأ يقولُ:

تـبـاشَـرَ أهـلُ تَـدمـرَ[1] إذ أتـاهـمْ ... بـأمـر أمـيـرنـا لـهـمُ بَـشـيـرُ
ولا لأمـيـرِنـا ذنـبٌ إلـيـهـم ... صـغـيـرٌ فـي الـحـيـاةِ ولا كَـبـيـرُ
سـوى حُـبِّ الـنـبـيِّ وأقـرَبـيـه ... ومـولاهُـم بِـحُـبِّـهـمُ جـديـرُ
وقـالـوا لـي لـكـيـمـا يُـحـزِنُـونـي ... ولـكـن قـولـهـم إفـك وزُورُ
لـقـد أمـسـى أخـوكَ أبـو بـجـيـرٍ ... بـمـنـزلـةٍ يُـزار ولا يَـزورُ
وظـلّـت شـيـعـةُ الـهـادي عـلـيّ ... كـأنَّ الأرض تـحـتـهـمُ تَـمـورُ
فـبِـتُّ كـأنّـنـي مَـمـا رَمـونـي ... بـه فـي قِـدِّ[2] ذي حَـلَـقٍ أسـيـرُ
كـأنَّ مَـدامـعـي وجـفـونَ عَـيـنـي ... تُـوخَّـزُ بـالـقَـتـاد[3] فـهـنَّ عُـورُ
أقـول عـلـيَّ لـلـرحـمـنِ نَـذر ... صـحـيـحٌ حـيـث تُـحـتـبسُ الـنُّـذورُ
بـمـكّـةَ إن لـقـيـتُ أبـا بُـجـيْـرٍ ... صَـحـيـحـاً والـلّـواءُ لـه يَـسـيـرُ

[الوافر]

وهي قصيدة طويلة.

رأى النبي ﷺ في النوم وأنشده قصيدته العينية: وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترِق عن السيِّد: أنه رأى النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في النوم، فاستنشده فأنشده قوله:

لأمِّ عـمـرٍو بـالـلِّـوى مَـربَـعُ ... طـامـسـةٌ أعـلامُـهُ بـلْـقـعُ

[السريع]

حتى انتهى إلى قوله:

قـالـوا لـه لـو شـئـتَ أعـلـمـتَـنـا ... إلـى مَـن الـغـايـةُ والـمَـفْـزَعُ

[السريع]

فقال: حسبُك! ثم نَفَضَ يَدَه وقال: قد واللَّه أعلمتهم.

[مرضه ووفاته]

وروى أبو داود وإسماعيل بن السَّاحر: أنهما حَضَرا السيِّدَ عند وفاته بواسط وقد

(١) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام.
(٢) القد: الأسر. (٣) القتاد: الشوك.

أصابه شَرى[١] وكرب فجلس ثم قال: اللَّهم أهكذا جزائي في حب آل محمد؟ قال: فكأنها كانت ناراً فطفئت عنه.

قال شعراً وهو يحتضر في التبرؤ من عثمان والشيخين: وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بإسناد له لم يحضرني وأنا أخرجه إن شاء اللَّه تعالى قال: حدثني من حضر السيد وقد احتضر فقال:

برئتُ إلى الإلٰهِ من ابن أروَى[٢] ومن دينِ الخوارجِ أجمعينا
ومن فُعَلٍ برئتُ ومن فُعَيْلٍ غداةَ دُعِي أميرَ المؤمنينا

[الوافر]

ثم كأن نفسه كانت حصاة فسقطت.

[بلغ المنصور أن أهل واسط لم يدفنوه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شبَّة عن أبي الهُذَيل العَلاف عن أبي جعفر المنصور قال: بَلَغَنِي أن السيِّد مات بواسط فلم يَدفنوه. واللَّه لئن تَحَقَّق عندي لأحرقِنَّها!

[ترحم عليه جعفر بن محمد]

وَوَجَدْتُ في بعض الكتب: حَدَّثني محمد بن يحيى اللؤلئيّ قال: حدَّثني محمد بن عباد بن صُهَيب عن أبيه قال: كُنْتُ عند جعفر بن محمد، فأتاه نعي السيِّد، فدعا له وتَرَحَّمَ عليه. فقال رجلٌ: يابن رسول اللَّه، تدعو له وهو يشربُ الخَمر ويؤمِنُ بالرَّجعةِ فقال: حَدَّثني أبي عن جدّي أن مُحبِّي آل محمد لا يموتون إلَّا تائبين وقد تاب، ورَفَعَ مُصَلًّى كانت تحته، فأخرج كتاباً من السيِّد يعرِفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له.

[عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه]

وذكر محمد بن إدريس العُتْبيّ أنَّ معاذ بن يزيد الحميريّ حدَّثه أنَّ السيّد عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيامِهِ مات، وأنَّه مَدَحَهُ بقصيدتين فأمرَ له ببدرتين ففرَّقَهُما. فَبَلَغَ ذلك الرشيد فقال: أحسب أبا هاشم تورع عن قبول جوائزنا.

---

(١) الشرى: داء يأخذ في الجلد أحمر كهيئة الدرهم.

(٢) يعني عثمان بن عفان، لأن أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

[لما مات أحضر له سبعون كفناً]

أخبرني ابن عَمَّار قال: حدَّثنا يعقوب بن نُعَيم قال: حدَّثنا إبراهيم بن عبد اللَّه الطلحيّ قال: حدَّثني إسحاق بن محمد بن بشير بن عَمَّار الصَّيرفيّ عن جدّه بشير بن عمَّار قال: حضرت وفاة السيّد في الرُّميلة ببغداد، فوَجَّه رسولاً إلى صفّ الجزارين الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته؛ فَغَلِطَ الرسول فذهب إلى صف السموسين، فشتموه ولعنوه، فعلم أنه قد غلط، فعاد إلى الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته، فوافاه سبعون كفناً. قال: وحضرناه جميعاً وإنه ليتحسر تحسراً شديداً وإن وجهه لأسود كالقار وما يتكلم، إلى أن أفاق إفاقة وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القبلة ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بوليك! قالها ثلاث مرات مرة بعد أخرى. قال: فتجلى واللَّه في جبهته عرق بياض، فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبدر، وتوفي فأخذنا في جهازه ودفناه في الجنينة ببغداد، وذلك في خلافة الرشيد.

[أخبار عبد اللَّه بن علقمة وحبيشة]

صـــوت

من المائة المختارة

فـلا زِلْـنَ حَـسـرى ظُـلَّـعـاً لِـمْ حَـمَـلـنـهـا ... إلـــى بـــلـــدٍ نـــاءٍ قـــلـــيـــلِ الأصـــادقِ
ولا ذَنـبَ لـي إذ قُـلْـتُ إذ نـحـن جِـيـرةٌ ... أثِـيـبـي بـوُدٍّ قـبـل إحـدى الـبـوائِـقِ

[الطويل]

عروضه من الطويل.

قوله: «فلا زلن حسرى»: دعاء على الإبل التي ظَعَنتْ بها وأبعدتْها عنه. وحسرى: قد حَسِرن أيّ بَلَغَ منهن الجَهدُ فلم يُبقِ فيهنّ بَقِيَّةً، يقال: حَسَر ناقته فهو يَحْسِرُها، وهي حَسرى، والذَّكر حسير، قال اللَّه عزَّ وجل: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤]. وفي الحديث: «فإن أتعبتها حسرتها». والظَّلْعُ في كل شيء: أن تألم رجلُهُ فلا يقدر أن يمشي عليها فَيغمِز في مَشْيِهِ كالأعرج إذا مشى، ويقال: ظَلَعَ فهو ظالِعٌ. والنائي: البعيد، والنِّية: الناحية التي تنوي إليها، والنَّوى: البعد، والتنائي: التباعد. والبوائق: الحوادث التي تأتي بما يحذر بغتَةً، وهي مثل المصائب والنوائب.

البيت الأول من الشعر لِكُثَيِّر، ويقال: إنه لأبي جُنْدَب الهذليّ. والبيت الثاني

لرجل من كنانة ثم من بني جَذِيمة، وزعم ابن دَأْبٍ أنه عبد اللَّه بن عَلْقَمة أحدُ بني عامر بن عبد مَناة بن كنانة، وقيل أيضاً: إنَّه يُقالُ له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مَغازيه التي وجهه رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فيها.

الغناء في اللحن المختار لِمُتَيَّم مولاةِ عليّ بن هشام وأمِّ أولاده. ولحنُها رمل بالبنصر، من رواية إسحاق وعمرو؛ وهو من الأرمال النادرةِ المختارةِ. وفيه خفيفُ ثقيل، يقال: إنه لحسين بن مُحرِز، ويقال: إنه قديم من غناء أهل مكة.

***

أخبار عبد اللَّه بن علقمة وتعشقه حبيشة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابيّ قال: حدَّثني العباس بن بكَّار قال: حدَّثنا ابن دأب قال: كان من حديث عبد اللَّه بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مَناة بن كنانة أنه خَرَجَ مع أُمِّه وهو مع ذلك غلام يَفَعَةٌ[1] دون المُحْتَلِم لتزور جارةً لها، وكان لها بنت يُقالُ لها حُبَيشة بنت حُبَيش أحد بني عامر بن عبد مناة بن كِنانة. فلما رآها عبد اللَّه بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه، وانصرف وترك أمَّه عند جارتها، فَلَبِثَت عندها يومين. ثم أتاها عبد اللَّه بن علقمة ليرجعها إلى منزلها، فوجد حبيشة قد زينت لأمر كان في الحي، فازداد بها عجباً، وانصرف بأمه في غداة تمطر، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول:

وما أدري بَلى إنِّي لأدري أصَوْبُ القَطْر أحسنُ أم حُبَيشُ
حُبيشَةُ والذي خَلَقَ الهدايا وما عن بُعدِها للصَّبّ عيشُ

[الوافر]

فَسَمِعَتْ ذلك أُمُّهُ فتغافَلَتْ عنه وكرهت قوله. ثم مَشيا مَلِيًّا، فإذا هو بظبي على رَبْوةٍ من الأرض، فقال:

يا أُمَّتا أخبريني غيرَ كاذِبَةً وما يُريدُ مَسُولُ الحقِّ بالكذبِ
أتلك أحسنُ أم ظبيٌ بِرابيةٍ لا بل حُبَيشةُ في عيني وفي أَرَبِي

[البسيط]

فزجرته أُمُّهُ وقالت له: ما أنتَ وهذا! نُزَوّجك بنتَ عمك فهي أجملُ من تلك. وأتت امرأةَ عمه فأخبرتها خبرَه، وقالت: زيّني ابنتك له، ففعلت وأدخلتها عليه. فلما رآها أطرق. فقالت له أمّه: أيهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غُيِّبَتْ عَنِّي حُبيشةُ مرَّةً من الدَّهرِ لم أملِك عزاءً ولا صبرا
كأنَّ الحشى حَرُّ السَّعير يَحُشّه[2] وقود الغضى والقلب مستعرا[3]

[الطويل]

---

(١) يافع: شاب.
(٢) يقال: حشّ النار يحشها حشاً إذا أوقدها. (٣) مستعر: غير متزن.

وجعل يُراسلُ الجاريةَ وتُراسله حتى علقته كما علِقها، وكَثُرَ قوله للشعر فيها. فمن ذلك قال:

حُبَيشةُ هل جَدِّي وجدُّك جامِعٌ ... بشَملِكُم شَمْلي وأهلِكُم أَهلِي
وهل أنا ملتفٌّ بثوبِك مَرَّة ... بِصَحراء بين الأليتين[1] إلى النَّخلِ
وهل أشتفِي من رِيقِ ثغرِكِ مَرَّةً ... كراحٍ ومسكٍ خالطاً ضَرَبَ النَّحْلِ[2]

[الطويل]

فلما بلغ أهلَها خبرهما حجبوها عنه مُدَّة، وهو يزيد غراماً بها ويُكْثرُ قولَ الشعر فيها. فأتَوها فقالوا لها: عِديهِ السَّرْحةَ، فإذا أتاك فقولي له: نَشَدتُك اللَّه إن كُنْتَ أحببتني فواللَّه ما على الأرض شيءٌ أبغض إليّ منك، ونحن قريبٌ نستمعُ ما تقولين. فوعدته وجلسوا قريباً يستمعون، وجلست عند السَّرحة، وأقبل عبد اللَّه لوعدها. فلما دنا منها دَمَعت عينُها والتفتت إلى حيث أهلها جلوسٌ، فَعَرَفَ أنهم قريب فرجع. وبلغه ما قالوا لها أن تقوله فأنشأ يقول:

لَوْ قُلْتِ ما قالوا لَزِدْتُ جَوى بكم ... على أنه لم يَبْقَ سِترُ ولا صبرُ
ولم يك حبِّي عن نوالٍ بذلته ... فَيُسلِيَني عنه التجهُّمُ والهجْرُ
وما أنسَ م الأشياء لا أنسَ دَمْعَها ... ونظرتها حتى يُغَيِّبَني القَبْرُ

[الطويل]

[سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر]

وبعث النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم على أثر ذلك خالدَ بن الوليد إلى بني عامر ابن عبد مَناة بن كِنانة وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوه وإلَّا قاتلهم. فصبَحَهم[3] خالد بن الوليد بالغُمَيصاء[4] وقد سَمِعوا به فخافوه فَظَعَنوا، وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن

---

(١) ألية: ماءة من مياه بني سليم.
(٢) النخل: اسم لمواضع كثيرة.
(٣) صبح القوم: أغار عليهم في الصباح.
(٤) الغميصاء: موضع في ديار بني جذيمة من بني كنانة، وهناك أصاب منهم خالد بن الوليد ما أصاب، وكان رسول اللَّه ﷺ بعثه إليه عند فتح مكة ومعه بنو سُلَيْم، وكانت بنو كنانة قتلتْ في الجاهلية الفاكه بن المغيرة عمّ خالد وعوف بن عبد عوف والد عبد الرحمن، وهما صادران من اليمن، ثم عقلتهما وسكن الأمر بينهم وبين قريش، وكان لبني سُلَيم أيضاً في بني كنانة ذحول، فأسرعوا فيهم القتل بالغميصاء، وفي ذلك قيل:

فكم فيهمُ يومَ الغميصاء من فتىً ... أصيبَ ولم يُشْمَلْ له الرأْسُ واضحا =

الوليد وعمَّه الفاكه بن المغيرة في الجاهِليَّة، وكانوا من أشدّ حيّ في كِنانة بأساً يُسمَّون «لعقة الدم». فلما صَبَحهم خالدٌ ومعه بنو سُلَيم، وكانت بنو سُلَيم طَلَبَتْهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشَّريد وإخوتِهِ كُرْزٍ وعمرو والحارث، وكانوا قتلوهم في موطن واحد. فلما صبحَهم خالدٌ في ذلك اليوم ورأوا معه بني سُلَيم زادهم ذلك نفوراً. فقال لهم خالد: أسلموا تسلموا. قالوا: نحن قومٌ مسلمون. قال: فألقوا سلاحكم وانزلوا، قالوا: لا واللَّه. فقال جذيمة بن الحارث أحد بني أقرم: يا قوم، لا تضعوا سلاحكم، واللَّه ما بعد وضع السلاح إلا القتل. قالوا: لا واللَّه لا نُلْقي سلاحنا ولا ننزل، ما نحن منك ولا لمن معك بآمِنين. قال خالدٌ: فلا أمان لكم إن لم تَنزلوا. فنزلت فرقةٌ منهم فأسرهم، وتفرَّق بقيَّةُ القوم فرقتين، فأصعدت فرقة وسفلت فرقةٌ أخرى.

قال ابن دأب: فأخبرني من لا أتهم عن عبد اللَّه بن أبي حَدْرَد الأسلميّ قال: كُنْتُ يومَئِذٍ في جند خالد، فبعثنا في أثر ظُعُن[1] مصعدة يسوق بهن فتية، فقال: أدركوا أولئك. قال: فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضوا، ووقف لنا غلام شاب على الطريق. فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا وهو يقول:

بَـيِّـنَّ أطـرافَ الـذُّيـول واربـعـن مَـشْـيَ حَـيِـيَّـات كـأن لـم يَـفـزَعْـنْ

[الرجز]

إن يُـمـنَـعِ الـيـومَ نـسـاءٌ تُـمـنَـعـن

فقاتلنا طويلاً فقتلناه، ومضينا حتى لَحِقنا الظُّعنَ، فخرج إلينا غلام كأنَّه الأول، فجعل يقاتلنا ويقول:

أقـسـمُ مـا إنْ خـادرٌ[2] ذو لِـبْـدَهْ يـزأر بـيـن أيـكـةٍ ووهْـدَهْ

يـفـرِسُ ثـنـيـانَ الـرجـالِ وَحْـدَهُ بـأصـدقَ الـغَـدَاةَ مـنَّـا نـجـدهْ

[الرجز]

فقاتلنا حتى قتلناه، وأدركنا الظُّعن فأخذناهنّ، فإذا فيهن غلامٌ وضيءٌ به صفرةٌ في لونه كالمنهوك، فَرَبَطناه بحبل وقَدَّمناه لنقتلَهُ، فقال لنا: هل لكم في

= وكائن ترى يوم الغميصاء من فتى أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

فبعضهم يرى أنهم كانوا مسلمين، وأن خالداً أوقع بهم ليدرك بثأر عمه، ولذلك قالوا: إن النبي ﷺ وداهم وقال: «اللَّهم إني أبرأ إليك ممّا صنعه خالد».

(١) شد الهودج بالظعان وهو كالحزام للرحل.

(٢) خادر: مقيم في عرينه.

خير؟ قلنا: وما هو؟ قال: تُدركون بي الظُّعنَ أسفلَ الوادي ثم تقتلونني، قلنا: نفعل. فخرجنا حتى نُعارضَ الظُّعن أسفلَ الوادي. فلما كان بحيث يَسْمَعْنَ الصوت، نادى بأعلى صوته: اسلمي حبيش، عند نفاد العيش. فأقبلت إليه جاريةٌ بيضاءُ حسناء فقالت: وأنت فاسلم على كثرة الأعداء، وشدَّة البلاء. فقال: سلامٌ عليكم دهراً، وإن بقيت عصراً. قالت: وأنت سلامٌ عليك عشراً، وشَفْعاً تترى، وثلاثاً وتراً. فقال:

إن يَقتلوني يا حُبيشُ فلم يَدَعْ ... هواك لهم مِنِّي سوى غُلَّة الصدرِ
وأنتِ التي أخليتِ لحميَ من دمي ... وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحري

[الطويل]

فقالت له:

وَنَحْنُ بكينا من فراقك مرَّة ... وأُخرى وآسيناك في العُسرِ واليُسرِ
وأنت فلا تَبعَدْ فنعم فتى الهوى ... جميلُ العفاف في المودَّةِ والسِّتْرِ

[الطويل]

فقال لها:

أَريتَكِ إن طالبتُكم فوجدتُكُم ... بحَليةَ أو أدركتُكُم بالخَوانِقِ[1]
ألَم يك حَقًّا أن يُنَوَّلَ عاشقٌ ... تَكَلَّفَ إدلاجَ السُّرى والودائقِ[2]

[الطويل]

فقالت: بلى واللّه. فقال:

فلا ذنبَ لي إذ قُلْتُ إذ نحن جيرةٌ ... أثيبي بودٍّ قبل إحدى البوائقِ
أثيبي بودّ قبل أن تَشحَطَ النَّوى ... وينأى خليطٌ بالحبيب المُفارِقِ

[الطويل]

قال ابن أبي حَدْرَد: فضربنا عُنُقَه، فتقحَّمتِ الجاريةُ من خِدْرِها حتى أتت نحوَهُ

(١) رباطات الصوفية التي يسمونها الخوانق فكثيرة، وهي قصور مزخرفة، في جميعها الماء يطرد. وهناك ديار موقوفة لقراءة كتاب اللّه تعالى يسكنونها، ومرافق الغرباء أكثر في البلد من أن تحصى لا سيما لحفاظ كتاب اللّه تعالى والمنتمين للطلب. وبهذه البلدة قلعة يسكنها السلطان منحازة في الجهة الغربية وهي بإزاء باب الفرج، وبها جامع السلطان. وبهذه البلدة قرب مائة حمام، وفي أرباضها نحو أربعين داراً للوضوء يجري الماء فيها كلها، وهي أحسن البلاد للغريب لكثرة المرافق، وأسواقها من أحفل أسواق البلاد وأحسنها انتظاماً ولا سيما قيساريتها.

(٢) الوَديقةُ حر نصف النهار.

فالتقمَتْ فاه، فنزعنا منها رأسه وإنها لتَكسَع[١] بِنَفْسِها حتى ماتت مكانَها. وأفلت من القوم غُلامٌ من بني أقرَم يقال له السَّمَيْدَع حتى اقتحم على رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلّم فأخبره بما صنع خالد وشكاه.

قال ابنُ دأب: فأخبرني صالح بن كيسان أنَّ رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم سأله: هل أنكر عليه أحدٌ ما صنع؟ فقال: نعم، رجل أصفرُ رَبعةٌ ورجل أحمرُ طويلٌ. فقال عمر: أنا واللَّه يا رسول اللَّه أعرفهما، أمَّا الأول فهو ابني وصِفَتُهُ، وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حُذيفة. وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يضرب عنقه، فأطلق عبد اللَّه بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كانا معهما. فبعث رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم عليًّا رضي اللَّه عنه بعد فراغه من حُنين وبعث معه بإبل وورق وأمره أن يديهم فوداهم، ثم رجع إلى رسول اللَّه ﷺ، فسأله فقال عليّ: قَدِمْتُ عليهم فَقُلْتُ لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا الجملَ بما أُصِيبَ منكم من القتلى والجرحى وتُحَلِّلوا رسول اللَّه ﷺ؟ قالوا: نعم. فَقُلْتُ لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثاني بما دخلكم من الرَّوْعِ والفَزَعِ؟ قالوا: نعم. فَقُلْتُ لهم: فهل لكم أن تقبَلوا الثالثَ وتُحَلِّلوا رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسلّم مما علم ومما لم يعلم؟ قالوا نعم. قال: فدفعته إليهم. وجَعَلْتُ أديهم، حتى إني لأدِي مِيلغَةَ[٢] الكلب، وفَضَلَتْ فَضْلَةٌ فدفعتُها إليهم، فقال رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: «أفقبِلوها؟» قال: نعم. قال: «فوالذي أنا عبده لهي أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَم»

وقالت سلمى بنت عميس:

وَكَمْ غادروا يومَ الغُمَيصاء[٣] من فتى أصيب فلم يجرح وقد كان جارحا

---

(١) الكسع: ضربُ يدٍ أو رجلٍ على دبر شيءٍ. وكَسَعَهم، وكسَع أدبارهم إذا تبع أدبارهم فضربهم بالسيف.

(٢) المِيلَغُ، والمِيلَغَةُ بكَسْرِهِمَا: الإناءُ يَلَغُ فيهِ الكَلْبُ، واقْتَصَرَ الجَوْهَرِيُّ على الأوَّلِ، وزادَ في الدَّم، وفي حديثِ عليٍّ رضي اللَّه عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ ليَدِيَ قَوْماً قَتَلَهُم خالِدٌ، فأعْطَاهُمْ مِيلَغَةَ الكَلْبِ يَعْنِي: أعْطَاهُمْ قِيمَةَ كُلِّ ما ذَهَبَ لَهُمْ.

(٣) الغميصاء: موضع في ديار بني جذيمة من بني كنانة، وهناك أصاب منهم خالد بن الوليد ما أصاب، وكان رسول اللَّه ﷺ بعثه إليه عند فتح مكة ومعه بنو سُلَيْم، وكانت بنو كنانة قتلتْ في الجاهلية الفاكه بن المغيرة عمّ خالد وعوف بن عبد عوف والد عبد الرحمن، وهما صادران من اليمن، ثم عقلتهما وسكن الأمر بينهم وبين قريش، وكان لبني سُلَيم أيضاً في بني كنانة ذحول، فأسرعوا فيهم القتل بالغميصاء، وفي ذلك قيل: =

ومن سيِّدٍ كهل عليه مَهَابَةٌ أصيب ولمَّا يَعْلُهُ الشيبُ واضحا
أحاطَتْ بِخُطَّابِ الأيامى وطلَّقَت غَداتَئِذٍ من كان مِنْهُنَّ ناكحا
ولولا مقالُ القومِ للقوم أَسلِمُوا للاقَتْ سُلَيمٌ يومَ ذلك ناطحا

[الطويل]

[ما وقع بين قريش وبين بني عامر في الجاهلية]

قال ابن دأب: وأمَّا سبب قتلهم القرشيِّين، فإنَّه كان نَفَرٌ من قريش بضعةَ عشرَ أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مَناة بن كنانة، وكان يُقالُ لهم «لعقة الدّم» وكانوا ذوي بأسٍ شديدٍ. فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيِّين: إيَّاكم أن يكون معكم رجل من فهم؛ لأنَّه كان له عندهم ذَحْلٌ. قالوا: لا واللَّه ما هو معنا، وهو معهم. فلما راحوا أدركهم العامريّون ففتَّشوهم فوجدوا الفَهْمِيّ معهم في رحالهم، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالهم. فقال راجزهم:

إنَّ قُرَيشاً غَدَرَتْ وعادَه نَحْنُ قَتَلْنا مِنْهُم بغادَه[1]

[الرجز]

عشرين كَهْلاً ما لهم زيادَهْ

وكان فيمن قُتِلَ يومَئِذٍ عفان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عفَّان، وعوف بن عوف أبو عبد الرّحمَن بن عوف، والفاكه بن المُغِيرة، والفاكه بن الوليد بن المُغِيرة. فأرادت قُرَيشٌ قتالهم حتى خَذَلَتهم بنو الحارث بن عبد مَناة فلم يفعلوا شيئاً. وكان خالد بن عبيد اللَّه أحد بني الحارث بن عبد مناة فيمن حضر الوقعة هو وضرار[2]. فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله:

دَعَوْتُ إلى خُطَّةٍ خالداً من المجد ضَيَّعها خالدُ

= فكم فيهمُ يومَ الغميصاء من فتىً أصيبَ ولم يُشْمَلْ له الرأْسُ واضحا
وكائن ترى يوم الغميصاء من فتى أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

فبعضهم يرى أنهم كانوا مسلمين، وأن خالداً أوقع بهم ليدرك بثأر عمه، ولذلك قالوا: إن النبي ﷺ وداهم وقال: «اللَّهم إني أبرأ إليك ممّا صنعه خالد».

(١) غادة: موضع في ديار كنانة.

(٢) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري أحد الأشراف والشعراء المعدودين والأبطال المذكورين.

فـوالـلَّـه أدري[١] أضـاهـى بـهـا بَـنِـي الـعَـمّ أم صـدرُهُ بـارد
ولـو خـالـدٌ عـادَ فـي مـثـلـهـا لـتـابَـعَـه عُـنُـقٌ وارِد[٢]

وقال ضِرارٌ أيضاً:

أرى ابـنَـيْ لُـؤَيٍّ أسـرعـا أن تـسـالـمـا وقـد سـلـكـت أبـنـاؤهـا كـلَّ مَـسْـلَـكِ
فـإنْ أنْـتُـم لـم تـثـأروا بـرجـالِـكُـم فَـدُوكـوا[٣] الـذي أنـتـم عـلـيـه بِـمـدْوَكِ[٤]
فـإنَّ أداةَ الـحَـرْبِ مـا قـد جـمـعْـتُـم وَمَـنْ يَـتَّـقِ الأقـوامَ بـالـشـرِّ يُـتْـرَكِ

[الطويل]

[سرايا النبي ﷺ يوم الفتح إلى قبائل كنانة]

فلما كان يومُ فتح مكة بعثَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم بالجيوش إلى قبائل بني كنانة حوله، فبعث إلى بني ضَمْرة نُمَيلةَ بن عبد اللَّه الليثيّ، وإلى بني الدُّئل عمرو بن أُمَيَّة الضَّمريّ، وبعث إلى بني مُدْلج عيَّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ، وبعثَ إلى بني بَغِيض ومحارب بن فهر عبدَ اللَّه بن نَهيك أحد بني مالك بن حِسل، وبعث إلى بني عامر بن عبد مناة خالداً.

فوافاهم خالدٌ بماء يقال له الغُمَيصاء، وقد كان خبرُهُ سقط إليهم، فمضى منهم سلف قتله بقوم منهم، يُقالُ لهم بنو قيس بن عامر وبنو قُعَين بن عامر وهم خيرُ القوم وأشرفُهُم، فأُصيب من أصيب. فلما أقبل خالد ودخل المدينة قال له النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: «يا خالد ما دعاك إلى هذا؟!». قال: يا رسول اللَّه آيات سَمِعْتُهُنَّ أنزلت عليك. قال: «وما هي؟» قال: قول اللَّه عزَّ ذكره: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۙ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥] وجاءني ابنُ أُمّ أصرم فقال لي: إنَّ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم يأمرُك أن تقاتل. فحينئذ بعث رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فوَداهم.

---

(١) النفي هنا مقدر، أي واللَّه لا أدري.
(٢) عنق وادر: عنق متدلٍّ، للكناية عن الموت.
(٣) دوكوا: اسحقوا.
(٤) المِدْوَكُ كمِنْبَر: الصَّلاءَةُ. فالمَداكُ: حَجَرٌ يُسحَقُ عليه الطِّيبُ، وهو الصَّلاءَةُ، وأَما المِدْوكُ: فهو حَجَرٌ يُسحَقُ به الطِّيبُ، كما في الصِّحاح.

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال: حدَّثنا سعد بن أبي نصر قال: حدَّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق عن رجل من مُزَينة يُقالُ له ابن عاصم عن أبيه قال: بعثنا رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في سرية وأمرنا ألا نقتلَ أحداً إن رأينا مسجداً أو سَمِعْنا أذاناً قال وكيع: وأخبرني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال: حَدَّثنا إبراهيم بن بَشَّار الرَّمادي قال: حدَّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال: فبينا نحن نسير إذا بفتى يسوق ظعائنَ؛ فعرضنا عليه الإسلامَ فإذا هو لا يعرفه، فقال: ما أنتم صانعون بي إن لم أُسْلِم؟ قلنا: نحنُ قاتِلوك. قال: فدعوني ألحَقْ هذه الظعائنَ، فتركناه؛ فأتى هودجاً منها وأدخل رأسه فيه وقال: اسلَمي حُبيش، قبل نفاد العيش. فقالت: وأنتَ فاسلم تسعاً وتراً، وثمانياً تترى، وعشراً أخرى. فقال لها:

فلا ذَنْبَ لي قد قُلْتُ إذ نحن جيرةٌ أثيبي بوُدٍّ قبل إحدى البوائِقِ
أثيبي بودّ قبل أن تَشْحَطَ النَّوى وينأى أميرٌ بالحبيب المُفارِقِ

[الطويل]

قال: ثم جاء فضربنا عنقَه. فَخَرَجَتْ من ذلك الهودج جاريةٌ جميلة فَجَنَأَتْ[1] عليه، فما زالت تبكي حتى ماتت.

[حديث خالد للنبي ﷺ عن غزوته بني جذيمة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ وعمرو بن عبد اللَّه العَتْكيّ قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: يُروى أنَّ خالد بن الوليد كان جالِساً عند النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فَسُئِلَ عن غزوته بني جذيمة فقال: إنْ أَذِنَ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم تحدَّثْتُ. فقال: تَحَدَّث. فقال: لقيناهم بالغُمَيصاء عند وجه الصبح، فقاتلناهم حتى كاد قرنُ الشمسِ يغيبُ، فَمَنَحنا اللَّهُ أكتافهم فتبِعْنَاهم نطلبهم، فإذا بغلام له ذوائِبُ على فرس ذَنُوبٍ[2] في أخريات القوم، فَبَوّأْتُ له الرمح[3] فوضعْتُهُ بين كتفيه؛ فقال: لا إلٰه، فَقَبَضْتُ عنه الرّمح؛ فقال: إلَّا اللَّات أحسنَتْ أو أساءَت. فَهَمَسْتُهُ[4] همسةً

(١) جَنَأ الرَّجلُ يجنأ جُنُوءاً، إذا أكبَّ على شيء، وجنأ إليه ظهره، قال:

أغاضر لو شهدتِ غَداةَ بِنْتُم جُنُوءَ العائداتِ على وِسادي

(٢) فرس طويل الذنب والذنابي، وأخذت بذنابي الطائي. وفرس ذنوب: وافر هلب الذنب.

(٣) بوأ الرمح: سدَّده وهيأه.

(٤) الهَمْسُ: الصوت الخفيُّ. وهَمْسُ الأقدام: أخفى ما يكون من صوت القدم. قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾. والأسدُ الهَموسُ: الخفيُّ الوطءِ. والحروفُ المَهْموسَةُ عشرةٌ يجمعها قولك: =

أذرَيْتُهُ وَقِيذاً[١]، ثم أخذْتُهُ أسيراً فَشَدَدْتُهُ وِثاقاً، ثم كلمته فلم يُكَلِّمني، واستخبرته فلم يخبرني. فلما كان ببعض الطريق رأى نسوة من بني جذيمة يسوق بهن المسلمون، فقال: أيا خالد! قُلْتُ: ما تشاء؟ قال: هل أنت واقِفِي على هؤلاء النسوة؟ فأتيت على أصحابي ففعلت، وفيهن جارية تدعى حُبَيشة، فقال لها: ناوليني يدك فناولته يدَها في ثوبها؛ فقال: اسلمي حبيش، قبل نفاد العيش. فقالت: حُيِّيت عشراً، وتسعاً وتراً، وثمانياً تَترى. فقال:

أَرَيْتَكِ إن طالبتُكُم فوجدتكم ... بِحَلْيَةَ أو أدركتُكُم بالخَوانِقِ
ألم يَكُ حقاً أن يُنوَّل عاشقٌ ... تَكَلُّفَ إدلاج السُّرى والودائق
وقد قُلتُ إذ أهلي لأهلِكِ جيرةٌ ... أثيبي بودّ قبل إحدى الصَّعائِقِ
أثيبي بوُدٍّ قبل أن تَشحَطَ النَّوى ... وينأى أميرٌ بالحبيب المفارقِ
فإنِّي لا ضيَّعت سرَّ أمانتي ... ولا راقَ عيني بعد عينك رائِقِ
سوى أنَّ ما نال العشيرةَ شاغِلٌ ... عن الودِّ إلا أن يكون التَّوامِقِ

[الطويل]

فلما جاء على حاله تلك قدَّمْتُهُ فَضَرَبْتُ عنقه. فأقبلت الجاريةُ ووضعَتْ رأسَه في حُجْرِها وجَعَلَتْ ترشُفُه وتقول:

لا تَبْعَدَن يا عمرو حيًّا وهالكاً ... فَحَقّ بحسن المدح مِثْلُك من مثلي
لا تَبعَدَن يا عمرو حيًّا وهالكاً ... فقد عشتَ محمودَ الثَّنا ماجدَ الفعلِ
فَمَن لِطِراد الخيل تُشجر[٢] بالقنا ... وللفخر يوماً عند قَرقَرة[٣] البُزْلِ[٤]

[الطويل]

= «حَثَّهُ شَخْصٌ فَسَكَتَ»، وإنَّما سمِّي الحرف مَهْموساً لأنَّه أُضعِفَ الاعتمادُ في موضعه حتَّى جرى معه النَّفَسُ.

(١) الوقيذ: الوَقِيذ من الرِّجالِ: البَطِيءُ والثَّقِيلُ. وسقطت الواو من بعضِ الأُصول، قالوا: كأَنّ ثِقلَه وضَعْفَه وَقَذَه. الوَقِيذ أَيضاً: الشَّدِيدُ المَرَضِ المُشْرِفُ على المَوْتِ كالمَوْقُوذِ، وقال ابن شُمَيْلٍ: الذي يُغْشَى عليه لا يُدْرَى أَميتٌ أَم لا، ورَجُلٌ وَقِيذٌ: ما بِه طِرْقٌ.

(٢) تشجر: تطعن.

(٣) قَرْقَرَ بطنه، أي صوَّتَ. والقَرْقَرَةُ: الهديرُ، والجمع القَراقِرُ. يقال: قَرْقَرَ البعير، إذا صفا صوته ورجَّع. وبعيرٌ قَرْقارُ الهدير، إذا كان صافي الصوت في هديره.

(٤) البزل: جمع بازل، وهو البعير في السنة التاسعة.

وجعلت تبكي وتُرَدّد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسه لفي حِجْرِها. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «لقد رفعت لي يا خالد، وإن سبعين مَلَكاً لمطيفون بك يحضُّونك على قتل عمرو حتى قتلته».

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكّار قال: حدَّثني عبد اللّه بن المنذر عن صفيَّة بنت الزبير بن هشام قالت: كان أبو السائب المخزوميّ رجلاً صالحاً زاهداً متقلِّلاً يصومُ الدَّهرَ، وكان أرقّ خلق اللّه وأشدَّهم غزلاً. فَوَجَّه ابنه يوماً يأتيه بما يُفْطِر عليه، فأبطأ الغلام إلى العتمة. فلما جاء قال له: يا عدو نفسه، ما أخرك إلى هذا الوقت؟ قال: جزت بباب بني فلان فسمعت منه غناء فوقفت حتى أخذته. فقال: هات يا بني، فواللّه لئن كنت أحسنت لأحبونّك، ولئن كنت أسأت لأضربنك. فاندفع يغني بشعر كثير:

ولما عَلَوا شَعْباً تبيّنتُ أنَّهُ تَقَطَّعَ من أهل الحجاز علائِقي
فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلنها إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادقِ

[الطويل]

فلم يَزَلْ يُغنِّيه إلى نصف الليل. فقالت له زوجتُهُ: يا هذا، قد انتصف الليلُ وما أفطرنا. قال لها: أنتِ طالقٌ إنْ كان فطُورُنا غيره. فلم يزل يُغَنِّيه إلى السَّحَر. فلما كان السَّحَر قالت له زوجته: هذا السَّحَرُ وما أفطرنا! فقال: أنتِ طالقٌ إن كان سحورنا غيره. فلما أصبح قال لابنه: خُذْ جُبَّتي هذه وأعطني خَلَقَك ليكون الحِباءُ فضل ما بينهما. فقال له: يا أبَتِ، أنت شيخٌ وأنا شابٌّ وأنا أقوى على البرد منك. قال: يا بنيّ، ما ترك صوتك هذا للبرد عليَّ سبيلاً ما حييت.

[شعر لسليمان بن أبي دباكل]

أخبرني وكيع قال: أنشدنا أحمد بن يزيد الشيبانيّ عن مصعب الزُّبيريّ لسليمان ابن أبي دُباكِل قال:

فهلَّا نَظرتَ الصبحَ يا بَعلَ زينبٍ فَتُقضى لُباناتُ الحبيب المُفارقِ
يَرُوحُ إذا يُمْسِي حنيناً ويَغْتَدِي وتهجيرُهُ عند احتدام الودائِقِ
فَطِرْ جاهِداً أو كُنْ حَليفاً لِصَخْرَةٍ مُمَنَّعَةٍ في رأس أرعَنَ شاهِقِ
فما زال هذا الدهرُ من شؤم صَرْفِه يُفَرِّقُ بين العاشقين الأوامق

فَـيُـبْـعِـدُنـا مِـمَـن نـريـدُ اقـتـرابَـهُ ويُـدْنِـي إلـيـنـا مـن نُـحـبّ نُـفـارق
ولـمـا عَـلَـوا شَـعْـبـاً تـبـيَّـنْـتُ أنَّـه تَـقَـطَّـعَ مـن أهـل الـحـجـاز عـلائِـقِـي
فـلا زِلْـنَ حَسْـرى ظُـلَّـعـاً لِـمْ حَـمَـلْـنـهـا إلـى بـلـدٍ نـاءٍ قـلـيـل الأصـادقِ
[الطويل]

ذكر متيم الهشامية وبعض أخبارها

كانت متيَّم صفراءَ مولَّدة من مُولَّدات البصرة، وبها نشأَتْ وتأدَّبَتْ وغَنَّتْ. وأخذت عن إسحاق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المُغَنِّين. وكانت من تخريج بَذْل وتعليمها. وعلى ما أخذت عنها كانت تعتمد. فاشتراها عليّ بن هشام[1] بعد ذلك، فازدادت أخذاً ممن كان يغشاه من أكابر المغنين. وكانت من أحسن الناس وجهاً وغِناءً وأدَباً. وكانت تقول الشعر ليس مما يُسْتَجاد، ولكنَّه يُسْتَحْسَنُ من مثلها. وحَظِيَتْ عند عليّ بن هشام حظوةً شديدةً، وتقدَّمَتْ على جواريه جُمَعَ عنده، وهي أمُّ وَلَدِه كلِّهم.

[كانت مولاة للبانة]

وقال عبد اللَّه بن المعتز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قُريش قال: أخبرني الحسن بن أحمد المعروف بأبي عبد اللَّه الهشامي قال: كانت مُتَيَّمُ للبانة بنت عبد اللَّه بن إسماعيل المراكبي مولى عريب، فاشتراها عليّ بن هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جُوَيْرِية، فَوَلَدَتْ له صفية وتُكْنَى أمَّ العباس، ثم وَلَدَت مُحَمَّداً ويُعْرَفُ بأبي عبد اللَّه، ثم وَلَدَتْ بعده ابناً يُقالُ له هارون ويُعْرَفُ بأبي جعفر، سماه المأمون وكنَّاه لما وُلِدَ بهذا الاسم والكُنية. قال: ولما توفي عليّ بن هشام عتقت.

[كانت تغني المأمون والمعتصم]

وكان المأمونُ يبعثُ إليها فتجيئه فَتُغَنِّيه. فلما خرج المعتصمُ إلى سرّ من رأى أرسل إليها فأشخصها وأنزلها داخل الجَوسَق في دارٍ كانت تُسمَّى الدمشقيّ وأقطعها غيرَها. وكانت تستأذن المعتصمَ في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورُهُم وترجع، ثم ضمَّها لما خَرَجَتْ قَلَمُ. وقَلَمُ جارية كانت لعليّ بن هشام. وكانت متيَّمُ صفراءَ حلوةَ الوجه.

[فضلها عبد اللَّه بن العباس على نفسه]

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أنَّ الحسين بن يحيى بن أكثم حدَّثه عن الحسن بن

(١) عليّ بن هشام من أمراء المأمون، وقوّاده تولى له حرب بابك الخرمي. ثم غضب عليه لأنه كان استعمله على أذربيجان، فظلم الناس وأخذ الأموال من غير حق.

إبراهيم بن رِياح قال: سَأَلْتُ عبد اللَّه بن العباس الرَّبيعيّ: من أحسن من أدركت صَنْعَةً؟ قال: إسحاق. قلت: ثم من؟ قال: علويه. قلت: ثم من؟ قال: متيّم. قلت: ثم من؟ قال: ثم أنا. فعجبت من تقديمه متيم على نفسه، فقال: الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ.

أخبرني محمد بن الحسن قال: حدثنا عمر بن شبة قال: سئل عبد اللَّه بن العباس الربيعي عن أحسن الناس غناء. فذكر مثل هذه الحكاية، وزاد فيها أن قال له: أحسن أن أصنع كما صنعت متيّم في قوله:

فـلا زِلْـنَ حَـسـرى ظُـلّـعـاً لِـمْ حَـمَـلْـنَـهـا

ولا كما صنع علّويه في قول الصِّمَّة:

فَـوَاحَـسْـرَتِـي لـم أقْـضِ مِـنْـكِ لُـبـانـةً ولـم أتـمـتَّـع بـالـجِـوار وبـالـقُـرْبِ

[الطويل]

قال: فأين عمرو بن بانة؟ قال: عمرو لا يضع نفسه في الصنعة هذا الموضع، ولكنه صنع لحناً في هذا الغناء.

نسبة صوت علويه

صـوت

فَـوَاحَـسْـرَتِـي لـم أقْـضِ مِـنْـكِ لُـبـانـةً ولـم أتـمـتَّـع بـالـجِـوار وبـالـقُـرْبِ

يـقـولـون هـذا آخـر الـعـهـد مـنـهـم فـقـلـت وهـذا آخـر الـعـهـد مـن قـلـبـي

ألا يـا حـمـام الـشـعـب شـعـب مـراهـقٍ سقتك الغوادي من حمامٍ ومن شِعْب

[الطويل]

الشعر للصِّمَّة بن عبد اللَّه القشيريّ. والغناء فيه لعلّويه، ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى. وفيه لمخارق خفيفُ رمل بالوسطى، أوله: «ألا يا حمام الشعب» ثم الثاني ثم الأول. وذكر حَبشٌ أن فيه لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر.

وقال ابن المعتز: أخبرني الهشامي قال: كانت متيم ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر، فغنت متيم في الثقيل الأول:

لِـزَيْـنَـبٍ طـيـفٌ تَـعْـتَـريـنـي طـوارقُـهُ هُـدُوًّا إذا مـا الـنّـجـمُ لاحَـتْ لـواحـقُـهْ

[الطويل]

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده، فقالت متيم للمعتصم: يا سيدي، إبراهيم يستعيدني الصوت وكأنه يريد أن يأخذه، فقال لها: لا تعيديه. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً

مجلس المعتصم ومتيم غائبة، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومتيم في منزلها بالميدان[١] وطريقه عليها وهي في منظرة لها مشرفة على الطريق وهي تغني هذا الصوت وتطرحه على جواري علي بن هشام، فتقدم إلى المنظرة وهو على دابته فتطاول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب باب المنظرة بمقرعته وقال: قد أخذناه بلا حمدك.

[طلبها المأمون من علي بن هشام فلم يرض]

وقال ابن المعتزّ: وحُدِّثْتُ أنَّ المأمون سأل عليّ بن هشام أن يهبها له وكان بغنائها مُعْجَباً، فدفعه بذلك ولم يكن له منها ولدٌ. فلما ألحّ المأمون في طلبها حَرَصَ عليٌّ على أن تعلق منه حتى حبلت ويئس المأمونُ منها. فيقال: إن ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله.

[كان المعتصم يمازحها]

وحدَّثني سليمان الطَّبَّال أنه رأى متيّم في بعض مجالس المعتصم يُمازِحُها ويجبذ بردائها.

وحكى عليّ بن محمد الهشاميّ قال: أهدي إلى علي بن هشام برذون أشهب قِرطاسيّ[٢] وكان في النهاية من الحسن والفراهة، وكان علي به معجباً، وكان إسحاق يشتهيه شهوة شديدة، وعرض لعلي بطلبه مراراً فلم يرض أن يعطيه له. فسار إسحاق إلى علي يوماً بعقب صنعة متيم «فلا زلن حسرى» فاحتبسه علي وبعث إلى متيم أن تجعل صوتها هذا في صدر غنائها ففعلت، فأطرب إسحاق إطراباً شديداً، وجعل يسترده، فترده وتستوفيه ليزيد في إطرابه إسحاق وهو يصغي إليها ويتفهمه حتى صح له. ثم قال لعلي: ما فعل البرذون الأشهب؟ قال: على ما عهدت من حسنه وفراهته. قال: فاختر الآن مني خلة من اثنتين: إما أن طبت لي نفساً به وحملتني عليه، وإما أن أبيت فأدعي واللَّه هذا الصوت لي وقد أخذته، أفتراك تقول: إنه لمتيم وأقول: إنه لي ويؤخذ قولك ويترك قولي؟ قال: لا واللَّه ما أظن هذا ولا أراه، يا غلام قُدِ البرذون إلى منزل أبي محمد بسرجه ولجامه، لا بارك اللَّه له فيه.

[كان إسحاق يرى أنها ساوته]

قال علي بن محمد: وحدثني أحمد بن حمدون: أن إسحاق قال لمتيم لما سمع

(١) الميدان: شارع بشرقي بغداد بباب الأزل.
(٢) القرطاسي: الأبيض الناصع.

هذا الصوت منها: أنت أنا فأنا من؟! يريد أنها قد حلت محله وساوته. قال علي بن محمد: وقال جدي أبو جعفر: كانت متيم تقول:

صـوت

فـلا زِلْـنَ حَسـرى ظُـلّـعـاً لـم حَـمَـلْـنَـهـا

الرّمل كلّه.

[علي بن هشام وعتابه بذل جاريته]

وحدثني الهشاميّ قال: مدّ عليُّ بن هشام يده إلى بَذْل جاريته في عتاب يعاتبها، ثم ندم على فعله ذلك، ثم أنشأ يقول:

فَـلَـيْـتَ يـدي بـانـت غَـداةَ مـددتُـهـا إلـيـك ولـم تَـرجِـع بـكـفٍّ وسـاعِـدِ

[الطويل]

وغنَّت متيّم جاريته فيه في الثقيل الأول، فكان يقال لبذل جارية علي بذل الصغيرة.

[ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها]

وحدثني الهشامي قال: كان سبب موت بذل هذه أنَّها كانت ذات يوم جالِسةً عند المأمون فَغَنَّتْهُ، وكان حاضِراً في ذلك المجلس مُوَسْوس يُكَنى بأبي الكَرْكَدَن من أهل طَبَرِستان يضحكُ مِنْهُ المأمونُ، فعبثوا به فَوَثَبَ عليهم وهَرَبَ الناسُ من بين يديه فلم يبقَ أحدٌ حتى هرب المأمونُ، وبقيت بذلُ جالِسَةً والعودُ في حِجْرِها، فأخذَ العودَ من يدها وضَرَبَ به رأسَها فَشَجَّها في شابورتها اليمنى؛ فانصرفَتْ وَحُمَّتْ، وكان سببَ موتها.

[تزوج المعتصم بذل الصغيرة]

وحدَّثني الهشاميّ قال: لما مات عليّ بن هشام ومات المأمونُ، أخذَ المُعْتَصِمُ جواريَ عليّ بن هشام كُلَّهُنَّ فأدخلهنَّ القصر، فتزوَّجَ ببذل المُغَنِّية وبَقِيَتْ عنده إلى أن مات؛ فَخَرَجَتْ بذلُ الكبيرة والباقون إلا بذلَ الصغيرة لأنَّها كانت حُرْمَتَه فلم يُخرجوها.

ويقال: إنه لم يكن في المغنِّين أحسن صُنْعَةً من عَلويه وعبد اللَّه بن العباس ومتيّم.

[شعر ابن الجهم في متيم الهشامية وأولادها]

وفي أولادها يقول علي بن الجهم[١]:

بَـنـي مُـتَـيَّـمَ هَـل تَـدرونَ مـا الـخَـبَـرُ ... وَكَـيـفَ يُـسـتَـرُ أَمـرٌ لَـيـسَ يَـسـتَـتِـرُ
حـاجَـيـتُـكُـم مَـن أَبـوكُـم يـا بَـنـي عُـصَـبٍ ... شَـتّـى وَلـكِـنَّـمـا لِـلـعـاهِـرِ الـحَـجَـرُ

[البسيط]

[غضبت من عليّ بن هشام وصالحها بشعر]

قال: وحدَّثني جدّي قال: كَلَّمَ عليّ بن هشام متيّم فأجابته جواباً لم يَرْضَه، فَدَفَعَ يده في صدرها، فَغَضِبَتْ ونَهَضَتْ، فَتَثَاقَلَتْ عن الخروج إليه. فَكَتَبَ إليها:

صـــوت

فَـلَـيْـتَ يَـدي بـانَـتْ غَـداةَ مَـدَدْتُـهـا ... إلـيـكِ ولـم تَـرْجِـعْ بِـكَـفٍّ وسـاعِـدِ
فـإن يـرجِـعِ الـرحـمـنُ مـا كـان بـيـنـنـا ... فَـلَـسْـتُ إلـى يـوم الـتَّـنـادي بـعـائِـدِ

[الطويل]

غنته متيّمُ خفيفَ رمل بالبنصر.

قال: وعَتَبَت عليه مرَّةً فتمادى عَتْبُها، وترضَّاها فلم تَرْضَ، فكتب إليها: الإدلال يدعو إلى الإملال، وربّ هجر دعا إلى صبر، وإنَّما سُمِّي القلبُ قلباً لتقلُّبِهِ. ولقد صدق العباسُ بن الأحنف حيث يقول:

مـا أرانِـي إلا سـأهـجُـرُ مـن لـيـ ... ـس يَـرانـي أقـوى عـلـى الـهِـجـرانِ
قَـدْ حـدا بـي إلـى الـجـفـاءِ وفـائـي ... مـا أضـرَّ الـوفـاءَ بـالإنـسـانِ

[الخفيف]

قال: فَخَرَجَتْ إليه من وقْتِها ورَضِيَتْ.

وحدَّثني الهشامي قال:

كانت متيَّمُ تُحِبُّني حبًّا شديداً يتجاوزُ محبَّةَ الأخت لأخيها، وكانت تعلم أني أحِبّ

(١) علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، من بني سامة، من لؤي بن غالب. شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة، وانتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان بني كلب، فقاتلهم وجرح ومات سنة ٢٤٩هـ.

النَّبِق، فكانت لا تزال تبعث إليّ منه. فإنِّي لأذكر في ليلة من الليالي في وقت السَّحَر إذا أنا ببابي يُدَقّ. فقيل: من هذا؟ فقالوا: خادمُ متيَّم يريد أن يدخل إلى أبي عبد اللَّه. فقلت: يدخل. فدخل ومعه إليّ صينيَّة فيها نَبِقٌ؛ فقال لي: تُقْرِئك السلام وتقول لك: كُنْتُ عند أمير المؤمنين المعتصم باللَّه فجاءوه بِنَبِقٍ من أحسن ما يكون، فَقُلْتُ له: يا سيدي، أطلب من أمير المؤمنين شيئاً؟ فقال لي: تَطْلُبين ما شئت. قالت: يطعمني أمير المؤمنين من هذا النَّبِق، فقال لسمانة: اجعل من هذا النَّبِق في صينية واجعلوها قدام متيم، فأخذته وذلَّلَتْه لك وقد بعثت به إليك معي، ثم دفعت إليّ دراهم وقالت: هَبْ للحُرَّاس هذه الدراهمَ لكي يَفتَحوا الدُّروب لك حتى تصيرَ به إليه.

ثم حَدَّثنا الهشاميّ قال: بَعَثَ عليّ بن هشام إلى إسحاق فجاء، فأخرج مُتَيَّم جاريته إليه، فَغَنَّتْ بين يديه:

فَلا زِلْنَ حَسرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلنها إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادقِ

[الطويل]

فاستعاده إسحاق واستحسنه، ثم قال له: بكم تشتري منِّي هذا الصوت؟ فقال له عليّ بن هشام: جاريتي تَصْنَع هذا الصوت وأشتريه منك! قال: قد أخذْتُهُ الساعةَ وأدَّعيه، فقول من يُصَدَّق، قولي أو قولك! فافتداه منه ببرذَون اختاره له.

وحدَّثني الهشامي قال: سمع عليّ بن هشام قُدّامَ المأمون من قَلَم جارية زُبيدة صوتاً عجيباً، فرشا لمن أخرجه من دارِ زُبيدة بمائة ألف دينار حتى صار إلى داره وطُرِحَ الصوتُ على جواريه. ولو علمت بذلك زبيدة لاشتدّ عليها، ولو سألها أن توجِّه به ما فعلت.

وحدَّثني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن أبيه قال: لما صنعت متيّم اللحنَ في قوله:

فَلا زِلْنَ حَسرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلنها

أُعجِبَ به عليّ بن هشام، وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال: من أين لك هذا؟ فقال: من بعض الجواري. فقال: إنه لعريب؛ ولم يَزَلْ يَستعيده حتى قال: إنه لمتيّمَ؛ فأطرق. وكان مُتحامِلاً على المغنِّين شديدَ النَّفاسة عليهم كثيرَ الظلم لهم مُسْرِفاً في حطّ درجاتهم، وما رأيتُهُ في غِنائِه ذكر لعلويه ولا مخارق ولا عمرو بن بانة ولا عبد اللَّه بن عبَّاس ولا محمد بن الحارث صوتاً واحداً ترفُّعاً عن ذكرهم مُنْتَصِباً لهم، وذكر في آخر الكتاب قوله:

فَلا زِلْنَ حَسرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلنها إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادقِ

[الطويل]

ووقَّع تحته «لِمُتيَّم»: وذكر آخر كل صوت في الكتاب ونَسَبَ إلى كلٍّ مُغنٍّ صوته غير مُخارِقٍ وعَلّويه وعمرو بن بانة وعبد اللَّه بن عباس فما ذكرهم بشيء.

أخبرنا أحمد بن جعفر جحظة قال: حدَّثني ابن المكيّ عن أبيه قال: قال لي عليّ بن هشام: لما قَدِمَت عليّ شاهك جَدّتي من خُراسان، قالت: اعرِض جَواريَك عليَّ، فعرضتهن عليها. ثم جلسنا على الشَّراب، وغنتنا مُتيّمُ. وأطالت جدَّتي الجلوس فلم أنبسط إلى جواريّ كما كُنْتُ أفعل، فقلت هذين البيتين:

صوت

أنَبقى على هذا وأنتِ قَريبةٌ وقد مَنَعَ الزُّوَّارُ بعضَ التَّكلُّم

سلامٌ عليكم لا سلامَ مُودِّعٍ ولكن سلامٌ من حبيب متيّم

[الطويل]

وكتبتُهما في رُقْعَةٍ ورَمَيْتُ بها إلى متيّم، فأخذتها ونَهَضَتْ إلى الصلاة، ثم عادت وقد صَنَعَتْ فيه اللحن الذي يُغنّى فيه اليوم، فَغَنَّت. فقالت شاهك: ما أرانا إلا قد ثَقَّلنا عليكم اليوم؛ وأمرت الجواريَ فَحَمَلْنَ مِحَفَّتَها، وأمرت بجوائز للجواري وساوت بينهن، وأمرت لمتيّم بمائة ألف درهم.

[هي أول من عقد على الإزار زناراً]

وأخبرني قال: أوّلُ من عَقَدَ من النساء في طَرَفِ الإزار زُنَّاراً[1] وخيط إبريسم ثم تجعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرك ولا يزول متيّمُ.

[مَرَّت بقصر مولاها بعد قتله فرثته]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال: حدَّثني ميمون بن هارون قال: مَرَّت متيّمُ في نِسوةٍ وهي مُسْتَخفِيةٌ بِقَصر عليّ بن هشام بعد أن قُتِلَ، فلما رأت بابه مُغْلقاً لا أنيس عليه وقد علاه الترابُ والغُبرةُ وطُرِحَت في أفنيته المزابلُ، وقفت عليه وتمثَّلَتْ:

(١) الزنار: ما يلبس ويشدّ إلى الوسط، وقد استخدم للنصارى في بداية الأمر.

صـوت

يـا مَـنْـزِلاً لـم تَـبـلَ أطـلالُـهُ حـاشـا لأطـلالِـكَ أن تَـبـلَـى
لَـمْ أبـكِ أطـلالـك لـكـنَّـنِـي بَـكَـيْـتُ عـيـشـي فـيـك إذ وَلـى
قـد كـان لـي فـيـك هـوى مَـرَّةً غَـيَّـبـه الـتـربُ ومـا مُـلَّا
فَـصِـرْتُ أبـكـي جـاهِـداً فـقـدَهُ عـنـد اذّكـاري حـيـثـمـا حـلَّا
فـالـعـيـشُ أولـى مـا بـكـاه الـفـتـى لا بـدّ لـلـمـحـزون أن يَـسـلـى

[السريع]

ـ فيه رمل بالوسطى لابن جامع ـ قال: ثم بَكَتْ حتى سَقَطَتْ من قامتها، وجعل النِّسوة يُناشِدْنها ويَقُلْنَ: اللَّه اللَّه في نفسِك فإنك تُؤخذين الآن، فبعد لأيٍ[1] ما حملت تتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع.

نَسَخْتُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّريّ حدَّثني الحارث بن أبي أسامة قال: حدثني محمد بن الحسن عن عبد اللَّه بن العباس الرَّبيعي قال: قالت لي متيّم: بعث إليّ المعتصمُ بعد قدومه بغداد، فَذَهَبْتُ إليه، فأمَرَني بالغناء فغنَّيْتُ:

هـل مُـسـعـدٌ لـبـكـاء بِـعَـبـرة أو دمـاءِ

[المجتث]

فقال: اعدِلي عن هذا البيت إلى غيرِهِ، فَغَنَّيْتُهُ غيره من معناه؛ فَدَمَعَتْ عيناه وقال: غنِّي غير هذا. فَغَنَّيْتُ في لحني:

أولـئـك قـومـي بـعـد عـزٍّ ومَـنْـعَـةٍ تـفـانَـوا وإلا تَـذْرِف الـعـيـنُ أكـمَـدِ

[الطويل]

فبكى وقال: ويحكِ! لا تُغَنِّيني في هذا المعنى شيئاً البتَّة. فغنَّيت في لحني:

لا تـأمَـنِ الـمـوتَ فـي حِـلٍّ وفـي حَـرَمِ إنَّ الـمـنـايـا تَـغَـشَّـى كـلَّ إنـسـانِ
واسـلـك طـريـقَـكَ هـونـاً غـيـرَ مـكـتـرِثٍ فسوف يأتيك ما يمني لك المانيِ[2]

[البسيط]

فقال: واللَّه لولا أني أعلم أنك إنما غنَّيت بما في قلبك لصاحبك وأنَّك لم تُرِيديني لمَثَّلتُ بك، ولكن خذوا بيدها فأخرجوها، فأخذوا بيدي فَأُخْرِجْتُ.

(١) اللأي: التعب والمشقة والجهد.
(٢) أي ما يقدر لك اللَّه، الذي منى عليك بالحياة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هل مُسعِدٌ لبكاء بعبرة أو دماء
وذا لفقد خليلٍ لسادةٍ نُجَبَاءِ

[المجتث]

الشعر لمُراد شاعرةِ عليّ بن هشام تَرثِيه لما قتله المأمون. والغناء لمتيّم. ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى. منها:

ذَهَبْتُ من الدنيا وقد ذهبت منِّي. . . .

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهديّ لأنَّه من غنائه وشعره، وشُرِحَت أخباره فيه. ولحنه رمل بالوسطى. ومنها:

صوت

أولئك قومي بعد عزٍّ ومَنْعَةٍ تفانَوا وإلا تَذْرِف العينُ أكمَدِ

[الطويل]

وقد أُخرِج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعَبْليّ وغنيا فيه من مراثيهما في بني أُمَيَّه. ولحن متيّم هذا الذي غَنَّت فيه المعتصم ثاني ثقيل بالوسطى.

ومنها:

صوت

لا تأمن الموت في حلّ وفي حرم

ذكر الهشاميُّ أنه ممَّا وجده من غناء متيّم، غير أن لها لحناً فيه يُذْكَرُ في موضع غير هذا على شرح إن شاء اللَّه تعالى، وإنما ألفت صوتاً تولعت به وغنته فنسبه إليها.

وأخبرني قال: كُنَّا في مجلسنا نِياماً. فلما كان مع الفجر إذا متيّم قد دخلت علينا وقالت: أطعموني شيئاً، فأخرجوا إليها شيئاً تأكله، فأكَلَتْ، وَدَعَتْ بنبيذ وابتدأتِ الشربَ، ودعت بعود فاندفعت تغنّي لنفسها وتشرب. وكان مما غنَّت:

كَـيْـفَ الـثَّـواء بـأرضٍ لا أراك بـهـا يـا أكـثـر الـنـاس عـنـدي مِـنَّـةً ويـدا
[البسيط]

ـ خفيف رمل ـ وقال: ما رأيت أحداً من المُغنِّين والمغنِّيات إذا غَنُّوا لأنفسهم يكادون يغنون إلا خفيفَ رمل.

[نوحها على سيدها]

وأخبرني قال: حدَّثني بعضُ أهلها قال: لما أُصِبنا بعليّ بن هشام، جاء النوائحُ، فَطَرَحَ بعضُ من حَضَرَ من مُغَنِّياته عليهن نوحاً من نوح متيّم، وكان حسناً جيِّداً، فأبطأ نوحُ النوائح اللَّاتي جِئْنَ لحسنه وجودته. وكانت زين حاضرةً فاستحسنته جدًّا، وقالت: رَضِيَ اللَّه عنك يا متيّم! كُنْتِ عَلَماً في السرور، وأنت علم في المصائب.

وأخبرني قال: إني لأذكر من بعض نَوحها:

لـعـلـيٍّ وأحـمـد وحـسـيـنٍ ثـم نـصـرٍ وقـبـلَـه لـلـخـلـيـل
[الخفيف]

هزج.

قال ابن المعتزّ: وأخبرني الهشاميُّ قال: وجّهَتْ مؤنِسةُ جاريةُ المأمون إلى متيّم جاريةِ عليّ بن هشام في يوم احتجمت فيه مِخْنَقةً في وسطها حبَّةٌ لها قيمة جليلة كبيرة وعن يمين الحبَّة ويسارها أربعُ يواقيتَ وأربع زُمُرّداتٍ وما بينها من شذور الذهب، وباقي المخنقة قد طُيّب بغالية.

[كانت تحب البنفسج وتؤثره على غيره]

وأخبرني قال: كانت متيّمُ يعجبها البَنَفسج جدًّا، وكان عندها آثرَ من كلّ ريحان وطيبٍ، حتى إنّها من شدَّةِ إعجابها به لا يكاد يخلو من كُمِّها الرّيحان ولا نراه إلا كما قُطِفَ من البستان.

وقد أخبرني رحمه اللَّه قال: حدَّثنا أبو جعفر ابن الدِّهقانة: أنَّ جاريةً للمعتصم قالت له لما ماتت متيّمُ وإبراهيم بن المهدي وبَذْلُ: يا سيِّدي، أظن أنَّ في الجنة عُرساً، فطلبوا هؤلاء إليه. فنهاها المعتصمُ عن هذا القول وأنكره. فلما كان بعد أيام، وقع حريق في حجرة هذه القائلة فاحترق كل ما تملكه. وسمع المعتصم الجلبة فقال: ما هذا؟ فأخبر عنه، فدعا بها فقال: ما قصتك؟ فبكت وقالت: يا سيدي، احترق كل

ما أملكه. فقال: لا تجزعي، فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحاب ذلك العرس.

[أمرها المأمون بأن تجيز شعراً]

وقد ذَكَرْتُ في متقدَّم أخبار متيّم أنها كانت تقول الشعرَ ولم أذكر شيئاً. فمن ذلك ما أخبرنا به الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدَّثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الدِّينارِيّ قال: حدَّثني الفضل بن العباس بن يعقوب قال: حدَّثني أبي قال: قال المأمون لمتيّم جارية عليّ بن هشام: أجيزي لي هذين البيتين:

تعالَيْ تكون الكُتْبُ بيني وبينكم ... ملاحَظَةً نُومِي بها ونُشيرُ

وَرُسْلي بحاجاتي وهنّ كثيرة ... إليك إشاراتٌ بها وزَفيرُ

[الطويل]

صوت

من المائة المختارة

إنَّ العيونَ التي في طَرْفِها مرض ... قَتَلْنَنا ثم لم يُحيِين قَتلانا

يَصرَعْنَ ذا اللُّبِ حتى لا حَراك له ... وهنّ أضعفُ خلق اللَّه أركانا

[البسيط]

عروضه من البسيط. والشعر لجرير. والغناء لابن محرز. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل. وفي هذه القصيدة أبيات أخر تغنى فيها ألحان سوى هذا اللحن، منها قوله:

صوت

من المائة المختارة

أتبَعتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ ... هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا

إن العيون التي في طرفها مرضٌ ... قتلننا ثم لم يُحيِين قَتلانا

[البسيط]

الغناء في هذين البيتين ثقيل أول مطلق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

ومنها أيضاً:

صـوت

بـان الأخـلا ومـا ودّعـتُ مَـن بـانـا وقـطّـعـوا مـن حـبـال الـوصـل أركـانـا
أصـبـحـتُ لا أبـتـغـي مـن بـعـدهـم بـدلاً بـالـدار داراً ولا الـجـيـران جـيـرانـا
وصـرتُ مـذ ودَّعَ الأظـعـانُ ذا طَـرَبٍ مـروَّعـاً مـن حـذار الـبـيـنِ مـحـزانـا

[البسيط]

في الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف رمل بالبنصر. وفيها للغريض ثاني ثقيل بالبنصر، من رواية عمرو بن بانة والهشامي. وذكر حبش أن فيه لمالك خفيف رمل بالوسطى، ولابن سرجس في الأول والثاني وبعدهما:

أتـبـعـتُـهـم مـقـلـةً إنـسـانُـهـا غَـرِق

رمل بالوسطى. وذكر الهشامي أن لابن محرز في الأول والثاني بعدهما «أتبعتهم مقلة» لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وذكر المكي أنه لمعبد.

الفهرس العام

فهرس المحتويات

أخبار الوليد بن يزيد ونسبه ٥
نسبه وكنيته ٥
كان مرمياً بالزندقة ٥
عبثه في مجلس هشام ٨
مات مسلمة بن عبد الملك فرثاه ٩
فخره على هشام ١٢
حقده على هشام ١٣
بشارته بالخلافة ١٦
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ١٨
كان شاعراً مجيداً ١٩
اقتباس الشعراء منه ٢٠
شربه الخمر بجرن ٢٣
مسلمة بن هشام وزوجته ٢٤
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ٢٧
رثاؤه لسلمى ٢٩
شعر يشف عن ملك ٣٤
مغاضبته صدوف ٤٠
استقدامه حماداً ٤١
حكايات تهتكه ٤٢
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ٤٦
رجع الخبر إلى سياقة أخبار الوليد ٤٨
تشبيبه بامرأة ٤٨
آخر دولته ٤٩
يخطب الجمعة بالشعر ٥١

نوادره ٥٢
رثاؤه سلمى ٥٧
قتل نديمه ورثاه ٥٧
رثاؤه ابنه ٦٠
من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى ٦٠
زندقته ٦٢
قصة مقتله ٦٣
يقتل في مجلس الغناء ٦٩
وليا عهده ٧٠
الخلفاء العباسيون ينتصرون له ٧٠
من المائة المختارة ٧١
ذكر أخبار عمر الواديّ ونسبه ٧٣
تقديمه على المغنين ٧٣
نسبة هذا الصوت ٧٥
أخبار أبي كامل ٧٨
من المائدة المختارة ٨٠
أخبار يزيد بن ضبة ونسبه ٨٢
كل بيت بألف درهم ٨٣
ولعه بالغريب ٨٩
أخبار إسماعيل بن الهربذ ٩٠
من المائة المختارة ٩١
نسب نابغة بني شيبان ٩٢
عند عبد الملك ٩٢
شعره في الخمر ٩٥
من المائة المختارة ٩٩
أخبار أبي دهبل ونسبه ١٠٠
جميل عفيف ١٠٠
رأي راهب في شعره ١٠١
محبوبة تتنكر ١٠٢

شعره في عمرة ١٠٤
رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دهبل ١٠٦
مع ابنة معاوية ١٠٧
حكاية نظم بيت ١١٣
تفضيله على نصيب ١١٣
مدائحه في ابن الأزرق ١١٦
وفود على سليمان الخليفة ١١٧
نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء ١١٩
رثاؤه الحسين ١٢٠
قصيدته الدالية ١٢٠
قصيدته الميمية ١٢٢
رثاؤه ابن الأزرق ١٢٥
يطلب ميراثه ١٢٦
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى ١٢٦
أخبار حسين بن الضحّاك ونسبه ١٢٧
قصيدته الخمرية ١٢٧
ازورار المأمون عنه ١٢٨
مراثيه في الأمين ١٣١
عند المعتصم ١٣٢
مصالحته أبي نواس ١٣٤
مع الواثق ١٣٥
هجا العباس ابن المأمون ١٤٥
مع صالح بن الرشيد ١٤٦
مدح المتوكل ١٤٧
أشعر الناس في الغزل ١٥١
محبوبته فتن ١٥٢
غلمانياته ١٥٤
تهنئته الواثق ١٦٦
قصة بين حبيبين ١٧٠

بينه وبين أبي نواس ١٧٣
مع الأمين ١٧٦
منعته السياسة من الرثاء ١٨٠
شعره على قبر النواسي ١٨٢
شعره في يسر ١٨٥
هجا مغنية فهربت ١٩٠
ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق ١٩١
في أواخر أيامه ١٩٢
أخبار أبي زكار الأعمى ١٩٣
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه ١٩٣
أخبار السيد الحميري ١٩٥
شاعر متقدم مطبوع ١٩٥
شيعي من خارجي: ١٩٦
أوصافه ومواهبه: ١٩٦
تقريعه لبشار ٢٠٠
مدح السفاح ٢٠٢
كان يقول بالرجعة ٢٠٤
نصيحته للمهدي ٢٠٥
مناظرته شيطان الطاق ٢٠٦
شاعريته: ٢٠٧
تعصبه ٢١٢
رد شهادته ٢١٣
مدح المنصور ٢١٤
حبه لعليّ ٢١٤
زواجه من خارجية ٢١٩
حبسه في السكر ٢٢١
رثاء وهجاء ٢٢٢
مازح صديقاً له زنجيًّا ٢٢٣
صديق ينفق عليه من ماله ٢٢٣

أهدى له بعض ولاة الكوفة رداء ٢٢٤
صادف بنت الفجاءة وأنشدها شعراً غزلياً ٢٢٤
نقد العبدي شعراً له فصدقه ٢٢٦
سَبَّ الشيخين في شعر له وسكر ٢٢٦
أباحَ لَهُ أبو بجير شرِبَ النبيذ ٢٢٧
أظهرت المرجئة الشماتة بأبي بجير لما مرض ٢٢٧
مرضه ووفاته ٢٢٨
بلغ المنصور أن أهل واسط لم يدفنوه ٢٢٩
ترحم عليه جعفر بن محمد ٢٢٩
عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه ٢٢٩
[لما مات أحضر له سبعون كفناً] ٢٣٠
[أخبار عبد اللَّه بن علقمة وحبيشة] ٢٣٠
من المائة المختارة ٢٣٠
أخبار عبد اللَّه بن علقمة وتعشقه حبيشة ٢٣٢
[سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر] ٢٣٣
[ما وقع بين قريش وبين بني عامر في الجاهلية] ٢٣٧
[سرايا النبي ﷺ يوم الفتح إلى قبائل كنانة] ٢٣٨
[حديث خالد للنبي ﷺ عن غزوته بني جذيمة] ٢٣٩
[شعر لسليمان بن أبي دباكل] ٢٤١
ذكر متيم الهشامية وبعض أخبارها ٢٤٣
[كانت مولاة للبانة] ٢٤٣
[كانت تغني المأمون والمعتصم] ٢٤٣
[فضلها عبد اللَّه بن العباس على نفسه] ٢٤٣
نسبة صوت علويه ٢٤٤
[طلبها المأمون من علي بن هشام فلم يرض] ٢٤٥
[كان المعتصم يمازحها] ٢٤٥
[كان إسحاق يرى أنها ساوته] ٢٤٥
[علي بن هشام وعتابه بذل جاريته] ٢٤٦

[ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها] ٢٤٦
[تزوج المعتصم بذل الصغيرة] ٢٤٦
[شعر ابن الجهم في متيم الهشامية وأولادها] ٢٤٧
[غضبت من عليّ بن هشام وصالحها بشعر] ٢٤٧
[هي أول من عقد على الإزار زناراً] ٢٤٩
[مَرَّت بقصر مولاها بعد قتله فرثته] ٢٤٩
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ٢٥١
[نوحها على سيدها] ٢٥٢
[كانت تحب البنفسج وتؤثره على غيره] ٢٥٢
[أمرها المأمون بأن تجيز شعراً] ٢٥٣
من المائة المختارة ٢٥٣